شعراء أمويون

القسم الاول

مالكُ بنُ الرَّيبِ

عُبيدُ اللهِ بنُ الحُرِّ الجُعفيُّ

السَّمهريُّ العُكليُّ

جَحدرُ بنُ مُعاويةَ المحرزيُّ

عُبيدُ بنُ أيوبَ العنبريُّ

الخَطيمُ المحرزيُّ

الهُذيلُ بنُ الفرخِ العِجليُّ

دراسة وتحقيق

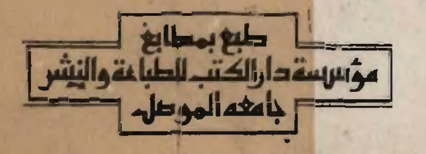
الدكتور نوري حمودي القيسي

استاذ مساعد في كلية الآداب

(جامعة بغداد)

تصميم الغلاف

عبد الحميد الحيالي



ساعدت جامعة بغداد على نشره



شعراء أمويون

القسم الاول

دراسة وتحقيق

الدكتور نوري حمودي القيسي

استاذ مساعد في كلية الاداب

(جامعة بغداد)

١٣٩٦هـ — ١٩٧٦م





المقدمة

على الرغم من كل الأشكال الثقافية والفكرية والسياسية التي قدمها عصر الدولة العربية في الخلافة الأموية فان ملامح العصر في الحصيلة التاريخية لم تكن متناسبة مع عظمة العصر ومع الانجازات الحضارية التي اكتملت فيه ، والتوسع الهائل الذي صاحب مسيرته،وقد أدرك الباحثون المعاصرون هذه الحقيقة، وأدركوا الدوافع الأساسية التي حالت دون ابراز الجوانب الحية التي أصبحت سمة متميزة من سماته المشرقة ، فراحوا يستطلعون الأحداث ، ويستشفون الوقائع، ويدرسون الأسباب التي وقفت وراء هذا الطمس والاخفاء ، ولعل ازدحام الفترة بالأحداث ،وتكالب القوى التي شعرت بالضياع والحيرة بعد قيام الدولة الجديدة ، واحساسها بتوحيد الأمة وترسيخ دعائم استقرارها، وتهادي الدول أمام هذه الجحافل المؤمنة بالقيم الخلقية النبيلة التي أصبحت جزءً من حياتها قد دفعت هذه القوى إلى اثارة الاضطرابات ، واختلاق الأحداث ، وتأليب النحل والفرق، متذرعة باسباب الدين تارة ،وبالسلطان والتعصب والاعتزاز تارة أخرى . ولا بد أن يدخل في هذا الاطار كتابة الأحداث والعصر الذي سجلت فيه أخبار الدولة لأن المصادر المتوفرة لدينا عن هذه الفترة ،وصلت الينا من عصر العباسيين أعداء الأمويين الألداء (١) وان هذه المصادر قد ساهمت إلى حد كبير في تشويه الصورة وتزييف الواقع والصاق التهم بالخلفاء الأمويين والقادة الفاتحين والولاة الحاكمين والأمراء الذين وقفوا إلى جانب الدولة وبذلوا مايستطيعون في تثبيت كيانها ،وتوطيد دعائمها ومجابهة الحركات الخارجة عليها مهما كانت هويتها ...

ولم يقتصر الحكم على التاريخ ، ولم تقف نزعة التجاوز والتزوير على الخلفاء والقادة ، وإنما امتدت تأثيراتها فشملت كل جانب ،وتطاولت حدودها حتى وصلت إلى كل زاوية من زوايا الدولة .. حتى ظهر العصر وكأنه احاديث الف ليلة وليلة ،والخلفاء وكأنهم لاهم لهم إلا معاقرة الخمرة وسماع الغناء ومجالسة الجواري .. أما الولاة فكانوا جلادين قتلة ،والولاة مغتصبين لاهم لهم إلا الجباية والضرائب .

(١) الدكتور عبدالامير دكسن : الخلافة الاموية /٧

ان ملامح الصورة مظلمة في اعراف المؤرخين، وابعادها مشوهة باهتة ولم يحاول هؤلاء المؤرخون ان يعودوا إلى أنفسهم ليسألوها عن الدولة التي ثبتت وجودها وحققت لها حركة التحرير الواسعة التي شملت أقطاراً كبيرة واستطاعت ان تعيد الأرض العربية إلى أهلها والشعب المستعبد إلى الطبيعة الانسانية الحقة .. ألم يحاول المؤرخون أو الذين أرخوا لهذه الدولة العربية ان يسألوا أنفسهم عن الاستقرار الذي شمل الدولة ؟ واذا قدر لبعض الحركات أو الجهات المعارضة ان تشهر السلاح بوجه الدولة ، فلا يعني هذا ان الدولة ظالمة أو أن القواد قساة مستبدون. ولِمَ لمْ يكن التساؤل اخذاً بنظر الاعتبار وجهة نظر الدولة في الدفاع عن حقها الشرعي في البقاء ؟

ان هذه التساؤلات الكبيرة يجب ان تأخذ مكانها في الدراسة التاريخية، ويجب ان تحقق وجودها على الصفحة المعاصرة التي تطالعها الأجيال العربية باعتزاز ، لتتمكن هذه الأجيال من معرفة الدور الحقيقي الذي قامت به هذه الدولة في عصر متقدم لترسيخ دعائم الوحدة العربية وفق المؤشرات السليمة وفي اطار الاصالة التي التزمت بها .

ان محاولة استهداف القدرة العربية في التحرير ، ومحاولة التشكيك في القيادة الأصيلة التي أخذت على عاتقها الدور القيادي في اعادة الوجه الحقيقي للانسان العربي محاولة ظالمة جرّت على التاريخ العربي ويلات ونكبات ، فطمست معالمه ، وشوهت أحداثه وتركت في نفوس الأجيال جروحاً عميقة، وقد ظلت الأجيال تتجرع من مرارة التشكيك وقساوة التشويه ماجعلها تنظر إلى ماضيها نظرة استخفاف وازدراء .

أما الأدب فكانت صورته – وفقاً لأحكام التاريخ – أشدّ قتامة وأكثر ظلمة وتشويهاً . وقد سبق لي ان كتبت في مقدمة شعر ابن ميادة الذي حققه أخي السيد محمد نايف الدليمي(٢) اموراً اشرت فيها إلى أنه من الأمور التي تثير الغرابة في هذا العصر هو التركيز على ظواهر الهجاء والشعر السياسي والغزل . وقلت في حينها، وكم كنت اود ان تبحث هذه الظواهر من خلال الحقائق العقلية والعلمية التي حملت أصحاب هذه الظواهر الشعرية لسلوك هذا المسلك ، وقلت أيضاً وكم كنت أود ان تناقش العوامل التي دفعتهم إلى قول الشعر مناقشة فنية تعكس الجوانب الموجبة لهذه الاتجاهات ، ليكون الدارس على علم بابعاد هذه الأسباب وليقف الباحث على الأطراف التي تلم الظواهر كما يدخل الثقة في نفس

---

(٢) محمد نايف الدليمي : شعر ابن ميادة /١

الدارس أو الباحث ، ليستوعب الفنون الشعرية استيعاباً يتلاءم مع ضخامة العصر وإصالة الأدب ، وفنون الشعر التي شمخت فيه ، ولكن العصر صور لنا بانه عصر شتم وعصر هجاء ، يتعاور فيه الشعراء على اختيار الألفاظ النابية ، ويتسابقون إلى انتقاء الكلمات المقذعة للتراشق واصبح العصر بكليته – كما شبه لنا – عصر غزل ماجن أو غزل عذري، يعرض فيه الشعراء للنساء بأوصاف حسّية ، وفي غمرة هذه الاتجاهات التي أبرزت بهذا الشكل المؤلم ، ضاعت الجوانب الخيّرة التي تبناها الشعراء الآخرون الذين لم يكتب لهم الظهور ، لأنهم خرجوا عن هذا الاتجاه ، فظلت أخبارهم نادرة ، وموضوعاتهم التي عالجوها بعيدة عن الأيدي ، فانقطعت صلتهم بالعصر ، وانبت ماكان بينهم وبين هذا التراث من أواصر ووشائج حتى خيل الينا ان شعراء هذهالاتجاهات – كما صورت لنا – هم شعراء العصر الذين اطبق عليهم جفنه .

ان الحديث عن العصر الأموي حديث طويل ، يستحق المناقشة العلمية السليمة التي تضع العصر وشعراءه في الموضع الذي يستحقه ويستحقونه بعد ان تغير المقاييس التي كتب بها ، وتبدل الصور التي رسمت لابعاده وهو عمل جليل وكبير .

واليوم اعود لأقدم دراسة لمجموعة من الشعراء جمعت الخصائص الفنية بعض اتجاهاتهم وحدد العصر بعض سمات شعرهم، فهم فئتان تمثل الاولى مجموعة الشعراء الذين اصطلح على تسميتهم بالصعاليك وتمثل الثانية انماطاً لشعراء لاتجمعهم الا رابطة العصر وهم في مجموعهم يشكلون اضافة جديدة في الدراسة، واضافة جديدة في ابراز الظواهر الفنية، أو تأكيد بعض وجوهها .وهي في حجمها وتكوينها تشكل دفعة أولى من دفعة الشعراء الذين أروم تقديم دراسات عنهم، وادعو الله ان يوفقني لاكمال الحلقات الاخرى من شعراء هذا العصر الذي أحدقت به المظالم، واحاطت به الدراسات الظالمة فتركته شلواً ممزقاً ولوحة دامية الأبعاد ....

ان الدراسة الموضوعية التي تعتمد النص وتستشف الصورة الادبية الخلاقة ووضع المقاييس الصحيحة من خلال المطابقة الواقعية وتحديد معالم العصر وفق المؤشرات الحقيقية تضع امامنا مادة جديدة وتصوراً جديداً يقوم الاشكال التقليدية التي رسمتها الاقلام البائسة، ويعدل التفسيرات المخطوءة التي قدرتها الدراسات المبتسرة .... ولعل بعض الاشارات التي

وردت من خلال الدراسة تحدد الهدف من تقديم هذا البحث .
والله اسال ان يهدينا سواء السبيل لنعيد لهذه الامة وجهها الحقيقي لتأخذ مكانتها التاريخية .

د. نوري حمودي القيسي

مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ



اسمه ونسبه :

مالك بن الريب بن حَوْط بن قُرط بن حسل بن ربيعة بن كابية بن حُرْقُوص إبن مازن بن عمرو بن تميم (١)، وكنيته أبو عُقْبة(٢) ، وأمه شهلة بنت سَنيح بن الحرّ إبن ربيعة بن كابية بن حرقوص بن مازن (٣) . وقد أشار إليها في بعض أبياته عندما أحسّ بالموت :

تُسائلُ شَهْلةُ قفّالها
وتسأل عَن مَالك ما فَعَلْ
ثَوى مالك ببلاد العدوْ
وتَسفي عليه رياح الشّمل
لذلك شَهْلة جَهّزتني
وقد حَانَ دون الإيابِ الأجل

وأشار إليها في يائيته المشهورة .

نشأته

أما نشأة مالك فقد كانت بادية بني تميم بالبصرة مسرحاً حُراً لها(٤) ، فقد رعته وهو يمارس هوايته الأولى أحسن رعاية ، وربما كانت لخصائص مالك وصفاته التي ذكرها القدامى دوافع أصيلة في تزعم طائفة من اللصوص ، متخذاً منهم فئةً تمارس نشاطاً اتفقوا عليه ، وخضعوا لنظامه ، واندفعوا في تحقيق رغباتهم من خلال هذا النشاط .ولم يقتصر نشاط مالك على بادية بني تميم وحدها ، وإنما امتدّ حتى وصل مكة وأطرافها . فقد ذكر ابن قتيبة أنه حبس بمكة في سرقة ، فشفع فيه شماس بن عقبة المازني فاستنقذه ، وهو

(١) أبو الفرج : الأغاني ٣٠٤/٢٢ (دار الثقافة).والقالي : ذيل الأمالي ١٣٥ والمرزباني: معجم الشعراء ٢٦٥، ويسقط محمد بن حبيب في المحبر ٢٢٩ عمروبن تميم الجد الأخير أما البكري فيالسمط ٤١٨/١ فيسقط حسل بن ربيعة بن كابية بن حرقوص .
(٢) البكري : السمط ١ /٤١٩ ولم أجد في أخباره أو شعره مايدل على هذه الكنية.
(٣) القالي : ذيل الأمالي ١٣٥ . ووهم المرزباني في معجم الشعراء ٢٦٥ في ذكره بعض الأبيات حيث قال : ولما أحس بالموت قال يذكر ابنته شهلة .
(٤) الأغاني : ٢٢–٣٠٤ .

القائل في الحبس (١) :

أتلحق بالريب الرفاق ومالك بمكةَ في سجنٍ يُعنّيه راقبه

وتجمع المصادر القديمة على أن مالكاً كان فاتكاً لصاً ، يصيب الطريق مع شظاظ الضبي ، الذي يضرب به المثل فيقال : ألصُّ من شظاظ (٢) .

ويذكر المرزباني أنه كان ظريفاً اديباً فاتكاً ، أصاب الطريق مدة ثم نسك فآمنه بشر بن مروان(٣). وعدّه ابن حبيب من فتاك الإسلام(٤) .

أما ياقوت فيذكر أن لمالك بن الريب المازني في يوم طاسى ويوم النهر بلاءً حسناً ، معتمداً على ماقاله السكري في شرح قوله(٥) :

يا قلّ خير أمير كنت أتبَعُهُ

أليس يُرهبني أم ليس يَرجوني

أم ليس يرجو إذا ماالخيل شمصها

وقع الاسنة عطفى حين يدعوني

لاتحسبنا نسينا من تقادمه

يوماً بطاسَى ويوم النهر ذا الطينِ

وتجمع المصادر التي ترجمت له على أنه كان من أجمل العرب جمالاً ، وأبينهم بياناً ، وأحسنهم ثياباً ، فلما رآه سعيد أعجبه (٦) .

أما الجوانب الأخرى من حياته فقد حدّد بعض معالمها شعره ، فهو صاحب حرب لايكاف بغيرها ، وهو لايثني حفيظته في الوغى ، ولا يتقي في السلم جرّ الجرائم . ولا يتأنّى في العَواقب ، وإنما هو رجلٌ يقدم على غمرات الموت ، ولا يهاب تفاقم الحوادث . وقد تمثلت هذه الصفات بارزة واضحة في حادثة رواها أبو الفرج ، وقد جرت لمالك وهو

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٣٥٣ .

(٢) وفي مجمع الأمثال ٢-٢٥٧ ، ألص من شظاظ : ومن سرحان .

(٣) المرزباني : معجم الشعراء ٢٦٥ .

(٤) ابن حبيب : المحبر ٢١٣ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان (طاسي) .

(٦) ينظر الأغاني ٢٢ / ٣٠٥ وذيل الأمالي ١٣٥ والخزانة ١ / ٣٢١ .

مع سعيد بن عثمان في طريق خراسان ، فقال : انطلق مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان إلى خراسان ، حتى إذا كانوا في بعض مسيرهم احتاجوا إلى لبن فطلبوا صاحب إبلهم فلم يجدوه . فقال مالك لغلام من غلمان سعيد : أدْنِ مني فلانة ، لناقة كانت لسعيد غزيرة ، فأدناها منه ، فمسحها وأبسّ بها حتى درّت ثم حلبها ، فإذا أحسن حلب حلبه الناس وأغزره فانطلق الغلام إلى سعيد فأخبره . فقال سعيد لمالك : هل لك أن تقوم بأمر إبلي فتكون فيها ، وأجزل لك الرزق إلى ماأرزقك ، وأضع عنك الغزو . فقال مالك في ذلك (١) :

إني لأستحيي الفوارس أن أرى   بأرض العِدا بَوّ المخاض الروائم

إلخ ... فلما سمع ذلك منه سعيد بن عثمان علم أنه ليس بصاحب إبل ، وأنه صاحب حرب فانطلق به معه .

أما صلابته وشدته فقد عرفناها في أخباره التي روتها لنا كتب الأخبار ، فهو فاتك مشهور ولص امتهن الحرفة وعرف مسالكها ، وخبر طرائقها ودروبها ، وقد تنامت في نفسه روح التمرد والخروج ، حتى أصبحت قيادته أمراً شاقاً . وقد أفصح عن هذه النفس المتمردة في يائيته االمشهورة فقال :

ولا تحسداني باركَ اللهُ فيكُما

من الأرض ذات العَرض أن توسعاليا

خذاني فجرّاني ببردى إليكما

فقد كنتُ قبلَ اليوم صَعْباً قِيادِيا

وقد رسم مالك من خلال يائيته الجوانب البارزة التي اتصف بها،من ثبات في المعركة إذا أدبرت الخيل ، واستجابة للداعي إذا عزّ النصير ، وإطعام إذا أصبح الطعام محموداً ، وعفة عن شتم ابن العم ، وصبر على القرن في الوغى ، ومُثُل أُخرى وصفها ووضح أبعادها ، وهي صور تذكرنا بحديث فرسان الشعراء الجاهليين أمثال عنترة وعامر بن الطفيل ودريد ابن الصمة :

وقد كنت عطّافاً إذا الخيل أدبرت

سريعاً إلى الهَيجا إلى من دَعَانيا

(١) أبو الفرج : الأغاني ٢٢/ ٣١٤ .

وقد كنتُ محموداً لدى الزاد والقرى
وعن شتَمتيَّ ابن العم والجار وانيا
وقد كنت صبّاراً على القرن في الوغى
ثقيلاً على الأعداء عضباً لسانيا

ولم ينس مالك – وهو في أعنف لحظات الموت – فروسيته وفتوته ، لأنه بطل عاشت في نفسه أمثولة البطل . فأدرك حقيقتها ، وتلمس أبعادها وتحسس الدور الخطير الذي ألقته تبعات النظم القبلية على كواهل فتاها المرتقب . لقد تجسدت هذه الصورة أمامه وهو يرقب شبح الموت ، ويتمثل صورة الفناء . فعزّت عليه الحياة ، وارتفعت في نفسه فداحة الصورة المرتقبة :

وهنا وجد الحاجة ماسة للبكاء ، والسبب داعياً للنحيب ، فمدّ نظره بين المتاهات المقفرة ، يطلب الأنيس ، وينشد الصديق ، إلا أن الأرض الغريبة لم ترحم وحدته ، والمهابط الوعرة لم تكرم وفادته . فعرف في سيفه الضحية الكريمة ، وفي رمحه المضاجعة الآمنة ، وفي فرسه الوفاء النبيل . وقد بقيت هذه الصفات تلازمه وتعيش في دمه ، وقد أحسن التعبير عنها في قوله :

تذكرتُ من يبكي عليَّ فلم أجِدْ
سوى السيف والرمح الردينيِّ باكيا
وأشقر حنذيذٍ يجرُّ عنانه
إلى الماءِ لم يترك لهُ الدّهرُ ساقيا

وتظل هذه الصفات ملازمة له في كثير من أبيات هذه القصيدة .

ولا بد لي وأنا أتحدث عن شخصية الشاعر . من أن أشير إلى ظاهرة بارزة في شعره ، فإلى جانب مغامراته التي كانت تشكل الوجه العام في حياته ، كانت نفحات الحب والحنين تتعالى من نفسه الوالهة ، وكانت هذه النفحات تمثل الحب الحقيقي الذي كان يداعب قلوب الشعراء الفرسان ، لأنه حبٌّ اقترن بالمباهاة والصمود والمصابرة :

وقد تقول وما تخفي لجارتها
إني أرى مالك بن الريب قد نحلا
من يشهد الحرب يصلاها ويسعرها
تراه مما كستْهُ شاحباً وجِلا

وكثيراً ما كان الحنين إلى أهله ووطنه يحزُّ في نفسه وهو في بلاد الترك، فيثيره شجو الحمام، ويحرك في نفسه عواطف الحنين فيقول :

تذكرني قبابُ التركِ أهْلـي
ومَبْداهم إذا نزَلوا سَنَاما

وصوت حَمَامة بِجبال كس
دعت من مَطلَعِ الشَمسِ الحماما

فَبتُّ لصوتها أرِقاً وباتت
بِمَنْطِقِها تُراجِعنا الكَلاما

عائلته

يذكر مالك في يائيته أخاً له يدعى «عمران» ، وعجوزاً (وهي أمه كما يبدو) وشيخين لم يُفصح عنهما ويسمى «كثيراً» ولم يعرف من كثير هذا، ويذكر ابن عم وخال، وربما أورد ذكرهما من باب الاعتزاز بالأهل والأقارب عندما يحس المرء بشدة أو نائبة ، ثم يورد ذكر نسوة بالرمل لو شهدنه في حالته التي هو عليها ، لبكين ، وفدّين الطبيب المداويا ، وقد حدّد في القصيدة علاقة كل واحدة منهن به فقال :

وبالرملِ مِنا نسوة لو شَهدنني
بَكين وفَدّين الطبيب المُداويا

فَمنهن أمي وابنَتاي وخَالتي
وبَاكِيةٌ أُخرى تُهيجُ البَواكيا

وقد وُفِق الشاعر في كنايته اللطيفة عن زوجته ، لأنها حقاً تثير عواطف الباكيات ، وتهيج نوازع الألم في قلوبهن ، لما تبديه من مشاعر ، وتظهره من أمارات .

وأشار مالك إلى ابنته في أكثر من موضع ، وصورّ تعلقها بصور عاطفية دقيقة ، تنم عن الرقة التي تملكته ، وهو يعرف مشقة الطريق ، ومتاعب المخاطرة ، ومرارة اليتم التي كان يحس بها قبل ابنته ، ويستطعم أذاه قبل أن تتذوقه ابنته ، فعندما خرج مع سعيد تعلقت بثوبه ، وبكت وقالت له : أخشى أن يطول سفرك ، أو يحول الموت بيننا فلا نلتقي . فبكى وأنشأ يقول :

ولَقَد قلتُ لابنتي وهي تَبكي
بِدَخيلِ الهُمومِ قَلباً كَئيباً

وهي تُذري من الدموع على الخدّين
من لَوعةِ الفِراقِ غُروبــاً

عَبرات يَكَدْنَ يَجرَحن ماجُزْ
نَ به أو يَدعنَ فيه نُدُوبا

حَذَرَ الحَتفِ أن يصيب أبَاها
ويُلاقي في غيرِ أهلٍ شعوبـا

اسكتي قد حَزَزتِ بالدَمْعِ قَلبي
طَالَما حَزَّ دَمعَكُنَّ القُلُوبا

فَعَسى اللهُ أن يُدَافِعَ عَنِّي
ريب ما تحذَرين حتّى أؤوبـا

وتتضح من خلال مقطعاته وأبياته التي ذكر فيها أمه وابنته وبقية أفراد عائلته ، العواطف الأبوية ، والروابط العائلية المتينة التي كانت تشده إلى كل فرد من أفراد عائلته ، على الرغم من حياة التشرد والصعلكة التي كان يمارسها . وكادت تصبح هذه الروابط ظاهرة بارزة المعالم ، بينة الخطوط والسمات في شعره ، لأنها تجلت في أكثرمن صورة ، وارتسمت في أكثرمن موقف . ولمعت بوارق هذا التواجد فوق روابي البوادي العربية التي كان الشاعر المشرد يذرف في طيات رمالها دموع الأب المنقطع ، ويدفن في أعماق ودبانها زفرات اللص الحزين .

صحبته لسعيد بن عثمان

وتكشف أخبار مالك من خلال أحاديث الاخباريين والرواة عن صحبته لسعيد بن عثمان بن عفان لما ولاه معاوية خراسان (سنة ست وخمسين) ويبدو أن هذه الصحبة كانت بعد حياة حافلة بالتشرد والصعلكة وقطع الطرق . وقد ذكر أبو الفرج جانباً من هذه الحياة فقال : كان مالك ابن الريب يقطع الطريق هو وأصحاب له : منهم شظاظ—

(١) أبو الفرج : الأغاني ١٩– ١٦٧ (ساسي) .

وهو مولى لبني تميم (١) وكان أخبثهم – وأبو حردبة ، أحد بني أثالة بن مازن ، وغويث، أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة ، وفيهم يقول الراجز :

اللهُ نَجّاكَ من القَصيم
وبطْنِ فَلْج وبني تَميم
ومن بني حَرْدَبَةَ الأثيم
ومالِك وسَيْفهُ المَسموم
ومن شِظَاظ الأحمَر الزنيم
ومن غويث فاتِح العُكوم (٢)

فساموا الناس شراً ، وطلبهم مروان بن الحكم ، وهوعامل معاوية على المدينة ، فهربوا .فكتب الى الحارث بن حاطب ، وهو عامله على بني عمرو بن حنظلة ، فطلبهم ، فهربوا منه وبلغ مالك بن الريب أن الحارث بن حاطب يتوعده فقال :

تألى حِلْفة في غير جرمٍ   أميري حارث شِبْهُ الصرارِ

وهي قصيدة طويلة .

فبعث إليه الحارث بن حاطب رجلا من الأنصار فأخذه وأخذ أبا حردبة ، فبعث بأبي حردبة . وتخلف الأنصاري مع القوم الذين كان مالك فيهم ، وأمر غلاماً له فجعل يسوق مالكاً . فتغفل مالك غلام الأنصاري وعليه السيف فانتزعه منه، وقتله به .

وشد على الأنصاري فضربه بالسيف حتى قتله ، وجعل يقتل من كان معه يميناً وشمالا ، ثم لحق بأبي حردبة فتخلصه ، وركبا إبل الأنصاري ، وخرجا هاربين حتى أتيا البحرين، واجتمع إليهما أصحابهما. ثم قطعوا إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذي احدثه مالك، فلم يزل بفارس حتى قدم عليه سعيد بن عثمان فاستصحبه ، فقال مالك في مهربه ذلك (٣) :

---

(١) أبو الفرج : الأغاني ٢٢/ ٣٠٥ –٣٠٩ .

(٢) رويت الأبيات فيمعجم ما استعجم (فلج) وبعضها في اللسان (شظظ) وفي روايتهما في المصدرين اختلاف .

(٣) الخبر في الأغاني ٢٢ / ٣٠٥ – ٣٠٩ ووردت أجزاء من الخبر في المحبر ٢٣٠ وذيل أمالي القالي ١٣٥ وبلدان ياقوت ٢– ٣٣٣ وفي روايتها اختلاف .

أحقاً على السلطان أما الذي لـــــــه فيُعطَى وأمّا ما يرادُ فيُمْنَعُ

إلخ .. .. ..

و صحبة مالك لسعيد بن عثمان تُعَدُّ المرحلة الأخيرة في حياة هذا الشاعر الذي اختار طريق الجهاد والفتح بعد ان جرّب الحياة، وخبر أساليب الفتك . ويبدو أن السبب الذي من أجله سلك مالك هذا المسلك هو الحاجة التي أقعدته عن مكافأة الإخوان، والعجز عن المعالي، ومساواة ذوي المروءات . وقد صور مالك هذه النوازع عندما استدعاه سعيد بن عثمان وسأله عن الدواعي التي حملته على قطع الطرق والعبث والفساد (١) .فمالك كما أراه فارساً يتمثل فيه خلق الفروسية . وكانت الرغبة في نفسه ملحة لهذا الخلق ، ولكنه لم يجد الوسائل التي تشبع هذه الرغبة ، فانطلق يمارس نشاطه في اطار مفاهيمه التي استجابت لها نفسه .وهي مفاهيم خرجت بمالك عن القيم الحقة التي عرفها الفرسان من الشعراء .

وتُعَد صحبته لسعيد تحوّلاً كبيراً أصاب حياته، واتجاهاً مُغايراً لما أَلِفتْ نفسه لأنه تحوّل من الضلالة إلى الهدى ، وتغيّر من اللهو العابث، والتشرد السائب إلى الهداية الواعية والايمان الموّجه الذي اقتنع به .

ولابد أن تكون علاقة مالك بالسلطان قبل انخراطه هذا علاقة غيرودّية ، لأنه خارج على نظام الدولة ، عابث بأمنها وسلامها ، متمرد على ولاتها وعمالها . وقد انعكست بعض هذه العلاقات في مقطعاته الشعرية . وقد روت بعض المصادر صلة سيئة لمالك بالحجاج . ونحن لانقف عند هذه النقطة من حياته، لاننا لانرى فيها نصيباً من الصحة، سيئة كانت أو غيرسيئة(٢).

شعره :

تمثل قصيدة مالك اليائية التي رثى بها نفسه أشهر قصائده ، لما حصلت عليه من شهرة ، وما حفلت به من معان وصور ، وقيل فيها من أقوال ، تتعلق بأسباب قولها ومناسبتها ، وما حيك حول هذه الاخبار من أساطير ، وما أثيرحولها من شك . فقد ذكر ابن قتيبة أن مالك بن الريب لحق بسعيد بن عثمان بن عفان ، فغزا معه خراسان ، فلم يزل بها حتى مات

(١) الأغاني : ٢٢/ ٣٠٤ – ٣٠٥ وذيل أمالي القالي ١٣٥ والخزانة ١/ ٣٢١ .

(٢) يذكر ابن قتيبة أبياتاً في الشعر والشعراء ٣٥٤ يقدم لها بقوله : قالها يهجو الحجاج ويعيد الابيات في عيون الاخبار ٢٣٦/١ وثلاثة أبيات من القطعة في المعارف ٥٤٨ مع اختلاف الرواية، ويُعد المبرّد مالكا ضمن الاشخاص الذين هربوا من الحجاج فيقول: وممن هرب منه مالك بن الريب المازني ، احد بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم (الكامل=

ولما حضرته الوفاة قال هذه القصيدة (١) ؛ وقال اليزيدي : حدثني محمد بن الحسن قال : سمعت المدائني يقول : رثى مالك بن الريب نفسه بقصيدته هذه قبل موته بسنة(٢) . وقال ابن عبد ربه : وقال مالك بن الريب يرثي نفسه ، ويصف قبره وكان خرج مع سعيد بن عثمان بن عفان لما ولي خراسان ، فلما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه ، فإذا بأفعى في داخلها فلسعته ، فلما أحس بالموت استلقى على قفاه ثم أنشأ يقول(٣) . وقال أبو الفرج : مرض مالك بن الريب عند قفول سعيدبن عثمان من خراسان في طريقه ، فلما أشرف على الموت تخلف معه مرّة الكاتب ورجل آخر ، من قومه من بني تميم .. ومات في منزله ذلك ، فدفنّاه . وقال قبل موته قصيدته هذه يرثي بها نفسه(٤) . وذكر القالي أن مالكاً مكث بخراسان فمات هناك ، فقال يذكر مرضه وغربته ، وقال بعضهم : بل مات في غزو سعيد ، طعن فسقط وهو بآخر رمق . وقال آخرون : بل مات في خان فرثته الجان لما رأت من غربته ووحدته . ووضعت الجن الصحيفة التي منها القصيدة تحت رأسه والله أعلم أي ذلك كان(٥) . وينفرد ياقوت بخبرمالك بن الريب وعلاقته بسعيد بن عثمان بن عفان فيقول : قال السكري في خبر مالك بن الريب : ولى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان خراسان ، فأخذ

=٤٤٦/٢ ويذكر ستة أبيات) ، ونقل صاحب الخزانة نص ابن قتيبة (البغدادي ١٠/ ٣٢١) ومن الجدير بالذكر ان الابيات التي نسبت لمالك — واختلف عددها — موجودة في ديوان الفرزدق (الديوان ١٦٠ صادر) وهي كذلك في حماسة ابي تمام (المرزوقي ٢/ ٦٧٦) و (التبريزي ٢ /١٠٩)والغرابة في هذه الاخبار يوجبها البعد الزمني بين مالك والحجاج، فقد ولى الحجاج العراق دون خراسان وسجستان سنة خمس وسبعين (حوادث سنة ٧٥ في الطبري وابن الاثير) ، واستعمل معاوية سعيد بن عثمان على خراسان سنة ست وخمسين حوادث سنة ٥٦(في المصدرين) . وعزل سنة سبع وخمسين ، وكانت وفاته سنة اثنتين وستين (نسب قريش /١١١ ، ١٤١ وتهذيب ابن عساكر ١٥٤/٦) وهذا يعني ان الفرق بين مالك والحجاج حوالي ثمانية عشر عاماً او اكثر ، فكيف تم اللقاء ، وكيف هرب منه وكيف هجاه ، وكيف ؟؟ . وقد التفت إلى هذه الحقيقة الشيخ المرصفي في رغبة الآمل٢٥/٥.

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٢٧٣ .

(٢) اليزيدي : الامالي ٤٢ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد ٣/ ٢٤٥ .

(٤) أبو الفرج : الاغاني ٢٢ / ٢٢٣ .

(٥) القالي : الذيل ١٣٥ .

على فلج وفليج فمر بأبي حردبة الأثيم ومالك بن الريب وكانا لصين يقطعان الطريق ، فاستصحبهما فصحبه مالك بن الريب المازني ماشاء الله فلم ينل منه مما وعدّه شيئاً ، واتبع ذلك بجفوة فترك سعيداً وقفل راجعاً فلما كان (بأبر شهر) وهي نيسابور مرض فقيل له : أي شيْ تشتهي؟ فقال : أشتهي أن أنام بين الغضا وأسمع حنينه ، أو أرى سُهَيّلاً ، وأخذ يرثي نفسه ، وقال قصيدة جيدة مشهورة (١) .

أما عن نحل القصيدة فقد نقل أبو الفرج عن أبي عبيدة قوله : الذي قاله مالك بن الريب ثلاثة عشر بيتاً ، والباقي منحول ولّده الناس عليه (٢) .

ويبدوا أن اختلاطاً وقع بين قصيدة عبد يغوث بن وقاص الحارثي ، وأفنون التغلبيّ ، وجعفر بن علبة الحارثي ، وقصيدة مالك ، لتشابه هذه القصائد في الوزن والقافية والغرض وتضارعها في بعض المعاني والصور والافكار ، وربما أوحت هذه الامور إلى الذين شكّوا في بعض أبياتها ، معتقدين أن نحلاً أو تداخلاً وقع في بعض الابيات ، فذهبوا هذا المذهب.

لقد رسم مالك من خلال هذه القصيدة الحقيقة التي يحس بها المرء وهو يقابل المأساة ، ويشعر بالنهاية ، ويتلمس أبعاد الحياة التي لابد لها من النهاية المحتومة . وهي حقيقة في الغالب يشوبها الخوف ، ويتناثر في طراياها التفكير المؤلم ، ويتراءى من بين زواياها اليأس المحض .

ومن الطبيعي أن تكون الصور غاية في الروعة ، ونموذجاً في الإبداع ، لأن الموضوع يهم الشاعر نفسه ، فهو صاحب المصير المحتوم ومَنْ أولى برثائه منه . فلا غرابة إذا وجدنا العاطفة الصادقة تتدفق بغزارة ، وتنبعث بقوة ، مُجسّدة آماله في الحياة ، مصورّة نهايته التي أدرك أنه مُلاقيها .

أما الباقي من شعر مالك فقد عالج فيه موضوعات متعددة يغلب عليها الطابع المميز لحياته التي استوطنت الصحارى ، واستقرت في الشعاب المقفرة ، إنّ هذه الحياة جعلته يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالموصوفات المحيطة به ، فالحيوانات التي يعرض لها هي حيوانات الصحراء التي اعتاد رؤيتها ، وألف مصاحبتها ، والصور التي ينتزع صوره منها هي صور الارض الفسيحة التي كان ينطلق فوقها بكل رحابة وجلد . وتحدث عن المواضع التي كان يَمرُّ بها ، أو يقف عندها ، أو يستقر فوقها . وتحدث عن الذئب والأسد ، وصور الإبل والوحوش ،

---

(١) ياقوت : معجم البلدان (أبَرْ شَهْر) .

(٢) أبو الفرج : الاغاني ٢٢ / ٣٢٤ .

وأشار إلى المهامة والرمال والرياح والظلام . وتعد قصيدة مالك التي قالها في الذئب من القصائد الجديدة في فكرتها ، لأن الشعراء القدامى كانوا يأتون على ذكر الذئب في مجالات متنوعة ، وأبرز هذه المجالات التي عرض لها الشعراء الجاهليون ، المبالغة في كرم الضيافة ، لأنهم كانوا يجعلون من الذئب الجائع ضيفاً يقرُونه ، ويأنسون به ، وتجاوز بعضهم هذه الصورة إلى الزعم بأن الذئب كلمه . وما قصة ذئب أهبان بن أوس إلا دليل من أدلة ذلك (١) ويتعرض امرؤ القيس للذئب فيصوّر لنا مقابلته له ، وقد أضرّ به الجوع ، فبدأ يعوي . ثم يرسم لنا بعض الصور العاطفية المتبادلة بينه وبين هذا الذئب(٢) . ويقدم المرقش الأكبر صورة أخرى للذئب الذي عراه مستضيفاً فأكرمه كما يكرم الضيف . ويصور لنا فكرة الكرم الاصيل الذي يقدم للضيف مهما كان شكله ، لايفرق بين تقديمه بين إنسان وحيوان(٣): وتعد الصورة التي قدمها الشنفرى من أروع الصور رسماً ، لأوصافها الدقيقة ، وتصويرها الموفق لحركات هذا الحيوان وعاداته ، وما يعتريه من أحوال إذا انتابه الجوع ، ولفه الطوى . ولم تكن الصورة غريبة عن الشاعر ، لتقارب السبيل الذي يسلكه الذئب والشنفرى من أجل البقاء والحياة (٤) .

أما مالك فقد كانت صورته للذئب جديدة، ومقابلته له مغايرة ، للصور التي عودنا عليها الشعراء القدامى ، والنتيجة التي ختم بها حكايته مخالفة للنهايات التي انتهت اليها قصص الشعراء الذين سبقوه . وهذا ماجعلني أقف هذه الوقفة ، وأسرد هذا السرد ، لأوضح الشكل الجديد الذي أرتسم في ذهن الشاعر لهذا الحيوان . فقد ذكر أبو الفرج أنه بينما مالك بن الريب ليلة نائم في بعض مفازاته ، إذ بيّته ذئب ، فزجره فلم يزدجر ، فأعاد فلم يبرح ، فوثب اليه بالسيف فضربه ، فقتله ، وقال مالك في ذلك(٥) .

أذئب الغضا قد صرت للناس ضحكة
تَقَاوَى بك الركبان شرقاً إلى غرب

---

(١) الجاحظ : الحيوان ٢٩٨/١ ، ٥١٣/٣ ، ٨٠/٤ ، ٥٠/٧ ، ٢١٧ .
(٢) ينظر ديوان امرىء القيس – ٣٦٣ – ٣٦٤ .
(٣) المفضل : المفضليات ٢٦/٢ .
(٤) الزمخشري : أعجب العجب ١٦ – ١٨
(٥) أبو الفرج : الاغاني ٣١٥/٢٢ .

فأنت وإن كنت الجريْ جنـانـه
منيت بضرغام مـن الاسدِ الغُلب

الخ ..

إن الصورة التي يقتل فيها الذئب جديدة بالنسبة للشعراء .

وظاهرة أخرى تتصل بظاهرة وصفه للذئب ، وتتمثل هذه الظاهرة في أبياته التي ذكر فيها الرجل الاسود ، الذي أتاه في بعض هنانه وهو نائم ، وكان لاينام إلا متوشحاً بالسيف. لقد سرد في هذه القطعة قصة شعرية ، سار فيها وفق تسلسل الحوادث ، واتصال الأخبار ، وقد وفق في السرد توفيقاً كبيراً . ومن الجائز أن تكون الصورة غير حقيقيّة ولكن تفرده في الصحراء ، وتعوّده حياة الوحدة جعله يوحي لنفسه بهذا الخيال — وربما كانت ظاهرة حديثه عن الذئب من هذا الباب — فرسم الاشباح التي كانت تتأرجح بين الحتمية والخيال ، رسماً متحركاً وبث فيه من روحه الغارقة في قيم المصاولة والمخاصمة ماجعله يقارب الحتمية حتى يخيّل للقاريْ أن الموضوع متكامل الابعاد :

أدلجتُ في مهمهٍ ما إن أرى أحـداً
حتى إذا حـان تعريسٌ لمن نـزلا
وضعت جنبي وقلت الله يكلؤنـي
مهما تنم عنك مـن عين فما غفلا
والسيف بيني وبين الثوب مُشعِرهُ
أخشى الحوادث إني لم أكـن وكلا
مـا نمتُ إلا قليلاً نِمتـهُ شَئزاً
حتى وجدتُ على جـثماني الثقلا
داهيـة مـن دواهي الليـل بيتني
مجاهداً يبتغـي نفسي ومـا ختـلا
أهويت نفحـاً لـه والليل سائـره
إلا توخيته والجـرسَ فـانخزلا

وقال مالك في ذلك أيضاً :

ياغاسلا تحت الظلام مطية
متخايلاً لابـل وغير مخـايـل

إني أنخْتُ لشائك أنيـــابـه
متأنسٍ بـدجى الظـلام منـازل

الخ ...

لقد كان شعر مالك مادة خصبة للمؤرخين ، استشهدوا ببعض أبياته لتأكيد بعض الوقائع ، وتثبيت بعض الحقائق . وكان شعره مادة للجغرافيين العرب وخاصة البكري وياقوت ، اعتمدو المواضع التي ذكرها . فأورد البكري اثني عشر موضعاً ذكرت في شعره هي أُوْد ، جُمُرْان ، دَخْن ، تثليث ، الرقمتان، السمينة، الشبيكة، طاسي ، عنيزة ، قرقرى، المنيفة، وبار .
أما ياقوت فقد استشهد بها لاكثر من سبعين بيتاً على الرغم من قلة شعر مالك . وإلى جانب هذه الاهمية ، فقد كان شعره وثيقة مهمة اعتمدتها في جلاء كثير من حقائق شخصيته وكشف امور غامضة من حياته ، عجزت عن ادائها الاخبار ، وسكتت عن رواتها المصادر — كما رأينا — .

إن هذه الخصائص التي وقف عندها القدامى من المؤرخين والجغرافيين واللغويين لم تجد مجالاً عند النقاد الاوائل ، ويبدوا أن الإغفال قد أسدل على شعره ستائره . وربما كان لسلوكه الذي عرف به أثرٌ في ضياعه وإغفال شعره .

إن هذه الدراسة الموجزة لحياة هذا الشاعر تُعَدّ خلاصة لما قدرت على جمعه من أخباره ، واستوحيته من أشعاره . وأرجو أن يوفق من يجد من أخبار الشاعر أو شعره في المستقبل إلى مايكشف عن الجوانب الاخرى في حياة هذا الشاعر المضاع . والله الموفق .

—١—

حبس مالك بمكة في سرقة ،فشفع فيه شمّاس بن عُقْبة المازني فاستنقذه ، وهو القائل في الحبس :

(من الطويل)

١ — أتَلْحقُ بالريبِ الرفاقُ ، ومالكٌ
بمكةَ في سجنٍ يُعَنِّيه راقبُهْ

— ٢ —

(من الطويل)

١ — (و) إنْ أكُ مَضروباً إلى ثَوبِ آلفٍ
من القَوم ،أمْسَى وهو أمدرُ جانبهْ

— ٣ —

قال أبو عبيدة : لما خرج مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان ،تعلقت ابنته بثوبه وبكت وقالت له : أخشى أن يطول سفرك ،أو يحول الموت بيننا فلا نلتقي .فبكى وأنشأ يقول :
(من الخفيف)

١ — ولقد قلتُ لابنتي وهْي تبكي
بدخيلِ الهمومِ قلباً كئيبا

٢ — وهْي تذري من الدموع على الخدين (م)
من لوعةِ الفراقِ غُروبا

٣ – عبراتٍ يكدن يخرجن ماجز
ن به أو يَدّعن فيه ندُوبا

٤ – حذرَ الحتفِ أن يصيب أباها
و يُلاقي في غير أهلٍ شعُوبا

٥ – اسكتي قد حززتِ بالدمع قلبي
طالما حزّ دمُعكنّ القلوبا

٦ – فعسى اللهُ أن يدافع عنّي
ريْبَ ما تحذرينَ حتى أؤوبا

٧ – ليسَ شيءٌ يشاؤه ذو المعالي
بعزيزٍ عليه فادعى المجيبا

٨ – ودعي أن تُقطّعي الآن قلبي
أو تُريني في رحلتي تعذيبا

٩ – أنا في قبضة الإله إذا كنتُ (م)
بعيداً أو كنت منك قريبا

١٠ – كم رأينا امرءاً أتى من بعيدٍ
ومقيماً على الفراش أصيبا

١١ – فدعيني من انتحابك إني
لا أبالي – إذا إعترمتُ – النحيبا

١٢ – حَسْبيَ اللهُ ثمّ قرّبتُ للسير
علاةً أنجِبْ بها مركوبا

وبينما مالك بن الريب ليلةً نائم في بعض مغاراته إذْ بيّته ذئب ، فزَجره فلم يزدجر: فاعاد فلم يبرح ، فوثب إليه بالسيف فضربه فقتله . وقال مالك في ذلك .

(من الطويل)

١ — أذئبَ الغَضا: قد صرتَ للناس ضحكة
تُغادي بك الركبانُ شرقاً إلى غرب

٢ — فأنت وإنْ كنت الجريء جَنانهُ
مُنيتَ بضِرغامٍ من الأسُدِ الغلبِ

٣ — بمن لا ينام الليل إلاّ وسيفُه
رَهينةُ أقوام سِراع إلى الشغب

٤ — ألمَ ترني — ياذئب — إذْ جئتَ طارقا
تُخاتِلني أنيِ أمرؤ وافر اللب

٥ — زجرتُكَ مراتٍ فلما غلبتَني
ولم تنزَجر نَهنهتُ غَرْبك بالضرب

٦ — فصرت لقى لما علاك ابن حرة
بابيض قطاع ينجى من الكرب

٧ — ألاَ ربّ يومٍ ريبَ لو كنت شاهداً
هنالكَ ذكرى عند معمعة الحرب

٨ — ولستَ ترى إلا كَمِيّا مُجدّلاً
يداه جميعاً تثبتان من الترب

٩ — وآخر يهوي طائرَ القلب هارباً
وكنتُ أمرءاً في الهيّجْ مجتمع القلب

١٠ — اصول بذي الزّرين أمشي عرضنة
إلى الموت ، والأقرانُ كالإبل الجرب

١١ — أرى الموتَ لا أنحاشُ عنه تكرما
ولو شئت لم أركب على المركب الصعب

١٢ — ولكنْ أبت نفسي وكانت أبيّةً
تقاعسُ أو ينصاعُ قومٌ من الرعب

— ٥ —

وقال مالك بن الريب المازني :

(من الطويل)

١ — عليّ دماء البُدْنِ إنْ لم تمارقي
أبا حَرْدب يوماً واصحابَ حرْدبِ

٢ — سرَت في دُجا ليل فاصبح دونها
مَفاوزُ جمران الشرَيف وغرّب

٣ — تطالع من وادي الكلابِ كأنها
وقد أنجدتْ منه فريدةُ ديدبِ

— ٦ —

(من الطويل)

١ — من آرمل رمل الحوش أوغاف راسب
وعهدي برملِ الحوش وهو بعيدُ

— ٧ —

وقال مالك بن الريب

(من مجزوء الكامل)

١ — العبدُ يُقرع بالعصا والحرُّ يكفيه الوَعيدْ

— ٨ —

(من الوافر)

١ — يقول المشفقون على حتَى
متى تلقَى الجنودَ بغير جُندِ؟

٢ — وما مَن كان ذا سيف ورمح
— وطابَ بنفسه مَوْتاً — بفردِ

— ٩ —

(من الطويل)

١ — لِيهْنِك أني لم أجدْ لك عائباً
سوى حاسدٍ ، والحاسدون كثيرُ

٢ — وأنك مثلُ الغيثِ أمّا نباتُه
فَظِلٌّ وأما ماؤه فطَهورُ

— ١٠ —

(من الرجز)

١ — يستعذبون الموتَ ، وهو مُرٌّ
٢ — إذا تَنابيلُ الرجالِ ازْوَرّوا
٣ — وكرِهوا مكروهَهُ فقرّوا

— ١١ —

قال مسلمة : قَدِمَ سعيد بن عثمان فقطع النهر إلى سمرقَنْد ، فخرج اليه أهل الصغْد فتوافقوا يوماً إلى الليل ثم انصرفوا من غير قتال . فقال مالك بن الريب يذم سعيداً :

(من الطويل)

١ — ما زلتَ يومَ الصغْدِ تُرعَدُ واقفاً
من الجبن حتى خفتُ أن تتنصرا (١)

٢ — وما كان في عُثمانَ شيءٌ علمتُه
سوى بسله في رهطِـه حين أدبرا

٣ — ولو لا بنو حربِ اطُلِّتْ دماؤكم
بُطونَ العَظايا من كُسير واعورا

— ١٢ —

كان السبب الذي من أجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس أنه كان يقطع الطريق هو وأصحابٌ له ، منهم شظاظ ، وهو مولى لبني تميم ، وكان أخبثهم ، وأبو حردبة أحد بني اثالة بن مازن ، غويث احد بني كعب بن مالك بن حنظلة ، وفيهم يقول الراجز :

اللهُ نجاك من القَصيم
وبطْنِ فَلْجٍ و بني تميم

الخ ......

---

(١) الصُّغْد : كورة قصبتها سمر قند .

فساموا الناس شرّاً .وطلبهم مروان بن الحكم ، وهو عامل معاوية على المدينة ، فهربوا فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحي ، وهو عامله على بني عمرو بن حنظلة ، فطلبهم ، فهربوا منه . وبلغ مالك بن الريب أن الحارث بن حاطب يتوعّده فقال :

(من الوافر)

١ — تألّى حلْفةً في غير جُرمٍ
أميري حارثُ شِبْهَ الصِّرار (١)

٢ — عليَّ لاجلدَنْ في غير جُرمٍ
ولا أدْنى فينفعني اعتذاري

٣ — وقلتُ وقد ضممتُ إلي جأشي
تحلّلْ ، لا تألَّ على حار

٤ — فإني سوف يكفينيك عزمي
ونَصّي العيسَ بالبلدِ القِفار (٢)

٥ — وعَنْسٌ ذاتُ مَعْجَمةٍ أمونٌ
عَلَنْداةٌ موثّقةُ الفقارِ (٣)

---

(١) الصرار : مايشد فوق خلف الناقة من خيط .
(٢) النص : الاستحثاث الشديد .
(٣) العنس : الناقة القوية . والعلنداة : الغليظة . وناقة ذات معجمة : ذات سمن وقوة وبقية في السير .

اعتمدت في تثبيت النص كتاب الاغاني بتحقيق عبد الستار احمد فراج ، وانتفعت من الشروح المثبتة في الكتاب في تفسير ما صعب من الالفاظ .

٦ ــ تَزيفُ إذا تواهقت المطايا
كما زافَ المشرّف للخطار (١)

٧ ــ وإن ضربت بلَحْييها وعامت
تَمصَّمَ عنهما حَلَسَنُ السفّار

٨ ــ مراحاً غير ما ضِغْنٍ و لكنْ
لحاجاً حين تشتبه الصحاري

٩ ــ إذا ما استقبلت جَوْناً بهيما
تفرّجَ عن مُخَيِّسه حِصاري (٢)

١٠ ــ إذا ما حال روضُ رُبابِ دُرنا
وتثليثٍ فشأنك بالبكاري (٣)

١١ ــ وأنيابٍ سيُخْلِفُهنّ سيفي
وشَدّاتُ الكميّ على التِّجار

١٢ ــ فإنْ أَسْطِعْ أَرِحْ منه أناسي
بضربة فاتكٍ غير اعتذار

١٣ ــ وإنْ يُمْنَت فإني سوف ألقى
بنيه بالمدينةِ أو صِرارِ (٤)

---

(١) تزيف : تسرع في تمايل . وتواهقت الابل : مَدّ كلٌّ واحد عنقه في السير وبارى الآخر .

(٢) الحصار : شيء كالوسادة ، يوضع على ظهر الجمل ويركب فوقه . والمخيس : ما بداخل الحصار . واصل المخيس: موضع التخييس وهو المحبس.

(٣) الرُّباب بضم اوله اكثر ما يأتي مضافاً إلى الروض ، وهي رياض معروفة لبني عقيل وتثليث من بني عقيل ايضاً ، وهي تلقاء بيشة .

(٤) صرار : بئر قديمة ، على ثلاثة اميال من المدينة ، تلقاء حرّة واقم .

١٤ ـ ألا مَنْ مُبلغ مَرْوَانَ عَنّي

فإني ليس دهري بالفرارِ

١٥ ـ ولا جَزِعٍ من الحَدثان يوماً

ولكني أرُود لكم وَبارِ(١)

١٦ ـ بهزمارٍ تراد العيسُ فيها

إذا أشْفَقْن من قَلَقِ الصفار(٢)

١٧ ـ وهُنّ يُخشْنَ بالأعْناقِ خوشاً

كأنّ عظامَهنّ قداحُ باري

١٨ ـ كأن الرحلَ أسأرَ من قَرَاها

هلالَ عَشيَةٍ بعَد السِّرار (٣)

١٩ ـ رأيتُ وقد أتى بُحرانُ دوني

لليلي بالغُمَّيم ضوء نار (٤)

٢٠ ـ إذا ماقلتُ : قد خَمدتْ زَهاها

عصى الزَّنْد والعُصْفُ السواري

---

(١) وَبار : مبني على الكسر ، مثل حذَام وقَطَام . ومنهم من يعربه ولكنه لايجري وهي لغة بني تميم ، وفي قوله مالك مبني ، وهي ارض لم يطأ احد ثراها .

(٢) الهزمرة : الحركة الشديدة ، ويريد بها الناقة الشديدة السرعة .

(٣) السؤر : البقية . والسرار : الليلة التي يستسرُّ فيها القمر .

(٤) في بعض طبقات الاغاني : وقد أتى نجران .. وتهجر . والغميم : واد وقد أتى مصغراً في شعر جرير والشماخ (انظر الغميم في معجم ما استعجم)

وبين بيت الشماخ وبيت مالك شبه حيث يقول الشماخ : لليلى بالغُمَيّم ضوءَ نار .

٢١ ـ يشبُ وقودُها ويلوح وَهناً

كما لاح الشّبوب من الصواري

٢٢ ـ كأن النارَ إذْ شُبّت لليلى

أضاءَت جيدَ مُغْزِلة نوَارِ

٢٣ ـ وتصطادُ القلوبَ على مَطَاها

بلا جَعْد القرونِ ولا قصار

٢٤ ـ وتبسمَ عن نَقّي اللونِ عَذْبٍ

كما شيف الأقاحي بالقُطارِ(١)

٢٥ ـ أتَجْزَع أنْ عرفتَ ببطن قوٍّ

وصحراءِ الأديّم رسمَ دارِ ؟

٢٦ ـ وأن حَلّ الخليطُ ولستَ فيهم

مَرابع بين دَحْلَ إلى سرارِ (٢)

٢٧ ـ إذا حَلّوا بعَاثجةٍ خلاءٍ

تُقَطّف نوْرَ حَنْوَتها العَذارى(٣)

---

(١) شيف : زين . القطار : المطر .

(٢) في بلدان ياقوت (الذحل) ... مراتع بين دَحْل .. وفي معجم ما استعجم : دَحْل بفتح اوله واسكان ثانيه : وادٍ يتصل بسرار من ديار بني مازن

(٣) الحنوة : نبت طيب الريح . وفي بعض نسخ الاغاني :

إذا حلوا بعالجة خلاءَ تعطف كور حنوتها العَرار

والتصحيح من بلدان ياقوت (الذحل) ..

— ١٣ —

وقال مالك بن الريب يهجو مروان :

(من الطويل)

١ — لَعمرك مامَرْوان يَقضي أُمُورَنَا
ولكن ما تَقضي لنا بِنتُ جَعْفرِ

٢ — فيا ليتها كانت علينا أَميرةً
وليتكَ يامَرْوان أَمْسَيت ذا حِرِ

— ١٤ —

قال مالك في مهربه — بعد أن قتل الأنصاري وغلامه — للبحرين ، ومنها انتقل إلى فارس ، فراراً من هذا الحدث :

(من الطويل)

١ — أحقاً على السلطان : أما الذي له
فيُعْطَى ، وأمّا مايُرادُ فيمنع

٢ — إذا ماجعلت الرمل بيني وبينهُ
وأعرض سَهبٌ بين يَبرين بَلقَعُ (١)

٣ — من الأدَمى لايستجمّ بها القطا
تظل الرياح دونه تتقطع (٢)

٤ — فَشأنَكمُ يآل مروان فاطلبوا
سِقاطي فما فيه لِبَاغيه مَطمعُ

٥ — وما أنا كالعَيْر المُقيم لأهله
على القَيْد في بحبوحةِ الضَيم يرتَعُ

(١) السَّهْب : الفلاة ، وقيل : ما بَعُدَ من الارض واستوى في طمأنينة .

(٢) أدمى : بضم اوله وفتح ثانيه بعد ميم مفتوحة ايضاً ثم ياء ، على وزن فعَلى موضع من بلاد بني سعد .

٦ ـ ولولا رسول الله أن كان منكم
تبيّن مَن بالنصف يرضى ويقنعُ

ـ١٥ـ

(من الطويل)

١ ـ وأنت إذا مـا كنتَ فـاعِلَ هذه
سِناناً فما يُلقَى لِحيْنك مَصرَعُ (١)

ـ١٦ـ

قال مالك حين قتل غلام الأنصاري الذي كان يقوده :

(من الطويل)

١ ـ غلام يقول السيف يُثقل عـاتِقي
إذا قادني وسط الرجـال المُجحَنْدل(٢)

٢ ـ فلَولا ذباب السيف ظَـلّ يقودني
بِنسْعتِه شثْنُ البنان حـزَنْبـل (٣)

ـ١٧ـ

قالوا : وبينا مالك بن الريب ذات ليلة في بعض هناته وهو نائم ، وكان لاينام إلا متوشحاً بالسيف ، إذ هو بشيء قد جثم عليه لايدري ماهو ، فانتفض به مالك فسقط عنه ، ثم انتحى له بالسيف فقدّه نصفين ، ثم نظر إليه مالك فإذا هو رجل أسود كان يقطع الطريق في تلك الناحية ، فقال مالك في ذلك :

---

(١) المسانة : ان يبتسر الفحلُ الناقة قهراً ، والمعنى : فاعل هذه قهراً وابتساراً ويبدو ان هذا البيت ينتمي إلى القصيدة السابقة لوجود العلاقة القائمة بينه وبين الابيات من حيث المعنى .

(٢) البيت في اللسان (جنحدل) وروايته ، عَلاَمَ تقول .... الرجال الجنَحْدلُ . وقال والجنحدل القصير

(٣) يقال : شثن البراثن : خشنُها ، وكذلك يقال في البنان .
والحزنبل من الرجال : القصير الموثّق الخلْق ، وقيل هو القصير فقط .

(من البسيط)

١ – أدلجتُ في مَهْمهٍ ما إنْ أرى أحداً
حتى إذا حَانَ تعْريسٌ لمن نَزَلا

٢ – وضعتُ جَنبي وقلْتُ اللهُ يَكْلَؤني
مَهما تَنَم عَنكَ من عَينٍ فَما غفلا

٣ – والسَيفُ بيني وبين الثوبِ مُشْعِرُهُ
أخشى الحوادث إني لم أكنْ وكلا

٤ – مانمتُ إلا قَليلاً نمتهُ شئزاً
حتى وجدتُ على جُثمانيٌ الثقلا (١)

٥ – داهيةٌ من دواهي الليل بيّتني
مُجاهداً يبتغي نفسي وما ختلا

٦ – أهْوَيتُ نفحاً له والليلُ سَاترهُ
إلا تَوخيتَه وَالجَرْسَ فانْخَزلا

٧ – لما نَى اللهُ عني شَرَّ عَدْوتهِ
رقدتُ لا مُثبِتاً ذُعراً ولا بعلا (٢)

٨ – أوقدتُ ناري وما أدري إذا لبد
يغشَى المُهَجْهَجَ عَضَّ السيفِ أو رَجُلا (٣)

٩ – أما ترى الدارَ قفراً لاأنيس بها
إلا الوحوش وأمسى أهلُها احتملا

١٠ – بين المُنيفة حيثُ اسْتنّ مَدْفعها
وبين فَرْدَةَ من وَحْشيِّها قَبلا (٤)

١١ – وقد تقولُ وما تخفي لجارتِها
إني أرى مالكُ بن الريب قد نحلا

---

(١) الشئز : القلق .

(٢) البَعل : البَرِم الذي لم يدر كيف يصنع ، وقيل : الدهش عند الروع .

(٣) يقال : هَجهج السبع وهجهج به : صاح به وزجره ليكف . يعني : الاسد يغشى مهجهجاً به فينصب عليه مسرعاً. وقيل الهجهجة: حكاية صوت الرجل إذا صاح بالاسد .

(٤) ورواية البيت في معجم ما استعجم (المنيفة) .. وبين فَرْدَةَ من شرقيها قَبلا.
وفردة : ماءة من مياه جَرْم . والمنيفة : ماء لتميم على فَلَج .

١٢ ـ من يَشهد الحرب يَصلاها ويُسعرُها
تـراه ممـا كَسَتْـه شاحباً وَجلا

١٣ ـ خذهـا فإني لضرَّاب إذا اختلفت
أيدي الرجال بضربٍ يَختلُ البطلا

—١٨—

وقال مالك في الحادثة المتقدمة أيضاً :

(من الكامل)

١ ـ ياغاسلاً تحتَ الظّلامِ مطيّهُ
متخايلاً لا بل وغير مخايلِ

٢ـ إنّي أنختُ لشائكٍ أنيابهُ
مُستأنسٍ بدجى الظلامِ مُنازل

٣ ـ لايَستريعُ عظيمةً يُرْمَى بهـا
حَصّـاء تحسِـرُ عن عظـام الكاهل(١)

٤ ـ حَرباً تنصّبهُ بنبت هواجـر
عاري الأشاجع كالحُسام الناصِـل

٥ ـ لم يَدرِ ما غُرف القصور وفَيْؤها
طـاوٍ بِنخـل سوادِهـا المتمـايِـل

٦ ـ يقظ الفؤاد إذا القلوب تأنست
جرعاً ونُبّه كل أروع باسـل

٧ ـ حيث الدجى مُتَطَلِعاً لغفوله
كالذئب في غَلَس الظلامِ الخَاتِل

٨ ـ فَوَجَدْتهُ ثَبْتَ الجنان مُشَيّعاً
ركاب منسج كل أمر هائل

---

(١) يستريع : يتحير .

---

١٣ ـ البيت زيادة من نوادر أبي زيد الانصاري ، والرواية فيها : بضرب يختل البصلاء

٩ ـ فقراك أبيض كالحقيقة صارماً
ذا رونق يغشى الضريبة فاصِل

١٠ ـ فركبت رَدْعَك بين ثُنْيا فائزٍ
يعلو به أثرُ الدماءِ وشائل (١)

ـ١٩ـ

ولما أحس بالموت قال يذكر ابنته شهلة (٢) :

(من المتقارب)

١ ـ تُسائل شَهْلةُ قفالها
وتَسْأَلُ عن مالكٍ ما فعَلْ

٢ ـ ثوى مالك ببلادِ العدوّ (م)
تَسْفي عليه رِياحُ الشَمَلْ (٣)

٣ ـ لذلك شَهْلَةُ جَهَّزَتني
وقد حالَ دون الإيابِ الأجَلْ

ـ٢٠ـ

قال مالك بن الريب :

(من الرجز)

١ ـ إذا وجدْنا طَردَ الهَوامِلِ
خيراً من التأْنانِ والمسائِلِ (٤)

---

(١) يقال للقتيل : ركب رَدْعه : إذا خرّ لوجهه على دمه ، وقيل ردعه : دمه . الثنيا : الرأس والقوائم . وشائل معطوفة على فائز .

(٢) كذا ورد الخبر في معجم الشعراء /٢٦٥ وأظن الخبر والابيات تدل على ان شهلة هي زوجته لا ابنته .

(٣) اراد الشمال فحذف الالف .

(٤) التأنان : الأنين وفي اللسان (برك) روى ابراهيم عن ابن الاعرابي انه انشد لمالك بن الريب :

إنا وجدْنا طرد الهَوامِل والمشي في البركة والمراجل

وقال : البركة : جنس من برود اليمن ، وكذلك المراجل .

٢ ـ وعِدةً العام وعامٍ قابل
ملقوحةً في بطنِ نابٍ حائل(١)

— ٢١ —

وقال مالك بن الريب في مهربه :

(من البسيط) :

١ ـ لو كنتمُ تُنكرونَ الغدر قلتُ لكم
يـاآل مراون جارى منكُمُ الحَكَمُ

٢ ـ وأتقيكم يمين الله ضاحية
عندَ الشهودِ وقد تُوفى به الذمِمُ

٣ ـ لاكنت أحدث سوءاً في إمارتكم
ولا الذي فاتَ مني قبل ينتقمُ

٤ ـ نحن الذين إذا خفتم مُجَلِّدَةً
قلتم لنا إننا منكم لتعتصموا

٥ ـ حتى إذا انفرجت عنكم دُجُنَّتها
صرتم كَجَرْمٍ فلا آلٌ ولا رَحِمُ(٢)

—٢٢—

وقال مالك بن الريب :

(من الوافر)

١ ـ تُذَكرني قبابُ التُّركِ أهلي
ومبداهم إذا نَزَلوا سَناما (٣)

---

(١) يريد انها عدة لا تصح لان بطن الحائل لايكون فيه سقب مُلقحة .

(٢) في حماسة ابن الشجري / ٧٣ :

... إذا انفرجت عنا مخافتها صرتم كجدم...

(٣) سنام : جبل مشرف على البصرة ، يعني انه لما نزل قباب الترك تذكر سناماً .

٢ ــ وصوتُ حمامةٍ بجبال كِسٍ
دعَتْ مَعَ مطلع الشمس الحماما (١)

٣ ــ فبتُّ لصوتها أرِقاً وباتَت
بمنطقها تُراجعنا الكلاما

ــ ٢٣ ــ

كان مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان بن عفان (رضي) حين شخص إلى خراسان فبيناهم في الطريق إذ فقد صاحب إبل سعيد الذي كان يحلب لهم واحتاجوا إلى اللبن . فاستدنى مالك بن الريب ناقة غزيرة ، فاحتلبها فاذا هو أحسن الناس حلباً ، وأغزره دراً فقال سعيد : هل لك أن تقيم في ابلي وأجزل لك رزقاً مضافاً إلى رزقك ، وأضع عنك الغزو . فأبى ذلك وقال (٭) :

(من الطويل)

١ ــ إني لأستحيي الفوارس أن أرى
بأرض العدا بَوَّ المخاض الروائم (٢)

٢ ــ وإني لأستحيي إذا الحرب شمرت
أن ارخى وقت الحرب ثوبَ المسالم

٣ ــ وما أنا بالثاني الحفيظة في الوغى
ولا المتّقى في السِّلم جرّ الجرائم

٤ ــ ولا المتأنى في العواقب للذي
أهم به من فاتكات العزائم

٥ ــ ولكنني مستوحد العزم مُقدم
على غمرات الحادث المتفاقم

٦ ــ قليل اختلاف الرأى في الحرب باسلٌ
جميع الفؤاد عند حلّ العظائم

(١) كِسّ ، بكسر اوله وتشديد ثانيه : مدينة تقارب سمر قند .

(٢) الرأم : الولد ، ويقال للبو والولد : رأم .

(٭) اعتمدت في تثبيت الابيات كتاب الاغاني ، طبع دار الثقافة ، وقد وجدت بعض الاختلاف في طبع ساسى وحماسة ابن الشجري ٢٢ .

فلما سمع ذلك منه سعيد بن عثمان علم أنه ليس بصاحب إبل ، وانه صاحب حرب فانطلق به معه .

— ٢٤ —

جاء في بلدان ياقوت (طاسى) . قوله : طاسى بالقصر : موضع بخراسان كان لمالك ابن الريب المازني فيه وفي يوم النهى بلاء حسن ، قاله السكرى في شرح قوله :

يا قَلّ خير أمير كنت أتبَعهُ
أليس يرهبني أم ليس يرجوني

أم ليس يرجو إذا ماالخيل شَمصها
وقْعُ الأسنّة عطفى حين يدعوني

لاتحسَبَنّا نسينا من تَقادُمِهِ
يوماً بطاسى ويوم النهر ذي الطين(١)

— ٢٥ —

جاء في ذيل أمالي القالي ١٣٥ : «وقال مالك يذكر مرضه وغربته بعد أن مكث بخراسان إلى أن مات هناك ، ثم قال : وقال بعضهم : بل مات في غزو سعيد ، طعن فسقط وهو بآخر رمق . وقال آخرون : بل مات في خان ، فرثته الجان لما رأت من غربته ووحدته، ووضعت الجنُّ الصحيفة التي فيها القصيدة تحت رأسه ، والله أعلم أي ذلك كان .

وقال اليريدي في أماليه/ ٤٤ بعد أن روى القصيدة (وفي روايته اختلاف ونقص في بعض الأبيات) حدثني محمد بن الحسن الأحول قال : سمعت المدائني يقول : رثى مالك ابن الريب نفسه بقصيدته هذه قبل موته بسنة :

(من الطويل)

١ — ألا ليت شعري هل أبيتَنّ ليلةً
بجنب الغَضا أُزجِي القِلاص النّواجيا(٢)

---

(١) في معجم ما استعجم : (طاسى) ويوم النهى

(٢) الغضا : شجر ينبت في الرمل ولا يكون غضا إلا في الرمل .

٢ ــ فَلَيتَ الغَضا لم يقطعِ الرَّكبُ عَرْضَهُ
وليت الغضا ماشَى الركاب لياليا(١)

٣ ــ لقد كان في أهل الغضا لو دنا الغضا
مَزارُ ولكنَّ الغضا ليسَ دانيا

٤ ــ ألم تَرني بِعتُ الضَلالة بالهُدى
وأصبحتُ في جيشِ ابنِ عفّان غازيا(٢)

٥ ــ وأصبحت في أرض الأعاديّ بعدما
أراني عن أرض الأعاديّ قاصيا (٣)

٦ ــ دعاني الهوى من أهل أودَ وصُحبتي
بذي الطَبَسَين فالتفتُّ ورائيا (٤)

٧ ــ أجَبْتُ الهوى لما دعاني بِزَفرَةٍ
تَقَنّعتُ منها أن ألامَ ردائيا

٨ ــ أقول وقد حالت قرى الكرد بيننا
جزَى الله عَمْراً خيرَ ما كان جازياً (٥)

٩ ــ إنِ الله يَرْجِعني من الغَزو لاأرى
وإن قلَّ مالي طالباً ما ورائيا (٦)

---

(١) الركاب : الابل .

(٢) يقول : بعت ما كنت فيه من الفتك والضلالة بأن صرتُ في جيش المسلمين .

(٣) البيت زيادة من امالي القالي (الذيل ١٣٥) . وهو غير مذكور في امالي اليزيدي وجمهرة القرشي .

(٤) اود : موضع . والطبسان : موضع بخراسان .

(٥) لم يذكر البيت في جمهرة القرشي . وهو زيادة من أمالي اليزيدي / ٤٠ وذيل أمالي القالي / ١٣٦ .

(٦) يريد : لا اسافر واقيم واقنع بما عندي . وهو ايضاً غير موجود في الجمهرة ، وانما ذكر في امالي اليزيدي وذيل امالي القالي .

---

(٢) يضيف ياقوت في معجمه (الغضا) بيتاً بين الثاني والثالث وهو :

وليت الغضا يوم ارتحلنا تقاصرت بطول الغضا حتى ارى من ورائيا

واشك في نسبته إلى مالك .

١٠ ــ تقول ابنتي لما رأت طُولَ رحلتي
سفارُكَ هذا تاركي لاَ أبـاً ليـا (١)

١١ ــ لَعمري لَئن غَالتْ خراسانُ هَامتي
لقد كنتُ عن بابي خرَاسان نائيـا

١٢ ــ فإن أنجُ من بابي خرُاسان لا أعُـدْ
إليهما وإن منّيتموُني الأمَانيا (٢)

١٣ ــ فَلله دَرّي يوم أتُرُكُ طائعـاً
بَنيّ بأعلى الرقمتين ومَاليـا (٣)

١٤ ــ ودرّ الظبـاء السانِحات عَشيّـةً
يخبرنَ أني هَالِكُ مَنْ ورائيا

١٥ ــ ودرّ كبيريّ اللـذين كلاهُمَـا
عَليّ شفيق ناصحُ لو نَهَـانيـا

١٦ ــ ودرُّ الرجـال الشاهدين تفتُّكـي
بأمري ألا يَقْصُروا مِنْ وَثاقيا (٤)

١٧ ــ ودرّ الهوى من حيثُ يَدعو صحابتي
ودرّ لجاجتي ودرّ انتهَائيـا

١٨ ــ تذكرتُ من يبكـي عليّ فلم أجِـد
سوى السيف والرُمح الرُّدينيباكيا

---

(١) تقول العرب : قم لا ابَ لك ، ولا ابا لك ، على توهم الاضافة ، والبيت زيادة من ذيل امالي القالي ١٣٦ .

(٢) البيت زيادة من ذيل امالي القالي وجمهرة القرشي .

(٣) لله درّي : تعجب من نفسه حين فعل ذلك ، اي اغترب عن ولده وماله وأهله .

(٤) البيت زيادة من ذيل امالي القالي الجمهرة .

---

١٤ ــ بعد هذا البيت يذكر صاحب العقد الفريد ٣ / ٢٤٥ ــ ٢٤٧ ، بيتاً هو :
تقول ابنتي لما رأت وَشْك رحلتي سفارك هذا تاركي لا أباليا
ومن فرائد القلائد ١٩٦ اختلفت رواية البيت فكانت :
تقول ابنتي ان انطلاقك واحد إلى الروع يوماً تاركى لا أباليا

١٩ ــ وأشقرَ محبوكاً يجرُّ عنانَهُ
إلى الماءِ لم يترك له الموتُ ساقيا

٢٠ ــ ولكن بأكنافِ السمينةِ نِسوةٌ
عزيزٌ عليهنَّ العشيّةُ مابيا

٢١ ــ صريعٌ على أيدي الرجالِ بقفرة
يُسوون لحدى حيثُ حُمَّ قضائيا

٢٢ ــ ولما تراءت عند مَرو منيتّي
وخلَّ بها جسمي وحانت وفاتيا (١)

٢٣ ــ أقولُ لأصحابي ارفعوني فإنهُ
يقرُّ بعيني إن سُهيلٌ بدا ليا (٢)

٢٤ ــ فياصاحبَيْ رحلى دنا الموتُ فانزلا
برابيةٍ إني مُقيمٌ لياليا

٢٥ ــ أقيما عليَّ اليومِ او بعضَ ليلة
ولا تُعجلاني قد تبيّن شانيا

٢٦ ــ وقوما إذا ما استُلَّ روحي فهيئا
ليِ السدر والأكفان عند فنائيا

٢٧ ــ وخُطّا بأطراف الأسنّة مُضجعى
ورُدّا على عينيَّ فَضْلَ ردائيا (٣)

---

(١) خل : اختل واضطرب وهزل .

(٢) يريد : ان سهيلاً لا يرى بناحية خراسان ، فقال ارفعوني لعلى اراه فتقرّ عيني برؤيته لانه لايرى إلا في بلده .

(٣) قال القالي في الذيل : ويروى بأطراف الزجاج . ويروى : الرّماح لمصرعى ،

يضيف صاحب الحماسة البصرية بيتاً بعد البيت التاسع عشر ويقول عنه : أسقط هذا البيت من الجمهرة والاختيارين :

يقاد ذايلاً بعد ما مات ربه يباع ببخسٍ بعد ما كان غاليا

وأشك في نسبته .

٢٨ – ولا تحسداني بارك الله فيكما

من الأرض ذات العرض ان توسعا ليا

٢٩ – خُذاني فجرّاني بثوبي إليكما

فقد كنتُ قبلَ اليوم صَعباً قياديا

٣٠ – وقد كنتُ عطّافاً إذا الخيل أدبرتْ

سريعاً لدى الهيجا إلى من دعانيا (١)

٣١ – وقد كنتُ صبّاراً على القِرن في الوغى

وعن شتمىَ ابن العمّ والجار وانيا (٢)

٣٢ – فطوراً تراني في ظِلال ونعمة

وطوراً تراني والعتاق ركابيا (٣)

٣٣ – ويوماً تراني في رَحاً مستديرة

تُخرّق أطرافُ الرِماحِ ثيابيا (٤)

٣٤ – وقُوما على بئرِ السّمينة اسمعَا

بها الغُرّ والبيض الحسانُ الروانيا

٣٥ – بأنّكما خلّفْتُماني بقفْرةٍ

تَهيلُ عليّ الريحُ فيها السّوافيا (٥)

---

(١) وقال ايضاً : ويروى : إذا أحجمت . والهيجاء تمد وتقصر .

(٢) اضطربت رواية البيت في المراجع التي ذكرت فيها القصيدة ، فقد وردت روايته في امالي اليزيدي وجمهرة القرشي بالشكل الآتي :

وقد كنت محموداً لدى الزاد والقرى وعن شتم ابن العم ....

ثم ورد الشطر مع شطر آخر وهو : ثقيلاً على الاعداء عضباً لسانيا .

(٣) الطلال : جمع طل ، وهو الندى والريف والنعمة .

(٤) الرحى : موضع الحرب . ومستديرة : حيث يستدير القوم للقتال . الرواني : النواظر . والرنو : النظر الدائم .

(٥) تهيل : تثير .

٣٦ ـ ولا تَنْسَيا عهدي خليليَّ بعدما
تَقَطَّعُ أوصالي وتَبْلَى عظاميا

٣٧ ـ ولَنْ يَعْدَمَ الوالونَ بثّاً يصيبهم
ولَنْ يَعْدَمَ الميراثُ مني المواليا (١)

٣٨ ـ يَقولُونَ لا تَبْعد وهم يدفنونني
وأيْنَ مَكانُ البُعدِ إلا مَكانيا

٣٩ ـ غَداةَ غَـدٍ يا لهف نفسي على غدٍ
إذا أدْلَجُوا عني وأصبَحْتُ ثاويا (٢)

٤٠ ـ وأصبَحَ مالي مِنْ طريفٍ وتالدٍ
لغيري وكانَ المالُ بالأمْس ماليا

٤١ ـ فياليتَ شعْري هل تغيّرت الرحا
رحا المثْلِ أو أمْسَت بفَلْجٍ كماهيا(٣)

٤٢ ـ إذا الحيّ حلّوها جَميعاً وأنزلوا
بها بَقَراً حُمّ العيونِ سواجيا(٤)

٤٣ ـ رَعَيْنَ وقَدْ كادَ الظلامُ يُجنُّها
يَسُفْنَ الخزَامى مَرّة والأقاحيـا

٤٤ ـ وهَلْ أتركُ العيس العواليَ بالضُّحـى
بركبانهـا تَعْلُو المتانَ الفيافيا (٥)

---

(١) البث : أشد الحزن .

(٢) الادلاج : السير من اول الليل .

(٣) المثل : موضع بفَلْج يقال له رحى المثل .

(٤) البقر : يريد بها النساء : جُم القرون : اي ليست لها قرون. وسواج : سواكن.

(٥) البيت غير مذكور في أمالي اليزيدي . المتان : مفردها متن ، وهو المكان المرتفع .

٤٥ ـ إذا عُصَبُ الركْبان بين عُنَيزة
وبَوْلان عاجوا المُبقيات النواجيا (١)

٤٦ ـ فياليتَ شعري هل بكتْ أمُّ مالك
كما كنتُ لو عالَوْا نَعيّك باكيا

٤٧ ـ إذا مُتُّ فاعتادى القُبورَ وسلمي
على الرمس أُسْقيتِ السحاب الغواديا (٢)

٤٨ ـ على جَدَثٍ قد جرّت الرمحُ فوقَه
تُراباً كسَحْقِ المرْنَبانيِّ هابيا (٣)

٤٩ ـ رهينةُ أحجارٍ وتُرْبٍ تَضَمّنتْ
قرارتُها منّي العِظامَ البَواليا (٤)

٥٠ ـ فيا صاحبا إما عرضت فبلّغن
بني مازن والريب أنْ لا تلاقيا

٥١ ـ وعَزَّ قلوصى في الركاب فإنها
ستَفْلِقُ أكباداً وتُبكى بَواكيا

٥٢ ـ وأبْصرت نارَ المازنيات مَوْهِناً
بِعَلْياءَ يُثْنى دونها الطَرْفُ دانيا(٥)

---

(١) المبقيات : التي يبقى سيرها ، والنواجي التي تنجو بسيرها ، اي تسرع
بولان وعنيزة : موضعان .

(٢ ، ٣) اختلفت رواية هذين البيتين في المراجع التي وردا فيها ، شأنهما في ذلك شأن بقية ابيات القصيدة . وقد تجنبت الوقوف عند مواضع الاختلاف خشية الاطالة خوفاً من السأم . والمرنباني : كساء من خزّ ، ويقال : مطرف من وَبَر الإبل .

(٤) رهينة أحجار : أي في القبر على التراب والحجارة .

(٥) الابيات (٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤) غير موجودة في أمالي اليزيدي وجمهرة القرشي .

---

٥١ ـ نسب البيت لجعفر بن علبة الحارثي ، وعلق عليه أبو الفرج في الاغاني ١٣ /٤٨ :
وهذا البيت بعينه يُروى لمالك بن الريب في قصيدته المشهورة التي يرثي بها نفسه ؛

٥٣ــ بِعودِ النُجوجِ أَضاءَ وُقودُها
مهاً في ظِلالِ السِّدْرِ حوراً جوازيا

٥٤ــ غَريبٌ بَعيدُ الدارِ ثاوٍ بِقَفْرةٍ
يَدَ الدهْرِ مَعْروفاً بأنْ لاتدانيا

٥٥ــ أُقَلِّبُ طرفي حَولَ رَحلي فلا أرى
بِهِ مِنْ عُيونِ المؤنِساتِ مُراعيا

٥٦ــ وبالرَمْلِ مِنا نسوة لو شَهِدْنَني
بَكَيْنَ وَفَدَّيْنَ الطبيبَ المداويا

٥٧ــ وما كانَ عَهدُ الرملِ عندي وأهله
ذَميماً ولا ودَّعْتُ بالرملِ قاليا

٥٨ــ فمنهُنَّ أُمي وابنَتاي وخالتي
وباكِيةٌ أُخرى تَهيجُ البَواكيا

ملاحظة : اعتمدت في تثبيت هذا النص ذيل أمالي القالي ١٣٥/٢ ، وقد حاولت إبعاد النص عن الاختلافات الكثيرة التي لحقت به ، لكثرتها واضطرابها وتباين الفاظها ، وسأقتصر على المراجع التي وردت فيها في التخريج .

وفي اللسان (عرص) بيت نسب إلى مالك ، وهو :

تحمل اصحابي عشاءً وغادروا أخا ثقةً في عَرْصة الدار ثاويا

الشعر المنسوب الى مالك

قال مالك بن الريب يهجو الحجاج :

(من الطويل)

١ — فان تُنصفونا آل مروان نقتربْ
إليكم وإلا فأذَنوا بِتَعادِي (١)

٢ — فان لنا عنكم مَراحاً ومزحلاً
بعيسٍ إلى ريح الفلاة صوادى

٣ — وفي الأرض عن دارِ المذلة مذهبٌ
وكلُّ بلادٍ أوطنتْ كبلادى

٤ — فماذا عسى الحجاج يبلُغُ جُهده
إذا نحن جاوزنا حفير زيادِ (٢)

٥ — فباست أبي الحجاج واست عجوزه
عُتَيد بُهم يرتعي بوهاد (٣)

٦ — فلولا بنو مروان كان ابن يوسف
كما كان عبداً من عَبيدِ إيادِ

---

(١) في الكامل ٢/٤٤٦ ... فاذنوا ببعاد . وكذلك رواية الخزانة ٣/١٧٦ .

(٢) في الكامل والخزانة .. فماذا ترى الحجاج .

(٣) العتيّد : تصغير عتود ، وهو كما في لسان العرب من أولاد المعز ما رعى وقوى وأتى عليه حول ، يصفه بالضعف .

٧ ـ زمانٌ هو المقرى المقرُّ بذلةٍ

يُراوحُ غلمان القُرى ويُغادى (١)

---

(١) في الشعر والشعراء ٢٧١/١ والمعارف ٥٤٨ والكامل ٤٤٧/٢ والعقد ١٣/٥ والخزانة ١٧٦/٣ .. زمان هو العبد المقر ....

الابيات (١ ــ ٧) منسوبة إلى مالك في عيون الأخبار ٢٣٦/١ وعدا الخامس منسوبة إلى مالك في الكامل ٤٤٦/٢ ــ ٤٤٧ وعدا الثالث والخامس منسوبة ايضاً إلى مالك في الشعر والشعراء ٢٧١/١ .

ومن غير السابع مع زيادة بيت آخر مع اختلاف في الالفاظ في رواية بعض الابيات في حماسة أبي تمام (المرزوقي) ٦٧٦/٢ والتبريزي ١٠٩/٢ منسوبة إلى الفرزدق .
والابيات (١ ــ ٤) مع بيت الزيادة المذكور في الحماسة في ديوان الفرزدق ١٦٠/١ (طبع صادر) .

وعدا الخامس والسابع مع بيت الزيادة منسوبة إلى البرج بن خنزير التميمي . وقال عنه ياقوت (حفيد زياد) : وكان البرج قد الزم من قبل الحجاج البعث إلى المهلب لقتال الازارقة فهرب منه إلى الشام وقال :

والابيات (١ ، ٣ ، ٤ ، ٧) منسوبة إلى مالك في الخزانة ١٧٦/٣ ، والابيات (٣ ، ٦ ، ٧) في العقد الفريد ١٣/٥ وهي ايضاً منسوبة إلى مالك .

والبيتان الاول والثالث نسبا إلى مالك بن الريب في بهجة المجالس ٢٣٨/١ وهما كذلك في محاضرات الادباء ٣٣٧/١ .

وأعتقد ان نسبة الابيات إلى مالك فيه وهم ، لان مالك بن الريب مات قبل ان يتولى الحجاج بأكثر من ثمانية عشر عاماً وقد اشرت إلى ذلك في الدراسة التي قدمت بها المجموعة الشعرية .

—٢—

(من البسيط)

١ — هبت شمالاً خريفاً أسقطت ورقاً
واصفر بالقاع بعد الخضرة الشيحُ

٢ — فارحلْ هُديت ولا تجعل غنيمتنا
ثلجاً تصفقه بالترمذ الريح

٣ — إن الشتاءَ عدوٌّ لا نقابله
فارحل هديت وثوبُ الدفء مطروح

—٣—

(من الطويل)

١ — بَعُدْتُ وبيْتِ الله من أهل قَرقَرى
ومن أهل مَوسُوج وزِدْتُ على البُعدِ(١)

الأبيات (١—٣) في بلدان ياقوت (ترمذ) نسبت إلى نَهار بن تَوسعة يذمُّ قتيبة بن مسلم ويرثي يزيد بن المهلب، وعلق ياقوت فقال : وتروى الثلاثة أبيات لمالك بن الريب في سعيد ابن عثمان بن عفان .

وأظن أن الأبيات بعيدة عن شعر مالك في روحها وألفاظها ومعانيها .

(١) في بلدان ياقوت (قرقري) :

بعدنا وبيتُ اللهِ عَنْ أرضِ قرقري وعَن قاع موحوش وزدنا على البعد

نسب البيت في معجم مااستعجم إلى مالك بن الريب . ونسب البيت في معجم البلدان إلى يحيي بن طالب الحنفي ، قال : كان يحيي بن طالب الحنفي مولى لقريش باليمامة ، وكان شيخاً فصيحاً ديناً يقرىء الناس ، وكان عظيم التجارة ..فخرج إلى خراسان هارباً من الدين فلما وصل إلى قومس قال :

أقول لأصحابي ونحن بقومس ونحن على أثباج ساهمة جُرُدِ
بعدنا وبيتُ الله عن أرض قرقرى وعن قاع موحوش وزدنا على البعد

وأظن أن نسبة البيت إلى مالك فيه وهم .

—٤—

المستدرك :

وقال الوطواط في غرر الخصائص الواضحة ٢١٤: وأحسن ماالحق بهذا الفصل ماتلاه وصف عظم الجيش ومصارع قتلاه أبلغ ما وصف به عظم الجيش قول مالك بن الريب من أبيات :

(من الطويل)

بجيش لهامٍ يشغل الطير جمعه

عن الأرض حتّى مايجدن منازلا

تخريج
القصائد والمقطعات

— ١ —

البيت في الشعر والشعراء ٣٥٣

— ٢ —

البيت في اللسان (مدر)

— ٣ —

الأبيات (١ — ١٢) في الأغاني ١٦٧/١٩ (ساسي)

— ٤ —

الأبيات (١ — ١٢) في الأغاني ١٦٦/١٩ — ١٦٧ (ساسي)

— ٥ —

الأبيات (١ — ٣) في بلدان ياقوت (جمران) ورويت بتسلسل مغاير في المصدر نفسه في (حمران) . والثاني في معجم مااستعجم (جُمدان) .

— ٦ —

البيت في بلدان ياقوت (الحوش) و(غاف) .

— ٧ —

البيت في البيان والتبيين ٣٧/٣ والشعر والشعراء ٣٥٥/١ وبهجة المجالس ٧٨٩ والمخلاة للعاملي ٨٥ .

— ٨ —

البيتان في التذكرة السعدية (مخطوطة في خزانة الاستاذ الفاضل عبدالله الجبوري ، أمين مكتبة الأوقاف في بغداد) الورقة ٣٠ب .

— ٩ —

البيتان في الحماسة البصرية ١٥٦/١

— ١٠ —

الأشطار في حماسة البحتري (كمال) ٤٨

— ١١ —

الأبيات (١ — ٣) والخبر في تاريخ الطبري ١٧١/٦ والثالث والثاني مع اختلاف في الرواية والخبر في أنساب الأشراف ١٢٠/٥

— ١٢ —

الأبيات (١ — ٢٧) في الأغاني ١٦٤/١٩ (ساسى) والأبيات (٣ ، ٤ ، ١٠ ، ١١) مع اختلاف في الرواية في حماسة ابن الشجري /٥١ والبيت العاشر في معجم ماستعجم (الرباب) والبيتان (١٤ ، ١٥) في معجم ماستعجم (وبار) والبيتان (١٩ ، ٢٠) في بلدان ياقوت (الغميم) والأبيات (٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧)في بلدان ياقوت (الذحل)والبيت(٢٦)في معجم ماستعجم (دخن).

— ١٣ —

البيتان في شرح نهج البلاغة ٣٦٤/٢

— ١٤ —

الأبيات (١ — ٦) في الأغاني ١٦٤/١٩ (ساسى)

— ١٥ —

البيت في اللسان (سنن)

— ١٦ —

البيتان في المحبر / ٢٣٠ والأغاني ١٩ / ١٦٥ والأول في اللسان (جنحدل)

— ١٧ —

الأبيات (١ — ١٢) في الأغاني ١٦٥/١٩ والأبيات (٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢) في نوادر أبي زيد

— ١٨ —

الأبيات (١ — ١٠) في الأغاني ١٩/١٦٥ ، ١٦٦

— ١٩ —

الأبيات (١ —٣) في معجم الشعراء ٢٦٥ والثاني وحده في اللسان (شمل) غير معزو .

— ٢٠ —

الرجز في غريب الحديث ٢٠٨/١ . وهما في أساس البلاغة ٨٦٤ ، وغير منسوب في الفائق (لقح) ٤٧٠/٢ وكذلك في اللسان (لقح وأن) والثاني وحده في اللسان (بوك) .

— ٢١ —

الأبيات (١ — ٥) في الأغاني ١٩ / ١٦٥ والأبيات عدا الثاني والثالث في حماسة ابن الشجري ٧٣ .

— ٢٢ —

الأبيات (١ — ٣) في بلدان ياقوت (سنام) .

— ٢٣ —

الأبيات (١ — ٦) في الأغاني ١٩ /١٦٩ ، وعدا الخامس مع اختلاف في الترتيب والرواية في حماسة ابن الشجري/ ٢٢ ، والبيتان الأول والخامس مع الخبر في تذكرة ابن حمدون (مخطوطة في معهد الدراسات الاسلامية بجامعة بغداد) الجزء الأول الورقة ١٥٧ وعدا الأول والثاني في التذكرة السعدية ٢٤ ب.

— ٢٤ —

الأبيات (١ —٣) في بلدان ياقوت (طاسى) والثالث وحده في معجم مااستعجم (طاسى)

— ٢٥—

الأبيات (١ — ٥٨) في ذيل أمالي القالي / ١٣٥ ، وعدا الخامس والعاشر والبيت (٤٤) و(٥٢،٥٣،٥٤،٥٨) في أمالي اليزيدي ٣٨ — ٤٤ وعدا الأبيات (٥،٨،٩،١٠،١٢ ، ١٦ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤) في جمهرة القرشي ٢٦٩(صادر) .
والأبيات (١ ، ٢ ، ٤ ، ١١ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨) في الشعر والشعراء ٣٥٤ .
والأبيات (١ ، ٢ ، ١٣ ، ٢٠ —٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، — ٤٢ ، ٤٥ —٤٧ ، ٥٥ — ٥٨) وثلاثة أبيات زائدة في معجم البلدان (الرقمتان) و (السمينة) و(الطبسان) والغضا) و(مرو) و(الشبيكة) و (المثل) ورحا المثل (و (بولان) مع اختلاف في الرواية .

والأبيات (١ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ١١ ، ١٣ ـ ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٧ ـ ٢٩ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٥٨ ، والبيت العاشر برواية مخالفة) ورواية الأبيات فيها اختلاف كثير عن رواية الأمالي المثبتة في الأصل .

والأبيات (١ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٨ـ ٤٠ ، ٥٠ ، ٥١ ، وبيت زائد ، ٥٦ ، ٥٨) في الحماسة البصرية ١ / ٢٧٨ مع اختلافات كثيرة في رواية الأبيات .

والأول وحده في أمالي المرتضى ٣٠٤/٢ ، جمع الجواهر للحصري ٢٠٢ . والسادس في معجم مااستعجم (أود) و(توضح) واللسان (طبس) . والأبيات (١١ ،٣٨ ، ٥٦) في معجم الشعراء ٢٦٥ والبيت (١٣) في معجم مااستعجم(الرقمتان) ، والبيت(٢٠) في معجم مااستعجم (الشبيكة) واللسان (شبك) .

والبيت (٢٣) في الأزمنة والأمكنة ٣٢١/٢ ، والبيت (٢٧) في جمع الجواهر للحصري والبيت (٣٤) في معجم مااستعجم (السمينة) .

والبيت (٣٨) في المحكم ٢ / ٣٤ وفي اللسان (بعد) وخزانة الأدب ٢ / ٣٠٣ ، ١ /٣٧٨ ولم ينسب في المخصص ١٢ /٥٣ .

والبيت (٤١) في كتاب سيبويه ٤٧٨/١ واللسان (مثل) والخزانة ٤ / ٥١٩ . والبيت (٤٥) في معجم مااستعجم (عنيزة) .

والبيت (٤٧) في رسالة الملائكة لأبي العلاء ١٨ ، وشروح سقط الزند ٤ /١٦٨٧واللسان (ريم) .

والبيت (٤٨) في أساس البلاغة ١٠٤٨ واللسان (هبا) .
والبيت (٥١) في أساس البلاغة غير منسوب ونسب في شمس العلوم ١٥١ .والبيت (٥٥) في الحماسة البصرية ٢٨٠/١ . والبيت (٥٦) في الأشباه والنظائر ١٤ .والبيت (٥٨) في الحماسة البصرية ١ / ٢٨٠ .

كشاف المراجع

الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي (ت٣٥٦ هـ)

١ – الأغاني (ساسى) و (دار الثقافة) .

البحتري : أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (ت ٢٨٤هـ)

٢ – الحماسة – القاهرة – المطبعة الرحمانية – ١٩٣٩ .ضبط وتعليق كمال مصطفى .

البصري : صدرالدين ابن أبي الفرج بن الحسين (ت ٦٥٩هـ) .

٣ – الحماسة البصرية – حيدر آباد – ١٣٨٢ – ١٩٦٤ اعتناء وتصحيح مختار الدين أحمد

البغدادي : عبدالقادر عمر (ت ١٠٩٣هـ)

٤ – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – بولاق – ١٢٩٩ .

البكري : أبو عبيد الله بن عبدالعزيز بن محمد (ت ٤٨٧هـ)

٥ – معجم ماستعجم – لجنة التأليف – القاهرة – ١٩٤٥ – ١٩٥١ . تحقيق الاستاذ مصطفى السقا .

التبريزي : أبو زكريا الخطيب ، والبطليوسي ، والخوارزمي .

٦– شروح سقط الزند – دار الكتب – القاهرة – ١٩٤٥ تحقيق الاستاذ مصطفى السقا والاستاذ عبدالسلام هارون وغيرهما .

٧– حماسة أبي تمام – بولاق – ١٢٩٦

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)

٨– البيان والتبيين بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون – القاهرة – ١٩٤٨ ١٩٥٠ .

ابن أبي الحديد : عز الدين أبو حامد بن عبدالحميد المدائني (ت ٦٥٥هـ) .

٩ – شرح نهج البلاغة – مكتبة الحياة – بيروت – ١٩٦٣ – ١٩٦٤ .

ابن حبيب : محمد بن حبيب (ت – ٢٤٥هـ)

١٠ – المحبر . تحقيق ايلزه ليختن شتير . حيدرآباد الدكن ١٩٤٢ .

الحميري : الأمير علامة اليمن أبو سعيد نشوان (ت٥٧٣هـ) .

١١ – شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، ليدن – ١٩١٦ .
تحقيق عظيم الدين أحمد .

الخالديان : أبو بكر محمد بن هاشم (ت ٣٨٠هـ) ، وأبو عثمان سعيد بن هاشم (ت ٣٩١

١٢– الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين، لجنة التأليف والترجمة – القاهرة – ١٩٥٨
تحقيق الدكتور محمد يوسف .

الزمخشري : جارالله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ)

١٣– أساس البلاغة – دار الكتب – ١٣٤١

١٤. الفائق في غريب الحديث – القاهرة – ١٩٤٥
تحقيق البجاوي وأبي الفضل .

أبو بزيد الأنصاري : (ت ٢١٥هـ)

١٥. النوادر – تعليق سعيد الخوري الشرتوني .
المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٨٩٤ .

ابن سيدة : أبو الحسن بن اسماعيل (ت٤٥٨هـ)

١٦. المخصص – الأميرية – بولاق – ١٣٢٠

ابن الشجري : أبو السعادات هبةالله بن علي بن محمد (٥٣٢هـ)

١٧– الحماسة – حيدرآباد – الهند – ١٣٤٥

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)

١٨–. تاريخ الرسل والملوك – دار المعارف – ١٩٦١ تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم .

العاملي : بهاء الدين (ت ١٠٠٣هـ)

١٩ – المخلاة :مطبعة البابي الحلبي – مصر – ١٩٥٧

أبو عبيد : القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٣ هـ أو ٢٢٤)

٢٠ – غريب الحديث – حيدر آباد – الهند – ١٣٨٤

ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)

٢١ – الشعر والشعراء – دار المعارف – مصر .

٢٢ – عيون الأخبار – دارالكتب – القاهرة – ١٩٢٨ – ١٩٣٠ .

المرزباني : أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت ٣٧٨هـ) .

٢٣ – معجم الشعراء – دار احياء الكتب العربية – مصر –١٩٦٠ .
تحقيق عبدالستار فراج .

المرزوقي : أبو علي أحمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ)

٢٤ – شرح ديوان الحماسة لأبي تمام – القاهرة – ١٣٧١ – ١٩٥١ .
تحقيق الاستاذ عبدالسلام هارون وأحمد أمين .

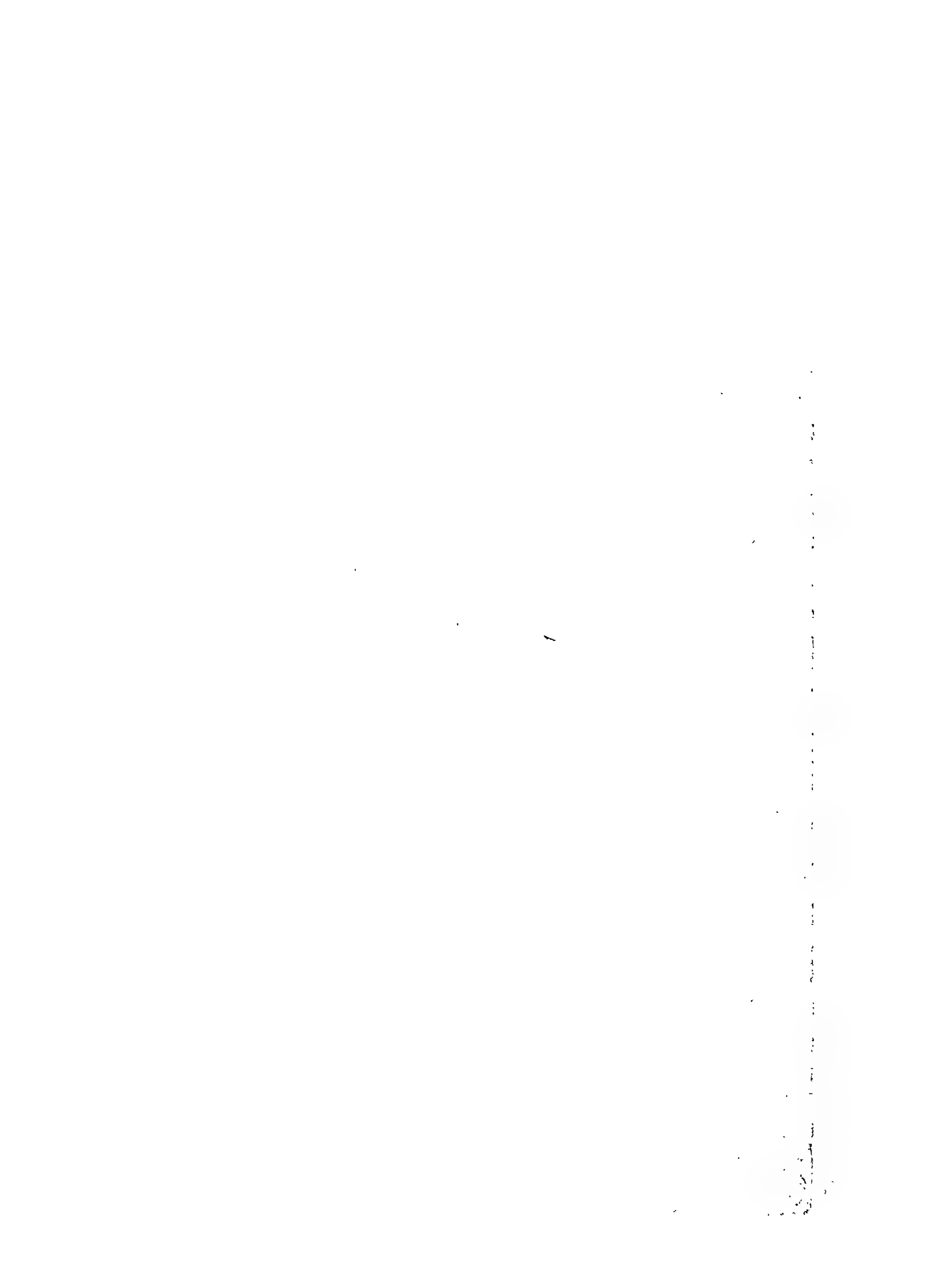
٢٥ – الأزمنة والأمكنة – حيدرآباد – الدكن – ١٣٣٢ .

المعري : أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي (ت ٤٤٩هـ)

٢٦ – رسالة الملائكة – المطبعة التجارية – بيروت
تحقيق لجنة من العلماء .

ياقوت : بن عبدالله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)

٢٧ – معجم البلدان – لايبزك – ١٨٦٦ – ١٨٧٠
تحقيق فرديناند – فيستنفيلد .



عُبَيدُ اللهِ بنُ الحُرِّ الجُعْفيُّ



تمهيد

للبطولة في الادب العربي مظاهر متعددة ، تأخذ ابعادها عند تحديد المجال الذي يتحرك فيه البطل ، وتتوضح قدرتها عندما تتعالى اعماله مجدا وانتصارا وتضحية ، وهو في كل مجال من هذه المجالات تبرز طاقة وجدانية فريدة ، أو قدرة انسانية نادرة ، أو تحديا اخلاقيا ملتزما ، والبطل في ادبنا يختلف عن البطل في الآداب الاخرى ، لأن البطل في الادب العربي نموذج حي يتفاعل مع الاحداث ، ويعبر عن طموح الامة ، ويرسم آمال ابنائها بما يتفق مع ميولهم ، ويرضي قيمهم ، ويحقق اهدافهم ، ولانه لم ينحدر من سلالة الآلهة ، ولم تكن بطولته غيبية كما عودتنا الأساطير اليونانية والرومانية .. ومن هنا كان ابطالنا نماذج متميزة ، تساهم في كثير من المقاييس الاخلاقية ، لارتباط المعنى البطولي بالمعنى الاخلاقي ، وقد يتغلب الجانب الاخلاقي في تحديد الاطار العام لمعنى البطل ، لانها بطولة لانسانية واضحة تمثلها جوانب المجتمع العربي وتحسسها وجدانه الحي وادرك فاعليتها في استثارة الاعجاب والدهشة .

ومن الطبيعي ان تساهم البيئة العربية الخالصة في تمتين هذا المفهوم ، وتعميق وجوده في النفس ، وتأكيد رؤيته من خلال الاحداث المتطورة في هذه البيئة ، ولهذا كانت حدود الرؤيا في اذهان هذه النماذج واضحة المعالم . وابعاد الاستيعاب محددة التصور ، لانهم طليعة متقدمة وفصيلة مدركة ، ووجود قادر على اختزال الهيكل الشكلي المتعارف عليه وربما كانت هذه القدرة هي العلامة الكبيرة التي اصبح اصحابها قادرين على التميز بها ، والانفراد بابعادها ولعلها ايضا تكون السبب في تمكين البطل من ناحية الموقع المحدد الذي استطاع الوصول اليه دون غيره من الناس، لانه رمز تجسدت فيه الآمال وتحققت في نهجه الرغبات، وتمثلت في اعماله مظاهر البطولة المحببة فاصبح صورة متمكنة في كل نفس، ورمزاً يتوق اليه الآخرون . فكنا نجد اصداء سلوكهم يأخذ الجبهة الواسعة في حديث التاريخ ، والميدان الفسيح في خواطر الادب ، والمجال الرحب في البناء الشعري ، حتى اصبحت اعمالهم فريدة على الرغم من كونها اعمالا متعارفا عليها ولكنها اخذت الصورة المكبرة في ميدان التطبيق لوقوعها في الزاوية المنظورة .

فالتضحية قيمة انسانية معروفة ، ولكنها عندما تأخذ الشكل الذي يطالعنا به في ميدان (ترشيحا) و (نهاريا) و (الخالصة) يصبح للتضحية افق جديد تقف على اعتابه كل التضحيات حائرة واجمة .. لانها اصبحت تعني ان القائمين بها يستقبلون الموت بنفس الروح

التي يستقبلون بها الحياة . وربما يكون اندفاعهم نحو الموت اشد من استقبال الحياة نفسها، لايمانهم بالدافع الحقيقي الذي يختفي وراء التضحية البطولية النادرة التي غطت بندرتها اعمالا بطولية اخرى كانت ماتزال اصداؤها عالقة في اذهان الكثيرين ومن خلال هذا المفهوم الجديد الذي استطاع البطل الحديث ان يحققه نموذجا متميزا . ويفرضه لونا فريدا من الوان الانسان المؤمن ، الذي تتجسد فيه القدرة الحقيقية في تمثل الطموح البشري ، واستكشاف المدارك المؤثرة التي تستلب الاعجاب ، وتنتزع الملكة الكامنة ، ولهذا كان البطل متقدما على الآخرين في اختزال الطريق الذي يحقق له الطموح ، ليرسم للآخرين معالم الخطوات الحقيقية في دروب الحياة الكريمة .

ان صورة البطل هذه هي الصورة الممتدة عبر الاجيال الطويلة للمسيرة العربية وهي التي كانت ركائزها ترتفع عند كل تلاحم بطولي ابتداءاً من ذى قار والقادسية والجسر واليرموك وحطين وعين جالوت ، وحروب التحرير التي خاضتها الجحافل العربية في اقطارها الممتدة من الخليج العربي إلى شواطيء المحيط دفاعا عن الحرية التي بذل في سبيلها كل عزيز ودفاعا عن وحدتها التي حفيت من اجلها ارض العرب باطيب الدماء واغلاها ، ودفاعا عن كرامتها التي ظلت امجادها مرفوعة الرأس عند كل تحد .

واذا كانت هذه المفاهيم تصنع الاطار العام للبطولة خلال هذه المسيرة فان كل جانب منها يأخذ بعده الحقيقي عند كل مرحلة ، وتجاه كل تحرك ، وفوق كل ارض وهو يعد له اشكاله المعروفة وسماته المتميزة التي تمليها عليه احواله الانسانية المجسدة في اعتبارات العصر ، وطبيعة الاحداث وتصور المجموع ، واذا حاولنا ان نحدد مركزا لعبيدالله ابن الحر (الشاعر البطل) في هذا الميدان اتضحت ملامح شخصيته بكل وضوح ، وتحددت نوازع قدرته الخلاقة بجلاء شامل ، وارتسمت انماط سلوكه الرافض بلا رتوش وهي حدود تمنح الشاعر من القابليات ما يمكنه من الوصول إلى ماهو اقدر على استيعابه ، لانه مؤمن بقدره المحدد ، وقد ادرك وقائع حياته القائمة على استمرار الحرب ، وادرك قدرته في تحمل ماتحمله هذه الحرب من اعباء له ولجماعته التي كان يغير بها وقد حبب له هذا الادراك الا يكون مقتصرا على الاستبسال ولكنه يرد الآخرين إلى ميدان الحرب اذا خرجوا بالدعاء والتحريض على الرغم من افواه الطعن التي اثخنت الاجساد ، وتدفق الدم والالم مثل حر الوقود .

لقد خطت الاسنة بالطعن في الصدور والخدود والرقاب أو سمة البطولة ، فتغيرت الوانها

بعد ان اصطبغت بحمرة الدم المتدفق ، وشاعرنا واصحابه يدورون دوران الرحى بعد ان استدارت رحى الخصوم ، فكان الجلاد ، وكانت المضاربة والمصاولة ، والبطل ، في حومتها يدعى فيستجيب ، ولم يكن ببعيد عن النداء ، لانه الفكر المدبر والعقل المنفذ.

ان اناشيد البطل الخالدة في معارك النصر هي الغذاء الذي يبعث في نفوس الطامحين إلى المجد نوازع الانعتاق ، وترسم لهم طريق الخلاص وتحدد لهم اطار التحرك الفدائي المرتقب لانه نموذج واقعي ناجح مارسه بجدارة ، وعاش له في اباء ، وتلذذ طعمه من خلال التذوق لطعوم الحرية الحقيقية ..

وقد علمت خيلي بساباط انني
اذا حيل دون الطعن غير عنودِ

اكر وراء المحجرين وادّعي
مواريث آباءٍ لنا وجدودِ

اذا فرغت اسيافنا من كتيبة
نبذنا بأخرى في الصباح ركود

وان خرجوا من غمرة ودها لهم
دعاتي وتحريضي لهم ونشيدي

اقول لهم تموا فدى والدي لكم
ومالي جميعاً طارفي وتليدي

افدّيهم بالــوالدين وفيهــمُ
نوافذ طعن مثل حَرّ وقودِ

الخ ....

لقد ظلت المرأة رمزا من رموز الفرسان ، ووحيا من ايحاءات الابطال الذين اتخذوا منها مركزا قويا لحركة القصيدة ، وربما كان هذا الدافع وما تركزت حوله من مشاعر هو الاساس الذي دفع عبيدالله بن الحر إلى ان يفتتح بعض قصائده « بام توبة» ودأب على ان يكون الافتتاح بعبارة .. الم تعلمي .. ودأب ايضا ان يكون الحديث عنه « انني انا » وهو التزام قديم عودنا عليه الشعراء ، ووجدناه عندهم وهم يذكرون انفسهم، ويحمون حقائق اقوامهم وقد يجد في هذا الحديث متنفسا عن الرغبة التي يريد الحديث

عنها وهو يوحي بامثال هذا الحديث ويغري الشاعر بالاكثار منه ، لامن باب التبجح وحده، وانما من باب الحماية الحقيقية التي يجب ان يكون البطل متصفا بها ، فالمرأة رمز للحقيقة التي يدافع عنها ورمز للذود الذي يجب ان يصنعه البطل نصب عينه ، ورمز الوطن المتمثل في الحفاظ على هذا العنصر من عناصره .. هذا الحديث تذكرنا به مطالع قصائد كثير من فرسان الجاهلية والاسلام . يقول عبيدالله :

ألم تعلمي ياام توبة انني

على حدثان الدهر غيرُ بَليد

ويقول في اخرى ..

الم تعلمي ياام توبة انني

انا الفارس الحامي حقيقة مذحجِ

ولكن حركته عند عبيدالله حددت بالبيت الثاني من القصيدة .. حين يقول

واني صبحت السجن حتى بدالنا

جبين كقرن الشمس غير مشنجِ

فالسجن مرتكز العبودية ، والموضع الذي يحد من طموحه وطموح امثاله في تحقيق المكان المناسب ، والسجن في هذه الابيات ليس لعبيدالله ، وانما لأمرأته (ام سلمة الجعفية) حين امر المختار الثقفي بها فحبست ، واقسم بالله ليقتلنه أو ليقتلن اصحابه ، فلما بلغ ذلك عبيدالله اقبل في فتيانه حتى دخل الكوفة ليلا فكسر باب السجن واخرج امرأته وكل امراة أو رجل في السجن .

ان صورة ام توبة لم تفارقه حتى في هذا الموقف ، لانه موقف يستحق الاشادة بالبطولة والاشادة بالثبات امام حدثان الدهر ، فهو يشد حيازيمه لكل كريهة ، وجليد على كل نائبات الزمن ان تصاعد الشعور بالآباء يصل ذروته في تصور الشاعر وهو يرى داره قد هدمت ، وحليلته قد قيدت إلى السجن ، والناس شهود يرون المنظر والزبانية يعجلونها يشد خمارها ، وهي صورة يراها العالم كله تمارس فوق كل أرض مغتصبة ، أو تحت ظل أي حاكم ظالم .. إن هذا الشعور المتصاعد يثير في تصوره شعور التحدي فينفجر قدرة جارفة وقوة لاهبة تعي جوانب الصورة التي يريدها .

إن الملامح البعيدة لحياة الشاعر توحي باتجاهه الذي ازمه في حياته، وظل محافظا عليه وإن كانت هذه الملامح باهتة لاتعين ولا تكشف ،ولكنها تمنح الباحث بعض العلامات .

فهو عبيد الله بن الحر بن عمرو بن خالد بن المجمع بن مالك (١) بن عوف بن حريم بن جعفي بن سعد العشيرة (٢) الشاعر الفاتك (٣) كما نعته ابن حزم ،الشجاع الفاتك كما وصفه البلاذري (٤) وعدّة اسامة بن منقذ من الذين شهروا بالفتك في الاسلام (٥) كان عثمانيا ، خرج عن الكوفة إلى معاوية وشهد معه صفين(٦) تزوج كبشة بنت مالك وكان يقال لها الدرداء (٧) ، وله أولاد ثلاثة هم صدقة وكرّة والاشعر ، شهدوا الجماجم مع ابن الاشعث (٨) ، ولم نجد لهم ذكراً في حياته . ويكنى زوجته في بعض قصائده بام توبة كما تعرف بام سلمة وهي بنت عبدة بن الحليق الجعفية(٩) ولم نجد لسلمة ذكراً في شعره ولكنه أشار في موضعين من مواضع شعره إلى توبة وهو يكني زوجته .. أما كنيته فهي أبو الابرش عند الجاحظ (١٠) وأبو الاشرس عند الطبري (١١) . وهو كما يقول المبرد من ولد مروان بن الحكم بن أبي العاص وكان لام ولد وهو من ولد مروان بن الحكم ، ويستدل على ذلك من قول عبيد الله (١٢) :

---

(١) محمد بن حبيب / المحبر / ٢٣٠.

(٢) البلاذري / أنساب الأشراف ٥ / ٢٩٠ . وجمهرة أنساب العرب / ابن حزم / ٤١٠ ويسقط سعد العشيرة .

(٣) ابن حزم / جمهرة أنساب العرب ٤١٠ .

(٤) البلاذري / أنساب الأشراف ٥ / ٢٩٠

(٥) أسامة بن منقذ ـ لباب الآداب/ ١٧١ .

(٦) ابن حزم/جمهرة أنساب العرب/٤١٠

(٧) البلاذري/أنساب الاشراف ٢٩١/٥ .

(٨) ابن حزم/جمهرة أنساب العرب/٤١٠

(٩) البلاذري/أنساب الأشراف ٢٩٣/٥

(١٠) الجاحظ/البيان والتبيين ٢٥٢/٢

(١١) الطبري/تاريخ الرسل والملوك ١٢٨/٦

(١٢) المبرد/الكامل /٤٦٣ وعنه نقل صاحب ذيل اللآلي ١٠٤/١٠٣

فـإن تلك أمي مـن نسـاء أفـاءها
جياد القنـا والمرهفات الصفائـح
فتبـا لفضـل الحـر ان لم أنـل بـه
كرائم أولاد النسـاء الصرائـح

والحكم بن أبي العاص عم عثمان بن عفان بن أبي العاص مات في المدينة في خلافة عثمان (١) ومروان بن الحكم من بني العاص بن أمية وهو أبن عم عثمان ، إن هذه الاشارات المتباعدة تشد بعض الشد بين أطراف هذه النسبة ففي أخبار زفر بن الحارث ترد اشارة إلى أنه كفى مصعبا فقال (ابن الزرقاء) يعني عبيد الله بن الحر (٢) والذي نعلمه أن الزرقاء هي مارية بنت وهب الكندي ، وهي أم صفية بنت طلحة من بني عبد الدار ، وهي ام آمنة بنت علقمة أم مروان، وكان يعير بالزرقاء، فهل المقصود بها في قول زفر ؟ . . وعندما دعا عبد الملك بالنخيلة إلى البيعة اتته القبائل ، وكانت جعفى من جملتها ، فلما رآهم عبد الملك قال : يامعشر جعفي اشتملتم على ابن اختكم وواريتموه يعني يحيى بن سعيد ابن العاص . وهذا يقرب الصلة بين جعفى وآل العاص. فإذا حاولنا شد هذه الخيوط المتباعدة وايصال أطراف الوشائج المتناثرة تجمعت لدينا بعض المسائل المترابطة التي أهملتها كتب التراجم ،ولعل أوضحها صلة وأكثرها قرابة التزام عبيد الله بن الحر موقف الدفاع عن عثمان بن عفان (رض) ودعوته للمطالبة بثأره.

بطولاته

وتطالعنا أخبار عبيد الله منذ بدايتها بما يشير إلى جولته وبطولته وقدرته الحربية ، فهو قد شهد القادسية مع خاليه زهير ومرثد ابنى قيس بن مشجعة بن المجمع (٣) وقد دلت أخباره وسيرته على هذه الشجاعة وان اختلفت في تحديد هذه الرجولة والبطولة بعض مصادر حياته. فالبلاذري يقول عنه : وكان ابن الحر رجلا لايقاتل لديانة ،وانما همه الفتك والتصعلك والغارات (٤) ووصفه ابن حبيب بالجواد (٥) وقال عنه الطبري : كان رجلاً من خيار

(١) البلاذري / أنساب الأشراف ٢٧/٥.
(٢) البلاذري / أنساب الأشراف ٢٩٧/٥
(٣) البلاذري / أنساب الأشراف ٢٩٠/٥
(٤) البلاذري / أنساب الأشراف ٢٩١/٥
(٥) ابن حبيب / المحبر ٢٣٠

قومه صلاحا وفضلا وصلاة واجتهادا (١) وفي نص الطبري مطابقة لاخباره التي وجدناها امتدادا لحياته الجريئة ، وقد اتضح اتجاهه بعد قتل عثمان وبعد أن هاج الهيج بين علي ومعاوية فنراها يحدد موقفه فيقول : أما أن الله ليعلم اني أحب عثمان ولانصرنه ميتا ، فخرج إلى الشام وكان مع معاوية (٢) ويبدو أن هذا الموقف بدأ يأخذ أشكالا متميزة ، وان اسلوب حياته والخط السلوكي الذي حدده لهذه الحياة قد ساهم في تبرير هذه الأحكام ، ولعل نصا آخر يذكره الطبري يكشف بشكل لا يقبل لشك عن الصفات الخلقية التي كان يتمتع بها هذا الرجل فهو كما يقول الطبري : والله ما كان في الأرض عربي أغير عن حرة ولا أكف عن قبيح وعن شراب منه (٣) يرد بذلك على الذين كانوا يذكرونه بغير هذا او يتهمونه بأنه كان يتناول أموال الناس والتجار .

فعبيد الله بن الحر كما عرفته المصادر كان يجتمع اليه جموع من أصحابه وبطانته واخوانه يتقي بهم إذا نابه أمر ، أو خاف ظلامة أمير جائر . فهو في هذا الاطار يدور في ذلك الفتيان أو الأصحاب الذين ارتضوا سلوكا اجتماعيا واتفقوا على ممارسة نشاط اجتماعي موحد ، يضمن لهم الفكر الملتزم ، ويطمن لهم الحاجة المادية التي تكفيهم مؤونة السؤال وذله . وقد لون صوره الشعرية بالوان رائعة وهو يتحدث عن هؤلاء الذين اطاعوه عليهم الفتيان ومنحهم من صور الشجاعة والبطولة ماجعلهم في عداد الابطال فهو لم يتحدث عنهم إلاوكانت وجوههم مصابيح في داج توالت كواكبه أو فتيان كرام يحبهم أو فتيان صدق نوق جرد إذا خرجوا من غارة رجعوا اليها باسيافهم وهو متى يدعو هؤلاء الفتيان الصعاليك ركبوا وأسرعوا ..

كان عبيد الله لم يمس ليلة
موطنة تحت الشروح جنائبه

ولم يدع فتيانا كأن وجوههم
مصابيح من داج توارت كواكبه

---

(١) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ١٢٨/٦
(٢) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ١٢٨/٦
(٣) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ١٢٨/٦

ويقول في أبيات أخرى :

وسيري بفتيان كِرام أحبهم
مغذا وضوء الصبح لم يتبلج

ويذكر في موضوع آخر :

ومنزلة يـا ابـن الزبير كريهة
شددت لها من آخر الليـل أسرجا
بفتيان صدق فوق جرد كأنها
قداح يراها الماسحي وسحجا

ويجمع بين الفتيان والصعاليك في بيت آخر :

متى أدع فتيـان الصعاليك يركبوا
ظماء الفصوص نائمات الأباجل

وربما كان انصراف ابن الحر لمعالجة قضايا أصحابه، والتزامه بما يقومون به هو الذي حدا بالطبري إلى أن يقول ،ولكن انما وضعه عند الناس شعره ، ثم يقول : هو من أشعر الفتيان (١) وقد اتصف عبيد الله بجرأته وصراحته في أشد المواقف حرجا وتتضح هذه الجرأة والصراحة من خلال الأخبار التي تقدمها مراجع دراسته ،فعندما سأله معاوية بن أبي سفيان عن تطلعه إلى الامام علي بن أبي طالب كان جوابه : إن علياً لعلى الحق وأنت بذلك عالم ،فقال عمرو بن العاص : كذبت ياابن الحر ، فقال : أنت والله وأبوك أكذب مني ثم خرج من عند معاوية مغضبا .

وعندما سأله عبيد الله بن زياد ،وكان قد تفقد أهل الكوفة ،أكنت معنا أم مع عدونا؟ قال : لا والله ما كنت مع عدوك،ولو كنت معه لبلغك ذلك ولكني كنت مريضا،قال : مريض قلب . قال : ما مرض قلبي قط وقد وهب الله لي في بدني العافية .

هذه الاشارات توحي بالجرأة التي كان يتمتع بها عبيد الله،وتقدم الدليل الاكيد الذي يكشف عن الصراحة الواضحة التي أخذ نفسه بها ووطنها عليها ،ومثل ما كان جريئا

---

(١) الطبري :تاريخ الرسل ١٢٩/٦

صريحاً فقد كان سخيا متلافا وكان من أهل الديوان والعطاء (١) وهو يقرن حديثهم بحديث البطولة عن نفسه ،لانه قوي بهم ، ضعيف بدونهم ؛ ولذا اقترنوا عنده بايراد كل صورة تمثلت فيها البطولة ،وتألقت فوقها وجوههم البيضاء ،لوحة مشرقة من لوحات شعره الصادق، وتصاعدت روائع اعمالهم نقية فوق كل لحن من الحان شعره الخالد .. ولم يقتصر في أحاديثه عن هؤلاء الفتيان على الجانب الحربي وحده ،وإنما كان يشير إلى صفاتهم الأُخرى التي حببتهم إلى نفسه،وجعلتهم بضعة منها .فهم يحمون الذمار ،اخوة إذا نطقوا لم يسمعوا اللغو منهم ،وإذا غنموا لم يفرحوا بالجزيل .. وقد ظلت هذه الألواح الشعرية تتناثر في قصيدة ،وظلت أعمالهم وتضحياتهم مجالا فسيحا من مجالات فنه الشعري .

إن صورة البطل وحدها في القصيدة العربية لم تكن هي الصورة المنظورة في تحديد معاني البطولة لأنها لم تكن معزولة عن السلاح والخيل ،وهما عنصران متلازمان في تكميل الجانب المعنوي فيها ،ولهذا كانت الصورة عند عبيد الله شأن بقية الصور الأُخرى التي عاشت في أذهان كل الشعراء الأبطال ، صورة متكاملة ،وسائلها السلاح والخيل ،وهذا ماجعل حديثه عنهما يتحدد من معاني الوفاء لهذين العنصرين .

فسلاحه لم يعوده الخيانة في اللقاء ،وفرسه لم يعودها الهزيمة ،لأن الخيانة والهزيمة لاوجود لهما في سجل حياته وحياة أصحابه ، فالذي أخذ على نفسه القتال لايدرك تصور التقهقر

وما خنت سيفي في اللقاء وما نبا
علىَّ إذا ما شد كل سبيل

والذي يعاهد سلاحه على الوفاء لايمكن أن يتراجع عن هذا العهد مهما كانت الأحوال، وقد بقيت أحاديث صليل السيوف ووقع الاسنة ولاص برق ومطردات ردينة والاتراس المعلقة بالتماثيل تتجاوب في قصائده أناشيد أصيلة تحمل أنفاس الفرسان الذين توجوا بها الشعر العربي .

أما الخيل – فهي كما أسلفت جانب آخر يعالجه الشاعر من خلال هذه الأحاديث . فهي تعلم الكرّ وقد دميت نحورها ، وهي كرام ،يقودها كميت ،وهي شنزة وضوامر أو شعث طوال لها متون مشرفة ، وهو ينطلق من حديثه عن هاتين الوسيلتين من النقطة التي حددت له أهمية هذه الوسيلة في الحرب ، وقدرتها على تحقيق الانتصار

(١) البلاذري/أنساب الأشراف ٢٩٢/٥

واستمرارها على التهيؤ والمواصلة ،ولهذا جعلها قادرة على ادراك كل غاية ووصفها بما يجعلها قادرة على هذا الادراك .

صلاته برجال عصره .. مع معاوية

وتحدثنا أخباره أنه صار مع معاوية بن أبي سفيان ،فكان يكرمه ،ثم خرج من عند معاوية مغضبا يريد الكوفة في خمسين فارسا ومضى لايمر على قرية من قرى الشام الا أغار عليها حتى قدم الكوفة ، وكانت له بالكوفة امرأة يقال لها الدرداء وهي كبشة بنت مالك ، فلما فقده اهلها زوجوها من عكرمة ابن الخبيص فقاضاهم الامام علي (عليه السلام) فقضي له بامرأته ، وأقام عبيدالله منقبضاً عن كل امر من امور الامام علي وغيره حتى توفي الامام علي .. وكان من أمر الحسين ماكان .. قال أبو مخنف : لما اقبل الحسين من المدينة وقتل مسلم بن عقيل خرج ابن الحر فنزل قصر بني مقاتل الذي صار لعيسى بن علي متحرجاً من أن يتلطخ بشيء من امر الحسين اويشترك في دمه ، فلما صار الحسين (عليه السلام) الى قصر بني مقاتل رأى فسطاطا فسأل عنه فقيل هو لعبيدالله بن الحر فبعث اليه الحجاج بن مسروق الجعفي يدعوه إلى نصرته فقال للحجاج : قل له إني انما خرجت إلى هاهنا فراراً من دمك ودماء أهل بيتك ، لأني ان قاتلتك كان ذلك عظيماً ، وان قاتلت معك ولم أقتل بين يديك فقد قصرت وأنا احمي انفا من ذلك ، وليس لك بالكوفة شيعة ولا انصار يقاتلون معك فلما أبلغه الحجاج الرسالة تمشي اليه الحسين فلما رآه قام عن مجلسه فسأله الخروج معه فاستعفاه من ذلك واعتل عليه(1) واصيب الحسين بكربلاء ويستثيره مصرعه ، ويأسف اسفاً شديداً لعدم مشاركته له في القتال ، وتتعالى في نفسه وهو يتطلع إلى مصرعه لواعج حزينة ، وآلام دفينة . فتتحرك نوازعه للشعور بالاثم . وتبعث في نفسه دواعي التقريع ، لموقفه الذي اعتزل فيه الحسين وخذل دعوته . ان هذه المشاعر المختلطة التي تحكمت فيه وهو يقف على اجداثهم الطاهرة . تصور الاحساس النفسي الذي ملك عليه مشاعره وهو يراجع صورة الاحداث ، ويقف عند المؤثرات العاطفية الحادة التي اخفق في اتخاذ الموقف المناسب منها . ولعله أدرك وهو يشق مسالك الحياة البطولية ويسجل لنفسه من خيالها الموقع المرسوم ، ان النهاية التي انتهت اليها هذه النفوس هي نهاية حتمية لكل نفس اتخذت لها هذا الطريق ، ورسمت لها هذا المنهج .

---

(1) البلاذري/أنساب الأشراف ٥/٢٩٠–٢٩١ وتاريخ الطبري ٦/١٢٨

ان نقطة الابتداء التي وضعها الشاعر من خلال الموقف الحاد الذي ملك عليه جوانب التفكير وضيق عليه دائرة الرؤيا جعله يتخذ لنفسه موقفاً مغايراً للموقف الذي كان عليه قبل حادث الاستشهاد ، وقد وضع نفسه في جانب الناقمين ، وقد ظلت بعض قصائده تتعالى فيها أنفاس الرثاء المؤلم وتفجرت فيه معاني الندم ، والشعور بالتقصير الذي أفقده كثيراً مما يجب عليه أن يؤديه حين دعاه الحسين (عليه السلام) لنصرته ويؤكد ماجاء في الاخبار من الدعوة ، ويؤكد تصميم الشاعر على تركه وعدم الاستجابة ..

يالك حسرة ما دمت حيا
تردد بين حلقي والتراقي
حسينا حين يطلب بذل نصرى
على أهل العداوة والشقاق
ولو اني اواسيه بنفسي
لنلت كرامة يوم التلاقي
مع ابن المصطفى نفسي فداء
فبالله من الم الفراقِ
غداة يقول لي بالقصر قولها
اتتركنا وتزمع بانطلاق
فلو فلق التارف قلب حي
لهم اليوم قلبي بانفلاق
فقد فاز الالي منصورا حسينا
وخاب الآخرون أولو النعاق

ومن الطبيعي أن يتصف هذا الشعور بالتلوع والاندفاع والتلهف لماتشوبه من تأثر ، ويملأ جوانب معانيه من تفجع . . ومن المرجح أن عبيدالله بن الحر قد قال شعر غير هذا ، ولكن الذي وصل منه هو مقطعات قليلة .

مع المختار الثقفي

ان صفحة هذا الموقف تبدو في سجل الشاعر واضحة ثم تتلوها صفحة أخرى تبدأ عند خروج المختار الثقفي بالكوفة وقد ابى الشاعر أن يبايعه ، ولعلّ الموقف الذي اتخذه لنفسه بعد حادثة الحسين عليه السلام ، وموقفه من الدولة الاموية هو الذي حدد له هذا الموقف

تجاه المختار وعندما حاول المختار أن يطلبه اتاه فبايعه تحذيراً . وكان المختار يريد أن يسطو به ولكنه أمسك عن ذلك . الا أن ابن الحر بدأ يتعبث بالنواحي ، وأقبل في أصحابه وهم في نحو ثلاث مائة فاغار على الانبار فأخذ ماكان في بيت مال عاملها فقسمه بين أصحابه وله في ذلك شعر . ثم أغار على كسكر فأخذ ماكان في بيت مال عاملها وقسمه بين أصحابه . ولما بلغ المختار غارته على الانبار بعث عبدالله بن كامل الشاكري فهدم داره وأخذ امرأته ام سلمة بنت عبدة بن الحليق الجعفية فحبسها في السجن ، وقال المختار : والله لاقتله أو لاقتلن أصحابه . فلما بلغ ذلك عبيدالله بن الحر أقبل في فتيانه وسار حتى اتى ساباط المدائن فتلقى بها أصحاب الزبير بن علي ، ثم أتى الكوفة وهو في مائة وثلاثين فارساً ومعهم الفؤوس والكلاليب لمكاثرة أصحاب السجن فاتى السجن فدخله فأخرج امرأته وكل من كان في السجن فقاتله ابن كامل صاحب شرطة المختار فهزمه ابن الحر وانطلق بإمرأته حتى أدخلها بيوت جعفي(١) ولما سار مصعب إلى المختار ليقطع عنه المادة ، بعث عبيدالله بن الحر إلى الصائدين من همدان وبعث غيره إلى مواضع أخرى لمحاصرة المختار (٢) وقتل المختار سنة سبع وستين وتكلم أهل الكوفة في قتل أصحاب المختار فقال ابن الحر : أما أنا فأرى أن يرد الامير كل قوم ممن كان من هذا الكذاب إلى قومهم ، فانه لاغناء بنا عنهم في ثغورنا ويرد عبيدنا علينا فانهم اراملنا وضعفائنا ، وان نضرب أعناق الموالي فقد بدا كفرهم وعظم كبرهم وقل شكرهم ولا آمنهم على الدين ، فضحك المصعب ودفعهم إلى ابن الحر فضرب أعناقهم(٣)

وموقفه من المختار موقف صريح كما وجدنا يتحدد من خلال عبث الشاعر بعمال المختار وأصحابه ، ويتحدد من خلال الاعمال التي قام بها المختار بمعاونة همدان لاحراق دار الشاعر وانتهاب ضعنه وسجن امرأته ، وهذا مادفعه إلى نهب ضياع عبدالرحمن بن سعد ، ونهب ماكان لهمدان بها ثم اقباله على السواد فلم يدع مالاً لهمدان الا أخذه وكان يسمي المختار الكذاب .

لقد زعـم الكذاب إني وصحبتي
بمسكن قـد أعيت عـلـيّ مذاهـب

وكان قتاله له ولجنده قتالا يوحي بعمق الحقد بينهما وقد أشار إلى ذلك عبيدالله في بعض مقاطع شعره ففي ذكره لحولايا يقول :

---

(١) البلاذري/أنساب الأشراف/ ٢٩٤/٥ وتاريخ الطبري ١٢٩/٦

(٢) البلاذري/أنساب الأشراف ٢٦٠/٥

(٣) البلاذري/أنساب الأشراف ٢٩٤/٥

ويوم بحولايا فضضت جموعهم
وافنيت ذاك الجيش بالقتل والاسر

فقتلتهم حتى شفيت بقتلهم
حرارة نفس لاتذل على القسر

ومن شيعة المختار قبل شفيتهم
بضرب على هاماتهم مبطل السحر

وفي موضع آخر يقول :

وقد علم المختار اني له شجى
إذا صد عنه كل قرن يكالبهُ

أكر عليه الخيل تدمى نحورها
اطاعنه طوارا وطورا أضاربهُ

فكم من صريع قد تركت بمعزل
عكوفا عليه طيره وثعالبه

مع مصعب بن الزبير :

أما موقفه من مصعب فقد تغير بعد قتل المختار وبعد أن اعلم المصعب أنّ الحر غير مأمون فهو سيصنع في سلطانه ماكان يصنع في سلطان من كان قبله ويفسد عليه فلم يزل مصعب يتلطف له ويكده حتى أتاه فأمر بحبسه وأشار إلى هذه الوشاية في بعض قصائده وهو في حبس مصعب (١)

من مبلغ الفتيان أن أخاهم
اتى دونه باب منيع وحاجبه

نميز له ماكان يرضى بمثلها
إذا قام غنته كبرل تجاوبه ،

على الساق فوق الكعب اسود صامت
شديد يداي خطوه ويقاربه

وما ذاك من جرم أكون اجترمته
ولكن سعى الساعي بما هو كاذبه

---

(١) البلاذري/أنساب الأشراف ٢٩٥/٥ وتاريخ الطبري ١٣٠/٦

دعـاني اليـه مصعب فاجبتـه

نهـاري وليـلي كلـه اذا دائبـه

وفي أبيات أخرى يعاتبه من تقريب بعض الناس حيث يقول :

بـأيّ بـلاء ام بـأيـة نعـمة

تقـدّم قبـلي مسلـمٌ والمـهلـب

وكتب ابن الحر الى الاحنف وغيره يسألهم الكلام لمصعب فيه . فكلمه فيه الاحنف فأخرجه من الحبس وأطعمه خراج كسكر ، فصار اليه فقسمه في أصحابه ثم أتى ابن الحر نفّر فاخذ خراجها فقسمه فبعث اليه مصعب الحجاج بن حارثة الخثعمي فقاتله حتى حجز الليل بينهم وقاتله بسطام بن مصقلة بن هبيره الشيباني واتى شهرزوز وأخذ ماكان في بيت مالها وقاتله عاملها فهزمه وظفر به فضرب عنقه(١)

ان موقفه من مصعب كما رأينا يشتد بعد خروجه من السجن ويأبى مبايعته لانه يؤمن ، بألا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . ولم ير بعد الخلفاء الراشدين الاربعة اماماً صالحا ولا وزيراً تقياً لانهم أقوياء الدنيا ضعفاء الآخرة ومادام وصحبه من أصحاب النخيلة وجلولاء ، ونهاوند يلقون الاسنة بنحورهم والسيوف بجباههم ثم لايعرف لهم حق وفضل ، ولابد أن يقاتلوا دفاعاً عن الحريم(١) وعندما أرسل اليه مصعب سيف بن هاني المرادي أوصاه بأن يعطي عبيد الله بن الحر خراج بادوريا إذا بايع ودخل في طاعة مصعب ولكنه رفض وظل يقاتل كل من يرسله مصعب اليه بلا هوادة وهو يتوعد مصعبا ويهدده بزيادة الخيل له وهي تردى عوابسا بفرسانها ، تتوالى عليه الغارات من كل جانب ، ويذكره بالندم الذي سيلحقه ، وإذا لم يصنع مثل هذا الصنيع فليس جديرا أن يدعى بالحازم البطل ولا وضعت أفراسه قناعها ولا عاش يمني النفس بالاماني ويعللها بالعلل..

فلا تحسبني ابن الزبيـر كنـاعس

إذا حلّ أغفى أو يقال له ارتحـلْ

فإن لم أزرك الخيل تردى عوابسا

بفرسانها لا أُدْعَ بالحـازم البطـل

وإن لم تر الغارات من كل جـانب

عليك فتندم عـاجـلا أيهـا الرجـل

---

(٢) البلاذري/أنساب الأشراف ٢٩٥/٥ وتاريخ الطبري ١٣١/٦

(١) الطبري/تاريخ الرسل والملوك ١٣٢/٦

فلا وضعت عندي حصان قناعها

ولا عشت إلا بالأماني والعلل

ويبدو أنّ علاقته هذه كانت تتحدد من خلال مواقف معينة فهي شديدة إذا وجد الدوافع داعيه لذلك وهو موقف أقرب إلى العتاب إذا وجد الاسباب غير موجبة ،ولعل هذه المرحلة كانت أسبق من المراحل التي أصبحت علاقتها مقطوعة ، ووقع بينهما من المعارك ناسقط فيها عددا كبيرا من القتلى وقد أورد الطبري سببا لاوليات هذه العلاقة فربطها بتقديم مصعب لأهل البصرة مما دفع عبيد الله بن الحر إلى الكتابة إلى عبد الله بن الزبير قصيدة يعاتب بها مصعبا ويخوفه مسيره إلى عبد الملك بن مروان وقد أشار عبيد الله في الأبيات إلى هذه المجافاة ،وتقريب مصعب لوزيرين ممن كان يحاربهم عبيد الله . وقد ذكرحق بيعته لآل الزبير ،واوضح موقفه منهم في المراحل الصعبة وما قدّمه لهم ، حتى إذا استنار الملك وانقاد الاعداء جنبا مصعب عنه وقرّب كل ذي غش ومنعه الحاجب من الدخول عليه (١)

إذا قمت عند الباب أُدخل مسلم

ويمنعني أن أدخلَ الباب حاجبه

وهو يحاجج مصعبا بقوة، ويعد تقديم الآخرين اهانة ما بعدها أهانه ،ولهذا كانت مخاطبته مباشرة ولا مجال فيها لاية وسيلة .

بأي بلاء ام بأيـة نعمـةَ

تقدم قبلي مسلم والمهلب

وأخيرا بايع ابن الحر عبد الملك مراغمة للمصعب ،واجتمع اليه بشر من أهل الموصل بتكريت وحاول مصعب أن يقضي على ابن الحر إلا أن جهوده الكثيرة قد باءت بالفشل لشجاعة التي تميز بها هذا الرجل والقدرة المتمكنة في مجابهة كل القواد الّذين بعثهم مصعب .. ومضى ابن الحر الى عبد الملك ومعه جماعه من اصحابه فاكرمه عبد الملك وطلب عبيد الله من عبد الملك أن يوجد معه الجند لمحاربة المصعب فتعهد بمده بالخيل والرجال فسار ابن الحر ونزل بقرية يقال لها بيت فارط الى جانب الانبار على شاطئ الفرات .. فاستأذنه اصحابه في دخول الكوفة وقد اغتنم عبيد الله بن عبّاس المسلمي خليفة مصعب على الكوفة يومئذ

(١) الطبري/تاريخ الرسل والملوك ١٣٥/٦ وأنساب الأشراف ٢٩٥/٥

الفرصة ، فسار بجيش كثيف فلقى ابن الحر في عدة يسيرة من اصحابه فقالوا هذا جيش لاطاقة لنا به فقال : ماكنت لادعهم وحمل عليه حملات .. ثم عطفوا عليه وكشفوا اصحابه وحاولوا ان يأسروه فقال لاصحابه : انصرفوا سالمين ودعوني اقتل : فقالوا: لانسلمك فقاتلوا طويلا حتى اثخنوا بالجراح ثم اذن لهم بالذهاب فذهبوا ولم يعرض لهم وجعل يقاتل وحده فحمل عليه رجل من باهله يكنى ابا كدينة فطعنه ، وجعلوا يرمونه ولا يدنون منه وجعل يقول هذه نبل ام مغازل « فلما اثخنته الجراح خلص الى معبر ، فدخله ، ومضى به الملاح حتى توسط به الفرات فاشرفت عليه الخيل وفي العبر نبيط فقالوا : ان الذي في السفينة بغية امير المؤمنين والامير ، فان فاتكم قتلناكم فوثب ابن الحر ليقع في الماء فوثب اليه رجل عظيم طوال فقبض على عضديه وجراحاته تشخب دماً وضربه الأخرون بالمجاذيف فلما رأى ابن الحر ذلك قبض على الذي كان يمنعه واخذ بعضده حتى سقطا جميعاً الى الفرات فغرقا (١)

ولما بلغ عبدالملك خبره جزع عليه ، ، وندم على بعثته في اصحابه من غير ان يضم اليه جنداً وقال : ايَّ مددة حرب وسداد كان عبيد الله لايبعدنك الله ياابن الحر والله ماوجدوك خوَّارا وفرَّاراً وقيل في مقلته غير هذا (٢)

مع عبد الله بن الزبير

اما موقفه مع عبدالله بن الزبير فقد ابدى الشاعر اكثر من دليل على سلامة نيته في علاقاته ، ويبدو ان الجانب المقابل لم يقف منه مثل هذا الموقف وهذا مادفع الشاعر الى تأكيد هذا الولاء من خلال الالتزام بالدفاع عنه وعن حكمه ومن خلال التجارب التي شدت هذا الولاء واحكمت اواصره على الرغم من الوشايات التي اخذت طريقها الى نفس عبدالله

شخصيته الادبية :

لقد امتزجت شخصية عبيدالله بن الحر التاريخية امتزاجاً متداخلا في شخصيته الادبية وارتفعت جوانبها من خلال الاحداث المتلازمة التي احاطت به وقد فرضت الاحداث عليه فرضا فعاش يطويها بشجاعته ويجابهها بما يمكن عليه من مصادمه .. لقد كان لعبيد الله شخصيتان تطاولت شخصيته التاريخية من خلال حركة التاريخ ووضحت الادبية من خلال القدرة الشعرية التي تميز بها والمكنة التي جعلته يتحكم برقاب التعابير ويفرض عليها حسه التاريخي ونمطه الذي اختطه في سلوكه العام .. ولعل هذا السلوك المتميز هو الذي

---

(١) البلاذري/أنساب الأشراف ٢٩٧/٥

(٢) الطبري / تاريخ الرسل والملوك ١٣٥/٦

جعل الدراسة التاريخية تأخذ هذا البعد الواضح ، فتطغى حدودها وتتسع مجالاتها، ويفسح لها وهي تمتد عبر حياته البطولية الحافلة .

لقد استطاع الشاعر أن يرسم في شعره صورة واضحة لحياته،وصورة واضحة لنضاله: وموقفه وبطولته . ويحدد كثيراً من المسائل الدقيقة التي لم تكشف عنها الأخبار أو توضحها مصادر التاريخ . إن استشفاف أبياته وقصائده والوقوف عندهما وقفة طويلة، واستبطان طواياها تكشف عن الدوافع الكامنة التيظلت غير واضحة في الخطوط العامة التي تعرضه مصادر التاريخ .

إن ألواحه الشعرية ألواح حياتية مضبوطة ، تتجلى في ثناياها النوازع الحادة التي كانت تحركه وتتضح فيها العوامل التي كانت تحد آثارها سلباً وإيجاباً في نفسه ، وقد كان الشاعر حريصا كل الحرص على تسجيل هذه النوازع وبيان الآثار التي يخلفها في نفسه.. ولهذا اصبح شعره مجموعة من الحلقات المترابطة التي تتحدث عن حياته البطولية إلى جانب التسجيل التاريخي الكامل لما قدمه فيكل معركة منمعاركه التيخاضها امثال باجسرا وتامرا (ديالى) واكناف جازر والمدائن وحولايا وساباط وسوراء ونهر صرصر وبفر وعين التمر

اما الجانب الاخلاقي الذي استطاع بواسطته ان يكمل صورة الجانب البطولي من شخصيته فهو جانب آخر كان لشعره سبب واضح في الكشف عنه . . فطبيعته الابية جعلته لايقبل الاهانة باى شكل كانت، فاذا قدر على ردها كان رده لها قويا حازما ، واذا وجد نفسه غير قادر تحول ، وفي الارض العريضة مذهب لمن اراد التحول ، فهي رحبة لم تسد ابوابها بوجه ابنائها الاباة ..

وهو يتقي الخوف عن نفسه ويأباه ويؤمن بالواقع ايمانا مطلقا، ويؤمن بكل ماتضمره الدنيا للانسان من خير وشر ، لأن الخير لايدوم ، فالحياة خليط من نعيم وشدة وكذلك تكون الايام مداولة بين الامن والخوف ، والضيم والسعة ، وهذا يوحي لنا بثاقب بصر الشاعر الذي يرقب الدنيا بعين العارف المدرك ، ويعلم اسرار تقلبها ، وكنه حوادثها فالذي يضع نفسه في الموضع الذي اختاره لها لابد ان يدرك المخاطر التي تحيط به فهو رجل له منظور سياسي واضح ، وقد وجد نفسه قادرا على تحقيق هذا المنظور من خلال بطولته وبطولة اعوانه الذين آمنوا بفكره وآمنوا بالسلوك الذي ارتضاه لهم ولنفسه، والدنيا في عرفه يومان يوم رخاء وغبطة تتملك الانسان فيه امارات السرور وعلامات الابتهاج ويوم شقاء وشدة يعلو الانسان فيه الشحوب والاغبرار . .

م/٦/ش

والبطولة عنده ليست مقتصرة على الشجاعة وحدها ، وانما هي مجموعة من القيم التي تساهم في احياء التكامل الاخلاقي لهذا المظهر فالكرم جانب له حركته في ايضاح صورة هذا التكامل وهو عادة تعودها لايستطيع الظهور بغيرها .

وهو فارس له خصائص الفرسان ، فهو صريح حتّى مع خصومه ، اذا افتخر كان فخره صورة حقيقية،واذا لم يكتب له النصر سجل على نفسه هذا الاحجام . . ففي يوم تكريت ذاق مرارة الهزيمة والاحجام،ولم يكن سبب ذلك تردده،لانه يقاتل مفردا وجمعا ولكن اعداد الخصوم التي جاوزت خمسة أضعاف عدده كانت السبب الذي يختفي وراء هذا الاحجام، وقدقتل في هذه المعركة عدد من فرسانه .. ولكنه ظل يحمل لواء التحدي لارهاب مصعب بن الزبير لينتقم من هذه الهزيمة ويدرك ثار أبطاله الذين سقطوا فحاول الرجوع إلى الكوفة متحدياً مصعب وقد دارت في اطار هذا التحدي معارك اثخنت فيها الجراح وسقطت الوية الحرب وعقرت الخيول ولكن عبيد الله ظل بطلاً يحمل لواء الانتصار والتحدي دفاعاً عن شرف المعركة التي سقط فيها بعض أصحابه .

انّ هذه القدرة على الاستمرار في القتال ومجابهة الخصوم بهذه العزيمة وفرار القادة أمامه تمثل الجانب الشجاع الذي تميز به هذا البطل ، وتدل على المكانة المرموقة التي كان يتمتع بها بين أصحابه وهم يحايدون محايدة الصابرين ويقاتلون مقاتلة المستميتين .

لقد لازمته صورة الاعتراف في كل موقعة من مواقعه التي لم يستطع فيها أن يحقق النصر فهو يعترف باحجام خيله وفزعها بسبب الزحوف الكثيرة التي يحددها في بعض المواقع..

الوف أتت من بعدهنّ الوف ..

انّ ارضاء رغبته ، ومحاولة تطمين هذه الرغبة كانت لاتهدأ إلا باذلال الحاكم الذي يعاديه ، فالوعيد الذي يطلقه الحاكم لم يكن له في نفسه أثر ولم يترك في قلبه مجالاً ، لأن قلبه تعود الترويع ، وجالد المصائب والخصوم . فإذا حاول الحاكم ارهابه بمثل هذا الوعيد جدع أنفه وسعط غيظه بغارة ، وصدع أبوابه بما يهزها باصرار لايدانيه اصرار ، وهو يأخذ العهد على نفسه بتحقيق هذه العهود . فحصانه لاتضع قناعها عنده ان لم يحقق هذا العهد ، ولاقاده للناس قلب شجاع ثم يعود إلى فكرة التحدي التي أصبحت لازمة من لوازمه في اثبات هذه الجرأة وميدان تحديه في كثير من الأحوال المجابهة الحقيقية التي تكشف عن الجازع الحقيقي والخائف الذي لايعصمه جبل أو يغنيه جمع ..

أما السجن فكانت له ملامح ملموسة ، والوان معينة فهو إلى جانب بطولته وإبائه فقد كانت مشاعره الأصيلة تجد قدرتها على التعبير في أحوال المضايقة التي تحيط به أو السجن الذي ينزل فيه ، ولهذا كانت صورة السجن في شعره دقيقة تختلط فيها مشاعر الحرية ومشاعر التضييق وتقف عندها الأبواب المنيعة ، والحرّاس الأشداء . وان صرخته كانت أيضاً تختلط بصوت النجدة الذي تهاوى من اقبية السجن إلى الفتيان الذين يسألون عنه . وقد حال دونه هذا الباب المنيع والحاجب الغليظ ، وهو منزل لايرضى بمثله ، وقد كان الشاعر أميناً حتى في أصوات الأصفاد والكبول التي قيّد بها . فإذا قام غنته الكبول ، وقد وضعت على ساقه ووضع فوق الكعبين حديد أسود شُدَّ بمثله من الساق الأخرى بحيث أصبح لايستطيع أن يباعد خطوه وهي صورة دقيقة لحالة السجناء الذين كانوا يقيدون بالسلاسل .

ان نفثة الحزن الصاعدة التي كان يتحسسها ، والم القيود التي كانت تحز في جسده كانت تنبعث من نفس تشعر بالظلم ، وتتحسس بالتحريض الذي دفع مصعب بن الزبير إلى حبسه . إن صورة السجن كانت تقترن في نفسه بمجموعة من الصور الإنسانية التي كان لها عبيدالله فسجنه لم يكن مصيبة له أو اعتداء عليه فحسب ، وإنما سجنه سيحرم كل طارق ليل من النزول او الخائف من الالتجاء والإعانة ، إنه يخشى الموت في السجن لأن الميتة الكريمة عنده هي أن يموت وهو يطاعن كل خرق مغازل ، وهو لاينسى قدره في هذا السجن فالسجن قدر عايه ، وان الله سيجعل له مخرجاً . وهو — كما مر — يؤمن بان الدهر يومان يوم يكون فيه شريداً . ويوم يعقد له التاج بين الملوك ، وهي صورة ترسم لنا مظاهر الطموح التي كانت تتنازعه .

فالسجن عنده في هذه المرحلة كان التحدي الذي يستطيع فيه أن يبرهن على قوته . ويبرهن فيه على مقدرته على تحدي من حاول أن ينتقم منه (المختار) فكانت معركته الحاسمة التي استطاع فيها أن يحقق القوة والمقدرة ، فاستطاع فيها أن يثبت ماعجز المقاتل عن فعله ، فأنقذ زوجته وكل النساء اللواتي كتب عليهن السجن . وكانت أسلحته الفؤوس والكلاليب ، وكانت المعركة بينه وبين السجانين حامية ، انتهت بفوزه وفوز أصحابه وتحديه ، وقد حدد شكل التحدي من خلال أبيات قصائده التي عرض فيها لهذه الحادثة . وكان صحبه من الفتيان المعروفين بحماية الذمار ، المدججين بكل مايمنحهم القوة ، وهو لاينسى عواطفه في هذا الموقف الجريء فأنعم على زوجته بما يجعلها أكثر إشراقاً في نفسه ، فالحياة بدون

زيارتها لاطعم لها لأنها منية النفس والهوى .. وقد لاقى بسبب حبسها من الآلام مالاقاه ، وقد كتم حزنه وكتم إحساسه وهو يعلم كل العلم بما تلاقي وانه حزين لهذا الجهد الذي يثقلها ، متألم لهذا الظلم الذي ناءت به . ان هذه الصور التي أوحتها له صورة الزوجة وهي تضيق بهذه الحياة دفعته الى أن يبدي ضروب الفروسية وهو يدخل السجن فيحميها، ويضارب بالسيف ليعيد إليها الأمن ، ويعيد لها هدوء الحياة ، وقد استجد في هذا الموقف ضروب بطولته والخصوم يحيطون به وهو يكر عليهم كر الأسد .

انّ صورة التحدي ظلت تلازمه في كل حركة يتحركها حتى وهو يقاتل داخل السجن، فقد كان يدعو عبدالله بن كامل الشاكري قائد المختار الثقفي ، ولكن هذا القائد يولي حثيثاً ، وفي مقابل صورة الهزيمة التي رسمها لهذا القائد رفع صورة أُخرى له إذا دعي ، وهي صورة يتألق فيها التحفز والكر والمصاولة ..

إن عامل التحدي الذي حاوله الاصرار على اثباته ظل قائماً في نفسه وفي صوته وفي صورته ، لانه يريد أن يجعله لوحة من ألواح البطولة الصامدة حتى في أحرج المواقف ، لقد تمثلت بطولة هذا الفارس في أكثر من موضع يستحق التقدير ..

إن دوافع البطولة التي تميز بها عبيدالله نابعة من ايمانه بالقدر وايمانه بالأجل الذي كتب عليه وحدد له ، وقد دفعه هذا الايمان إلى أن يخوض الحرب بلا خوف ، ويصارع الطغيان بلا هوادة ، وينشد الحرية بلا تحفل ، فالحرب لا تقرب أجلها ، وخوض المنايا مجال يمكن أن يبدي فيه من البطولة مايحفظ له الذكر ،فإذا كان الموت نهاية هذا البطل وإذا كان الكتاب المؤجل هو الذي يحقق موته ، فلم لايسجل المفاخر ؟ ولم لايطمح في ابداء ضروب البطولة ؟

إن نباهة عبيدالله وجرأته كانت عوامل ظهوره بطلاً من أبطال التاريخ وفعلاً استطاع أن يحقق له ذلك من خلال صور التحدي الناضجة التي سجلها ، وصور التحدي الأصيلة التي حدد اطارها ..

يخوفني بـالقَتْلِ قومي وإنما
أموتُ إذا جاءَ الكتـاب المؤجّل
لَعلّ القنا تُدني بأطرافها الغنى
فنحيا كراماً أو نموتُ فنُقتَـلُ

لقد كانت نظرته في تحقيق النصر نظرة صائبة وسليمة لأنها تنبعث من الايمان المطلق بالموت ، والايمان المطلق بحتميته الواقعة ولهذا كتب على نفسه أن يبيع الاقامة بالسرى ولين الحشايا بالجياد الضوامر ، ومن يستطيع أن يصنع مثل هذا الصنيع أو يغني مثل هذا الغناء أو يقف هذا الموقف إذا رهج الوادي بوقع الحوافر ، فهو البطل المنتظر ، البطل الذي أدرك قبل غيره مواقع تسجيل البطولة ، وأدرك قبل غيره مطامح الآخرين الذين يثمنون وجود الرجل القادر على تقديم مثل هذا العطاء فكان عبيدالله ، وكانت نفسه الأبية المؤمنة .

لقد كان تحديه واضحاً من خلال رؤياه الصائبة لضروب التحدي التي أضمرها لمصعب ابن الزبير حين خضع لمشيئته مَنْ حاول دفعه إلى سجن الشاعر ، ولهذا كانت الصورة تكشف عن انفلاته من السجن وجعل الحرب هي الملتقى الذي سيكون بينهما ، وسيكون الفتيان وقودها الجزل الذي يذكي أُوارها .

لقد حزّ في نفسه أن يكون متهماً بالباطل ، وحزّ في نفسه أن يقيد ، وقد ظلت أصداء ذلك عميقة في نفسه لشعوره بقسوتها وتحسسه بظلامتها ، وقد حاول أن يشد الموضوع شداً قبلياً يتصل بأعراف متفق عليها بين القبائل آنذاك ، وقد أشار إلى خشيته من هذه الخيانة التي قيد بها من غير جرم وقد شاع ذلك في أوساط بكر بن وائل :

فلو متُّ في قومي ولم آت عجرة
يُنمعني فيها امرؤٌ غير عادل

لاكرم بها من ميتةٍ إن لقيتها
أُطاعنُ فيها كل خرق منازلُ

وما كنت أخشى أن أداني مُقيداً
على غيرِ جُرمٍ وَسطَ بكر بن وائل

إنّ أحاديث الشاعر امتداد لحديث الشعراء الفرسان الذين مجدوا كل مظهر من مظاهر الفروسية والبطولة ، فهو يتحدث عن تقاليد الفرسان كما تحدث عنها الفرسان . واستخدم في تصوير خصومه مجموعة من الصور الشعرية المتحركة ، فهم عنده كالمعز الذي تحنى خشية الذئب بالصخر ، وقد جمع فيها كثيراً من امارات الخوف والتذلل لهذه المعزى الخائفة اللائذة ، ومنح نفسه صورة الجرأة فجعلها كالذئب ، ثم جعلهم في صورة أُخرى

مثل الحمائم التي تلوذ من الصقر ، وهي تعطينا نموذجاً آخر من نماذج الاعتزاز والتعالي الذي يضفيها على نفسه ، ونماذج الهروب والخوف والتستر وهو يصف بها خصومه وفي لوحة ثالثة يصفهم بالنعام ويؤكد سرعة هروبهم وقد تملكهم الذعر فولوا مسرعين .

لقد تميز شعر عبيدالله بن الحر ، شأنه شأن الشعراء الذين اتخذوا لأنفسهم هذا المسلك بأنه شعر مقطعات وإن كان بعضها متميزاً باعتباره قصائد طويلة إذا قيست بالنسبة للشعراء الآخرين ، ولعل الأسباب التي حملته على ذلك أسباب معروفة ، يمكن اعتبارها أسباباً متميزة تطبع كل الأشعار المماثلة لشعره ، فهو لم يكن شاعراً خاض الموضوعات الشعرية الموروثة ، ولم يكن من الشعراء الذين التزموا بمنهج تقليدي ثابت . وإنما كانت قصائده في أغلبها استجابة آنية ، أو امتداداً لخط فكري مرسوم ، توحيه طبيعة الحدث ، وتوطده جوامع الفكر الملتزم الذي حدد له الخط المستديم ، وقد أصبحت مجالس الفتيان وحلقاتهم ، وساحات الحرب وهي المجال الذي يتناشد فيها هذا الشعر ، وتقوم من خلاله أبعاده الفنية ، وكثيراً ماكانت المفاوز المقفرة وبطون الوديان المتباعدة هي المسرح الناضج في الاستماع إلى الدستور الشعري الذي كان يضم حلقات الخط المتباعد من منهج الشاعر الحر إلى جانب عدم الالتزام بكل التقاليد الأخرى التي كان الشعراء التقليديون يحرصون عليها ،ويلتزمون بها ، من مقدمات غزلية أو طللية إلى أوصاف للفرس أو الناقة إلى ادخال لوحات شعرية معينة إلى اضفاء أوصاف . كل هذه التقاليد أوشكت أن تتضاءل في شعر هذا الشاعر وإذا قدر لبعضها أن يظهر فقد كانت صورته باهتة ومعالمه خافتة وتأثيره غير متكامل .

إن التحول الجديد الذي أصاب القصيدة عند عبيدالله بن الحر يمثل خطاً شعرياً متميزاً عند كل الشعراء الذين ساروا في هذا المنهج لأنهم استطاعوا اكساء القصيدة أثواباً جديدة كما استطاعوا أن يملؤا الفجوات بسيول عاطفية ثرّه أظهرت نوازعهم الأصيلة وحنينهم الشديد . وشعورهم العميق بالاغتراب ، وقد حقق لهم هذا التحول استدامة شعرية ناجحة وجعلهم أكثر قدرة على التعبير عن كثير من الجوانب النفسية التي ضاقت بها حياتهم ، فجاءت أشعارهم شديدة الصلة بواقعهم قريبة إلى كل نفس تتحسس الأعماق الانسانية المتألمة بعبارة سهلة وتركيب لفظي قريب وتناول سليم لكل معنى من المعاني التي وجدوا فيها مجالاً للتعبير .

لقد ظل عبيدالله بن الحر يمثل الرمز الحقيقي لطبيعة الأوضاع العربية التي اكتنفت العصر ، وظل قلقه السياسي وتقلبه في أحضان التيارات السائدة يمثل وجهاً ناصعاً من الوجوه الأصيلة

التي شهدتها الدولة العربية في تلك الفترة ، فهي فترة غير مستقرة ، تصاعدت فيها الأحداث تصاعداً غير طبيعي وتفاعلت عوامل التحرك السياسي تفاعلاً حدياً واضحاً ، وجرت فيه الأمور جرياناً قد يكون بعيداً حتى بالنسبة لأولئك الذين ساهموا في الجريان .

وقد انعكس هذا الوضع انعكاساً بارزاً في سلوك هذا البطل واتخذت أشكاله أشكالاً غير مستقرة في تحركه ، وقد وجد في جماعته الأداة السليمة التي يمكن أن يؤتمن جانبها حتى تستطيع أن تحقق له بعض ما كان يصبو إليه وسط هذا التيار الحاد . ولهذا كانت وجهته نحو هؤلاء الفتيان وجهة حقيقية وكانت أساليبه في معاملتهم أساليب قيادية حكيمة ، يمنحهم مايكسب دون تمييز ولكن حسابه لهم كان حساباً عسيراً وكان في كل تصرف من تصرفاته يمتلك زمام القيادة الادارية الموفقة .

إن التبريرات التي يذهب إليها بعض المورخين في توجيه حياة عبيدالله توجيهاً بعيداً عن واقع حياته لايمكن ان نجد لها اسبابا حقيقية في واقع الحياة،لانها مبررات غير مقبولة ويمكن انطباقها على كثير من المغامرين الذين حاولوا الوقوف امام الدول العربية،أو حاولوا ان يسيروا في اتجاهات مناهضة،وهذا مالم نجد له مثيلا عند عبيدالله فهو عثماني كما وجدنا ويكون إلى جانب معاوية في الصراع ثم يذهب إلى عبدالملك يطلب منه النجدة لمحاربة المصعب، إلى جانب موقفه الحاد في مجابهة المختار وهو خط سياسي واضح واعتقاد فكري ملتزم ، واذا قدر لبعض المصادرات أن تخرج الرجل عن حقيقته فلاصحابها آراؤهم في هذا التخريج ولعل العبارة التي كنا نصادفها في بعض المصادر وهي (لايعطي الامراء طاعة) (١) هي التي تحدد كثيرا من التصورات التي دارت في حياته وهي التي تحدد لنا كثيرا من الالتزامات التي اتخذها لنفسه مجالا من مجالات الصمود والوقوف والدفاع عن الخط الذي حدده لنفسه في الدفاع عن عثمان والوقوف إلى جانب نصره ميتا ..

مصادر شعره

كلمة اخيرة لابد ان تقال في المصادر التي استطاعت ان تضم اكبر مجموعة من اخباره واشعاره نقل البغدادي في الخزانة نصا طويلا عن حياته وبعض اشعاره وفي آخر النص قال «وقد فصل السكري وقائعه وحروبه وجمع اشعاره في كتاب اللصوص بما لامزيد عليه»(٢) وهذا يعني ان اوسع الكتب التي تحدثت عنه وجمعت اشعاره هو كتاب اللصوص للسكرى الذي ضاع .

---

(١) البلاذري :أنساب الأشراف ٢٩٠/٥

(٢) البغدادي :الخزانة ٢٩٩/١

وقال صاحب منتهى الطلب بعد ان اورد اربع مقطوعات شعرية له : وقال عبيد الله ابن الحر بن عمر بن خالد وجعله السكري مع اللصوص ولم يكن لصا انما كان لايعطي الامراء طاعة وكان يضم اليه جماعة ويغير بهم (١)

وهذا تأكيد آخر يؤكده محمد بن المبارك قبل الخزانة ، وينقل ثمانين بيتا من الشعر تقريبا ، وعلى الرغم من ضياع هذا الكتاب القيم الذي احتفظ بمجموعة كبيرة من شعر اللصوص فان تاريخ الطبري قد ضم مجموعة من الاخبار والاشعار مايستطيع الباحث من خلالها ان يهتدي إلى بعض الامارات التي تنفع في ايضاح بعض جوانب هذا الشاعر الضائع ، وان كانت بعض الاشعار تلتقي مع اشعار صاحب منتهى الطلب ، فقد احتوى تاريخ الطبري على اكثر من ستين بيتا من شعر الشاعر التي قدم لها بمقدمات تكشف عن اسباب الشعر ، وتحدد المناسبة التي قيل فيها ، وفي اغلبها قصائد تاريخية تتصل باحداث معينة ، وتتسم بطابع شديد الصلة بالمختار الثقفي أو مصعب الزبيري أو عبدالله بن الزبير أو تتحدث عن بلاء الشاعر في بعض المواقع الحربية ، وهو كما ارى ثاني مصدر يعتمد عليه في شعر عبيدالله بن الحر بعد منتهى الطلب .

أما المصدر الثالث فهو انساب الاشراف للبلاذري الذي اسهب فيه بذكر اخبار الشاعر مع الاستشهاد ببعض المقاطع الشعرية المختارة من شعره ، ولكن احكام البلاذري كانت تأخذ طابع الحدة بالنسبة للشاعر ، وتتسم بروح مغايرة للروح التي عالج بها الطبري جوانب هذه الحياة ، ولابد ان تكون الدوافع التي حملت البلاذري على هذا الموقف تنبعث من موقع تاريخي معين ، او يتحدد من خلال السلوك الذي عرف به الشاعر ، او السبيل الذي اتخذه في تحقيق العدالة التي كان ينشدها .

أما بلدان ياقوت فقد ضم اربعة واربعين بيتاً من الشعر وقد تكرر بعضها في المصادر المتقدمة ، ولكنه ينفرد في اغلبها ، وهي تتحدث عن معاركه التي خاضها والمواقع التي وقف عندها في شعره . ويبدو ان بعضها ينتسب إلى قصيدة واحدة ولكن انتهاج ياقوت وهو يستشهد في مواضع البلدان هو الذي حمله على تفتيت القصيدة ..

ويأتي ابن الشجري الذي استشهد بحوالي ثلاثين بيتاً وهي استشهادات ينفرد بها صاحب الحماسة في بعض الاحيان .. أما البحتري فقد اورد له ابياتاً متفرقة وفي حدود خمسة عشر بيتاً وتتوزع بقية الابيات بين تاريخ دمشق ومجموعة المعاني والمحبر والمجتنى والكامل للمبرد

---

(١) محمد بن المبارك : منتهى الطلب الورقة/٥٢١

واشباه الخالديين والحماسة البصرية وهي ابيات قليلة ومن الطبيعي ان تظل كتب اللغة والنوادر والامالي بعيدة عن شعر الشاعر لاسباب تحددها طبيعة المناهج المتبعة في امثال هذه الكتب إلى جانب الاسباب الاخرى التي كانت تحدد في كثير من الاحيان للطبيعة التي يلتزم بها المؤلف ، او الفكر الذي يحدد نوعية الاختيار وصاحب الاختيار .

منهج صنعة الديوان .

لقد اصبح صنع الدواوين مسألة لها اطارها المتفاوت لدى المعنيين لانها صناعة تدور في كثير من حلقات الاهتمام بهذه الوجهة التراثية الواضحة وقد اخذت هذه الصناعة تنتشر بشكل يدعو إلى التأمل والاهتمام ويدفع الدارسين إلى المتابعة والترقب لان كثيراً من هذه الدواوين تقدم مادة شعرية جديدة ، تبرز ظاهرة ادبية غير واضحة ، وتؤكد حقيقة شعرية لم يكتب لها التأكيد ، وتكشف عن جوانب حياتية وانسانية تضاءلت خيوطها عند الشعراء الذين كتب لاشعارهم ان تظهر ولعل اسباباً اخرى واشكالاً جديدة غير منظورة تقدمها بعض هذه الدواوين .. ان جانب الحقيقة التي يجب ان تلازم الباحثين وتجعلهم مؤمنين بأن التراث العربي والاسلامي لايمكن ان يحكم وهو في حالته هذه يعاني النقص ويشكو النسيان وتتكالب على اكداسه مخالب الضياع والانطمار .. فاذا ظل التراث حبيس الآفات هذه وإذا بقيت معالمه غارقة في طوايا المكتبات وزوايا الربط والمحافل فسوف تظل الدراسات قاصرة والاحكام غير سليمة والمقاييس النقدية التي يقدر بموجبها متأرجحة ضعيفة . هذه الحقيقة دفعت الكثيرين ممن اخذتهم الغيرة على تراثهم على احتوائه والنزعة إلى اخراجه والاهتمام بجمعه من بطون الكتب .

ومن الطبيعي ان تخالط هذه العملية الكبيرة بعض النواقص وتعتري الاعمال بعض الشوائب ، فتخرج بعض الاشكال غير مستكملة ، وتبرز بعض الاعمال ناقصة شوهاء .. فإذا كتب لهذه الاعمال ان تلتزم بالمنهج الذي يمكن ان يحقق الغاية التي من اجلها قامت هذه الحركة المباركة استطاعت ان تؤدي واجبها إداءً حسناً . ويمكن حصر ذلك بما يلي :

١ : حسن الاختيار : وهذا يعني ان الشاعر المختار يجب ان يكون شاعراً له اهميته الشعرية بابراز قدرة فنية ، او كشف ظاهرة ادبية ، او تأكيد نزعة قومية خيرة ، او ايضاح جانب مشرق من جوانب النفس العربية ... وهذا يعني ايضاً ان الشاعر المختار يجب ان يكون انساناً يؤمن بقيم امته ومدافعاً عن حقها في الحياة ، وقادراً على رسم طموحها في الرفعة

والسؤدد ، بعيداً عن كل نزعة تسيء إلى هذه النزعات .. ليكون الجهد المبذول جهداً مجرياً والكد الذهني كداً مستحقاً .

٢ : الدراسة التي يقدم بها الشعر دراسة تتوفر فيها العلمية في البحث والقدرة في المتابعة والاستشفاف في الحكم والاستبطان في الدراسة إلى جانب الوقوف عند النصوص وقوفاً واعياً والالمام بها الماماً شاملاً يهتدي من خلالها إلى الكشف عن حياة الشاعر واظهار الابعاد التي عجزت مصادر التاريخ عن اظهارها وتقييم هذه النصوص تقييماً ادبياً صحيحاً تحقق الشاعر موقفه النقدي بين الشعراء ، لان الدراسة التي تخلو من هذه المرتكزات لاقيمة لها . والاقتصار على الاخبار التاريخية التي ترويها كتب التراجم او التاريخ لايمكن التعويل عليها في مثل هذه الدراسات . وإذا اقتصر البحث على النصوص الواردة في الكتب القديمة ، فالاولى بمثل هذه الدراسات ان تقتصر على الاشارة إلى تلك المصادر ليرجع اليها القارىء .

٣ : الالتزام بالتحقيق العلمي . لقد اصبح لتحقيق الشعر منهج يلتزم ومسلك يعتمد ، واسلوب متميز يأخذ به المحقق في تخريج ابيات الشعر وتثبيت الاختلاف الموجود بين الابيات في المصادر والتسلسل التاريخي لمواضع ايراد النصوص والانتفاع من المصدر انتفاعاً كاملاً وايضاح الظواهر التي تلوح من خلال ايراد النصوص كظاهرة الابيات المفردة واختلاط الشعر ودواعي هذا الاختلاط وتثبيت المناسبات التي تقدم بها الابيات او القصائد ، وذكر الاسانيد التي تقدم بها بعض النصوص وافراد الابيات المتدافقة النسبة بقسم خاص وترجيح النسبة بما يوحي بصحة هذا الترجيح ووضع الفهارس ، والمصادر . وغير ذلك مما يتعلق بالمنهج السليم في التحقيق .

لقد التزمت بهذه العلامات الكبيرة في التحقيق بما استطيع ، وآمل ان اكون قد وفقت في ذلك . والله اسأل ان يعيننا على ما فاتنا من نقص فله الكمال وحده ، وانه اعلم العالمين ، والسلام .

١٠ ذي الحجة ١٣٩٤	**نوري حمودي القيسي**
٢٤ كانون اول ١٩٧٤	استاذ مساعد في كلية الآداب

-(١)-

وقال عبيد الله بن الحر ايضاً في حبس مصعب (من الطويل)

١ - مَنْ مُبلغُ الفتيان ان أخاهُم
أتى دونَهُ بابٌ مَنيعٌ وحاجبُهْ

٢ - بمنزلةٍ ما كان يَرضى بمثلِها
إذا قامَ غَنَّتْهُ كبولٌ تُجاوبُهْ

٣ - على الساقِ فوقَ الكعبِ اسودُ صامت
شديدٌ يُداني خَطوَهُ ويُقاربُهْ

٤ - وماذاكَ من جُرمٍ اكونُ اجترمتُهُ
ولكن سَعى الساعي بما هو كاذبُه

٥ - وقد كان في الارض العريضة مسلك
وأيُّ امرءٍ أعيَتْ عليهِ مَذاهبُهْ

٦ - وفي الدّهرِ والايّامِ للمرءِ عِبْرَةٌ
وفيما مضى إن نابَ يوماً نوائبُه

٧ - دعاني اليهُ مُصْعَبٌ فأجَبْتُهُ
نهاري ولَيلي كُلُّهُ أنا دائبُهْ

٨ - أروحُ واغدو دائماً وكأنّما
أُبادِرُ غُنْمَاً في الحَياةِ اناهبُهْ

٩ - فكان حِبائي اذ أُنخت ببابه
حُجُولٌ وأحراس وصَعب مَراتبه

١٠ - فإني لم أنكُثْ لهم عَهْدَ بيعة
ولم آتِ أمراً مُحدَثاً انا راهبُهْ

١١ - فإنّي لكمْ مثلي يُذَبِّبُ عنكُمُ
إذا الصفُّ دارتْ للقراع كتائبُهُ

١٢ - واني من قوم سيُذكُر فيهُم
بلائي اذا ماغص بالماء شاربه

(١) في انساب الاشراف ٥/٢٩٥ .. من يبلغ الفتيان .
(٢) في انساب الاشراف ٥/ ٢٩٥ كبول تجاذبة

١٣ ـ كان عُبيد الله لم يُمْسِ ليلةً
مُوَطَّنَةً تحتَ الشُروحِ جانِبُهُ

١٤ ـ ولم يَدْعُ فتياناً كأن وجوهَهُمْ
مَصابيحُ في داجٍ توارتْ كَواكِبُهُ

١٥ ـ لَعَمرُكَ اني بَعدَ عَهدي ونُصرتي
لكالسَّيف فُلَّتْ بعد حَدٍّ مضاربُهُ

١٦ ـ وقد عَلِمَ المختارُ أني لهُ شَجَىً
إذا صَدَّ عَنْهُ كُلُّ قِرنٍ يُكالِبُهُ

١٧ ـ اكُرُّ عليهِ الخيلَ تَدْمَى نُحُورُها
أُطاعِنُهُ طوراً وطَوْراً أُضارِبُهُ

١٨ ـ فَكَمْ مِنْ صَريعٍ قد تركتُ بمعزلٍ
عُكوفاً عليهِ طيرُهُ وثَعالِبُهُ

١٩ ـ وحِصْنٍ منيعٍ قَدْ صَبحتُ بغارةٍ
واهلِ نَعيمٍ يَضرِبُ الطَبْلَ رلاعبُهُ

ـ(٢)ـ

قيل: كان سبب مقتل عبيدالله بن الحر أنه كان يغشى بالكوفة مصعباً، فراه يقدم عليه اهل البصرة، فكتب إلى عبيدالله بن الزبير ـ فيما ذكر ـ قصيدة يعاتب بها مصعبا ويخوفه مسيرة إلى عبد الملك بن مروان يقول فيها: (من الطويل)

١ ـ أبْلغ اميرَ المؤمنين رِسالةً
فلستُ على رأيٍ قبيحٍ أُواربُهُ

٢ ـ أفي الحقِّ أنْ أحفى وَيجعلُ مُصعبٌ
وَزِيرَيْهِ من قد كنتُ فيه أحاربُهُ

٣ ـ فكيف وقد ابليتكم حقَّ بيعتي
وحقِّي يُلْوى عندكُم وأطالِبُهُ

٤ ـ وأبليتُكُمْ مالاً يُضَيِّعُ مثلُهُ
وآسيتُكمْ والأمرُ صَعبٌ مراتبُهُ

٥ ـ فلما استنارَ الملكُ وانقادتِ العدا
وأدركَ من مَالِ العراق رغائبه

٦ ــ جَفا مُصْعَبُ عني ولو كان غَيره
لأصبحَ فيما بيننا لاأعاتِبُه

٧ ــ لقد رابني من مُصْعب أن مُصْعَباً
أرى كُلَّ ذي غش لنا هو صاحبه

٨ ــ وما أنا إنْ حَلأتموني بوارد
على كدرٍ قد غُص بالصَّفو شاربه

٩ ــ وما لامريء إلا الذي الله سائق
اليه وماقد خَطّ في الزبر كاتبه

١٠ ــ إذا قمت عند الباب أدْخَل مُسْلم
ويمنُعني أن أدخُلَ البابَ حاجبُه

وهي طويلة ..

(٣)

وقال ايضا يُعاتب مُصعباً في ذلك ، ويذكر له تقريبَه سويد بن منجوف وكان سويد خفيف اللحية : (من الطويل)

١ ــ بأيّ بلاءٍ أمْ بـــأيةِ نعمـــةٍ
يُقَدَّمُ قبلي مسُلمٌ والمُهلبُ

٢ ــ ويُدعى ابن منجوفٍ امامي كأنّـــه
خصيٌّ أتى للماء والعير يشربُ

٣ ــ وشيخُ تميم كالثّغامةِ رأسُـــهُ
وغيلان عنّا خائفٌ مُترَقّب

٤ ــ جَعلتُ قُصورَ الأزد مابين منبجٍ
إلى الغافِ من وادي عُمانَ تصوّبُ(١)

٥ ــ بلاءٌ نفى عنهـا العدوّ سُيوفنـــا
وصفرةُ عنها نازحُ الدار أجْنبُ (٢)

---

(١) الغاف : اسم موضع بعمان سمي به لكثرة شجر الغاف به وهو من عظام الشجر .
(٢) صفرة : يريد به أبا المهلب بن أبي ضفرة .

(٤)

وقال عبيدالله بن الحر الجعفي يعاتب عبدالله بن الزبير : (من الطويل)

١ — لكم باردُ الدُنيا ونَصلى بحرها
إذا عَضتِ الهامَ السُّيوفُ القواضبُ

٢ — ألمْ تعلموا أنّا عَدوٌّ عدُوِّكُمْ
ويَشقى بنا في حَرْبكم من نُحارِبُ

٣ — وماأنا بالراضي بما غيُرهُ الرِّضى
فلا تكذِبَنْك ابَن الزُّبير الكواذِبُ

٤ — فحسُبك قد جرَّبتني وبكوتنـي
وقد ينفعُ المرءَ الكريمَ التجاربُ

(٥)

قال عبيدالله بن الحر يخاطب المختار : (من الطويل)

١ — لقد زعم الكذّابُ أني وصحبتي
بمسْكنَ قد أعيتْ عليَّ مذاهبُ

٢ — فكيف وتحتي اعوجُي وصحبتي
على كل صهميم الثميلة شاربُ

٣ — إذا ماخشينا بلدة قرّبـت بنـا
طوالٌ متونٌ مشرفات حواجبُ

(٦)

وقال : (١) (من الطويل)

حَلَبْتُ حُلوفَ الدهر كهلاً ويافعاً
وجَرَّبْتُ حتّى احكمتني التَجاربُ

(٧)

١ — إذا ما رأيتَ السنَّ لاتعِظ امـرءً
قَديماً وقَدْ قَاسى الأمورَ وجَرَّبا(*)

(١) حماسة البحتري / ١٠٣

(*) يبدو أن القطع الثلاث (٧،٨،٩) من قصيدة واحدة ، وقد آثرت أن أضعها بهذه الهيئة لأنني لم أجد مصدراً يجمعها . ولكن تسلسل معانيها ووحدة موضوعها وارتباط أفكارها توحي بهذه الوحدة .

٢ ــ فَدعْهُ وما استهوى عليه فإنّهُ
ضَعيفٌ ونكّب عَنْهُ كيفَ تنكّبا

(٨)

(من الطويل)

٣ ــ الاربَّ ذي نُصْحٍ يُبَاعَدُ عَنكُمُ
وغِشٍّ رأينَاهُ مُضَاعاً مُقرَّبَا

(٩)

(من الطويل)

٤ ــ فلا تحسبَنَّ الخَيرَ لاشَرَّ بَعْدَه
ولا الشَرَّ سُرجُوجَا على من ترتّبَا (١)

٥ ــ ولكنْ خَليطاً مِنْ نَعيمٍ وَشِدةٍ
فَإنْ يأت خيرٌ فاخشَ شَرّاً مُعقّبا

(١٠)

(من الطويل)

وقال عبيد الله بن الحر :

١ ــ فَإن بنتَ عنيَّ او تَرد لي إهَانَةً
أجِدْ عنكَ في الارض العريضة مذهبا

٢ ــ فلا تحسَبَنَّ الارضَ باباً سَدَدْتَهُ
عَلَيَّ ولا المصرين أُمّاً ولا أَبَا

(١١)

وقال لمصعب وهو في حبسه ، وكان قد حُبس معه عطية بن عمرو البكري ، فخرج عطية فقال عبيد الله :

(من الطويل)

١ ــ أقول لَهُ صيداً عطيُّ فَإنّمَا
هو السجنُ حتى يجعَلَ الله مَخْرجَا (٢)

---

(١) في الأصل شرجوجاً والتصحيح عن هامش الحماسة .

(٢) عطيْ : منادى مرخم عطية .

٢ ـ اری الدَّهرَ لي يومين يَوماً مطرَّداً
شَريداً وَيَوماً في الملوك مُتَوَجَا

٣ ـ اتطْعنُ في ديني غداةَ أتيتُكُمْ
وللدين تُدْني الباهليّ وحَشَرَجَا

٤ ـ ألمْ تَرَ أن الملكَ قد شينَ وَجْهُهُ
ونبعُ بلاد الله قَدْ صَارَ عَوْسَجَا

وهي طويلة ..

إلى ان قال :

٥ ـ ومَنزلَة .يابنَ الزبير كَريهَة
شَدَدْتُ لها مِن آخِرِ الايلِ اسرجَا(١)

٦ ـ بِفتيانِ صدق فوقَ جُرد كَأنَها
قداحٌ يَراها الماسخيُّ وسَحَّجا (٢)

٧ ـ إذا خرجوا من غمرَةٍ رَجَعوا لَهَا
باسيافِهِمْ والطَعْنِ حَتّى تَفَرَّجَا (٣)

٨ ـ مَتى تَأتِنا تُلْهِمْ بِنا في دِيَارِنَا
تَجِدْ حطباً جَزلاً ونَاراً تأجَّجَا

(١٢)

(من البسيط)

وقال عبيد الله بن الحر الجعفي من قصيدة أُخرى :

١ ـ لم يَجعَلَ الله قَلبي حينَ ينزل بِيْ
همّ تضَيّقني ضَيْقاً ولا حَرَجَا

---

(١) وأسرج جمع سرج .

(٢) والجرد جمع أجرد : وهو القصير الشعر من الخيل ، والقداح ، جمع قدح بكسر القاف : عود السهم قبل أن يجعل له نصل ، والماسخي : الذي يصنع السهام . وسحّجا : نحته وملّسهُ .

(٣) الغمرة : الشدة وتفرجا ، أصله تتفرجن بنون توكيد خفيفة ، فقلبت ألفاً ، وحذفت التاء من أوله ، ومعناه : تتكشف .

٢ ـ مَـا انزلَ الله بي امــراً فأكرهَه
إلاّ سيَجْعَل لي مِنْ بعدهُ فرجا

(١٣)

وقال رجلٌ من ولد الحكم بن ابي العاصى ، يقال له عُبيد الله بن الحر ، وكان شاعراً متقدماً ، وكان لأم والدٍ ، وهو من ولد مروان بن الحكم . .

(من الطويل)

فانْ تَك أمي مِـنْ نِساءِ أفاءَها
جِيادُ القنا والمرهفـاتِ الصفائـح
فتباً لِفضلِ الحُرُّ إنْ لم أنَل بـه
كـَرائمَ اولاد النِســاءِ الصّرائِـح

(١٤)

الورقة / ١٢٦

وقال عبيدالله بن الحر أيضا وقد اخرج أمراته من السجن، وكان في مائةوثمانين فارسا(١) معهم الفؤوس والكلاليب لمكابرة السجن ، وقاتلهم يومئذ،بالكوفة،وخرج آخر النهار منها وأودع امراته في بيوت جعفي (من الطويل)

١ ـ ألم تَعلمي يأم توبةَ أنّنــي
أنا الفارس الحامي حقائق َمذحجِ
٢ ـ وأني صبحتُ السجنَ في رَوْنق الضحى
بكلّ فتى حامي الذمار مُدَجّجِ
٣ ـ فما إنْ برحنَا السجنَ حتّى بدالنـا
جَبينٌ كقـرنِ الشّمس غيرُ مُشَنّجِ
٤ ـ وخَدٌ اسيل من فتاة حييّـــةٍ
ألا فسقاها كلُ مُزْنٍ مُبَعّجِ

(١) في انساب الاشراف ٢٩٣/٥ في مائة وثلاثين فارساً
٢ ـ في تاريخ الطبري ١٢٩/٦ في سورة الضحى
٣ ـ في تاريخ الطبري ١٢٩/٦ فما إن يرحن
٤ ـ في تاريخ الطبري ١٢٩/٦ عن فتاة .. الينا سقاها كل دان مُثجج

م/٧/ش

٥ — فما العيشُ إلا أن أزورَك خَالياً
كَعادتنا من قَبلِ حَربي ومَخرجي

٦ — وما انتِ إلاّ منيةُ النفس والهــوى
عليكِ سلام من حبيبٍ مُستَحّج (١)

٧ — ومازِلتُ محزوناً بحبك واجمـــاً
وإني لما تَلقَيْن من بَعدهِ شجي

٨ — فبالله هل أبصَرْتِ مثليَ فارســاً
وقَدْ وبلجَوا عليك من كُلّ مَولج

٩ — وَمثليَ حامي دُونَ مثلكِ انــنـي
أشُدُّ إذا ماغَمرةٌ لم تُفَرّجِ

١٠ — أضاربُهمْ بالسّيفِ عنك لتَرْجعي
إلى الأمنِ والعيس الرفيع المُخرَفّج

١١ — إذا ما احاطوني كَرَرَتُ عليهـمِ
كَكَرّ ابي شبلَتّنِ في الخيس مْحَرّجِ

١٢ — دعوتُ اليَّ الشاكريَّ ابن كامـــلِ
فولى حثيثاً رَكضُهُ لم يُعَرّج

١٣ — ولوَ يَدعني باسمي كررتُ عليهـم
خيُولَ كرام الضّرْبِ اكثُرها الوجي

---

(١) في المخطوطة هامش يفسر مسحج فيقول : بعيد ·

---

٥ — في تاريخ الطبري ١٢٩/٦ أن أزورك آمناً
٦ — في تاريخ الطبري ١٢٩/٦ وما أنت إلا همة عليك السلام منخليط ومسحج
٧ — في تاريخ الطبري ١٢٩/٦ ومازلت محبوساً لحبك وإني بما تلقين من بعده شجِ
٨ — في تاريخ الطبري ١٢٩/٦ وقد وبلجوا في السجن
٩ — في الطبري ١٢٩/٦ .. ومثلي يحامي .
١١— في الطبري ١٢٩/٦ إذا ما أحاطوا بي
١٣— في تاريخ الطبري ١٢٩/٦ وان هتفوا باسمي عطفتُ عليهم

١٤ — ولاغروَ إلا قول سَلمى ظعينتي
أمَا أنتَ ياابنَ الحرُّ بالمُتَحرِّجِ

١٥ — دَعِ القومَ لاتَقتُلهُمُ وانجُ سالماً
وشَمر هداكَ اللهُ بالخيلِ واخرُجِ

١٦ — واني لارجُو ياابنة الخير أن أرى
على خير احوالِ المُؤمل فارْتجَى

١٧ — ألاَ حبذا قولي لأحمَر طيءٍ
ولابن خلَيدٍ قد دَنَا الصُبحُ فادلِج

١٨ — وقَوْلي لذا أقضمْ وقولي لذا ارتحلْ
وقَولي لذا من بَعدْها ذاك أسْرج

١٩ — وسَيرى بفتيانٍ كرامٍ أحبتهُمْ
مُغذَّاً وضوءُ الصُبح لمَ يتبَلَّج

٢٠ — يُطيعونَ متلافاً مفيداً مُعَدّلاً
به يَرتجي عَفوَ الغنى كلُ مُرتَج

(١٥)

١ — ألاهل اتى الفتيـان بـالمصر انني
اسرتُ بعَين التّمر اروعَ مـاجدا

٢ — وفَرقت بين الخيل لما توافَقت
يطعن امريء قد قام من كـان قاعدا

(١٦)

وقال عبدالله بن الحر الجعفي .

١ — تَعَودتُ اعطاءً لما ملكتْ يدي
وكُلّ امريءِ جارٍ على مـا تعـودا

٢ — خلائق ليست بالتخلّق إننـي
أرى اكرمَ الاخلاق ماكان أمجدا

١٤— في تاريخ الطبري ١٢٩/٦ فلا غرو إلا
١٧— في تاريخ الطبري ١٣٠/٦ ولابن خبيب
١٨— في تاريخ الطبري ١٣٠/٦ وقولي لهذا سر وقولي لذا ارتحل
من بعد ذلك أسرج

(١٧)

كان عبيدالله يعبث بعمال المختار وأصحابه ، فوثبت همدان مع المختار فأحرقوا داره، وانتهبوا ضيعته بالجُبّة والبداة ، فلما بلغه ذلك سار إلى ضياع عبدالرحمن بن سعيد بن قيس . فأنهبها وأنهب ما كان لهمدان بها ، ثم أقبل الى السواد فلم يدع مالاً لهمداني إلا أخذه ، ففي ذلك يقول :

١ – وما تَرَكَ الكذابُ من جُلّ مالنا
ولا الزُّرقُ من هَمدانَ غيرَ شريدِ

٢ – أفي الحَقّ أن تَنْهب ضياعي شاعر
وتَأمَنَ عندي ضيعَةَ ابن سعيد

٣ – ألمْ تعلَمي يا أمّ توبة أنني
على حدثان الدهر غيرُ بليد

٤ – أشُدُّ حيازيمي لكُلّ كريهةٍ
وإني على مانابَ جَدُّ جَليدِ

٥ – فإنْ لم أُصبِّحْ شاكراً بكتيبةٍ
فَعَالجتُ بالكفّين غُلَّ حَديد

٦ – هُمُ هَدموا داري وقَادوا حليلتي
إلى سجنهم والمسلمون شُهودي

٧ – وهُمْ أعْجَلوها أن تَشُدَّ خمارها
فيا عجباً هل الزمان مقيدي

٨ – فما أنا بابن الحرّ إنْ لم أَرُعهُمُ
بخيلٍ تُعادى بالكُماةِ أُسودِ

٩ – ومَا جَبُنَتْ خيلي ولكن حَمَلتُها
على جَحْفلٍ ذي عُدّةٍ وعَديدِ

وهي طويلة

---

٢ – في تاريخ الطبري ١٣٠/٦ ضياعي شاكرٌ
٤ – في انساب الاشراف ٢٩٣/٥ .. وإني على ما نابني لجليدُ
٦ – في انساب الاشراف ٢٩٣/٥ وساقوا حليلتي والمسلمو ن شهودُ
٨ – في انساب الاشراف ٢٩٣/٥ فلست إذاً للحرّ إن لم ارعكمُ بخيل عليها الدارعون قعودُ

١٠ ـ وقد علمتْ خيلي بساباطَ أنني
إذا حيلَ دون الطّعنِ غيرُ عنُودِ

١١ ـ أكُرُّ وراء المُحجرينَ وادَّعي
مَواريثَ آباءٍ لنا وجُدُودِ

١٢ ـ إذا فرَغتْ أسيافُنا من كتيبة
نبَدْنا بأخرى في الصّباح ركُودِ

١٣ ـ وإن خرجُوا من غمرةٍ ردّها لهم
دُعاي وتحريضي لهُمْ وتشْيدي

١٤ ـ أقولُ لهم تموا فدىً والدي لكم
ومالي جميعاً طارفي وتليدي

١٥ ـ أفدّيهم بالوالدين وفيهمُ
نوافذُ طعنٍ مثلُ حرٍّ وقودِ

١٦ ترى النّضْخَ من وقع الأسنة بينهم
جسيداً بلبّاتٍ لهُمْ وخُدُود

١٧ ـ وغيّرَ ألوانَ الأسنّة بيْننَا
بأحمرَ من صوْن العُروق فصيد

١٨ ـ فدارتْ رحانا واستدارت رحاهم
وكانَ جِلادٌ دُونَ كُلّ وعيد

١٩ ـ وأبْسلَ أهلُ المأقِطين نُفوسهم
مُضاربَةً إذْ طارَ كُلُّ شرود

٢٠ ـ دعوني إلى مكرُوهها فأجبتُهُمْ
وما أنا إذْ يدعُونني ببَعيد

٢١ ـ أقدّمُ مُهْري في الوغى ثم أنتحي
على قربوس السرج غيرَ صدود

١٥ـ في انساب الاشراف٥/٢٩٣ .. إذا ما التقوني .. بنفسٍ لما يخش النفوس

١٩ـ في انساب الاشراف٥/٢٩٣ فاقلعت الغماء عنّا من غانم وشهيد

٢٢ ـ إذا مااتّقوني بالسُّيوف غشيتُهُمْ
بنفسٍ لما تخشى النُّفوسَ وَرُود

٢٣ ـ فما رمتُ حتى صُرِّع القومُ نشوةً
سُكارى وما ذاقوا شرابَ حُدود

٢٤ ـ ولكنَّ وقعَ المشرفيّة بينَهُمْ
لِتجْهزَ مَنْ يَدنوُ لدار خلُود

٢٥ ـ كأنَّ رؤوسَ الدارعينَ عَشيّةً
مِنَ الحنْظل المُلْقى بكلِّ صعيد

٢٦ ـ فأقْلَعَت الغَمّاءُ عنهم وفُرِّجَتْ
ونحنُ بها مِنْ كاتِمٍ وشهيد

(١٨)

(من الطويل)

قال عبيد الله بن الحر (*)

١ ـ ويومَ لقينا الخثعمي وخَيْلَهُ
صَبرْنا وجَالدْنا على نهر صرصرا

٢ ـ ويوماً تراني في رَخاءٍ وغِبْطة
ويوماً تراني شاحب اللون أغبرا

(١٩)

(من الطويل)

١ ـ وقد لقيَ المرءُ التميميُّ خيلَنا
فلاقى طِعاناً صادقاً عند نفرا (١)

٢ ـ وضرباً يزيل الهام عن سكَناته
فما أن ترى إلا صريعاً ومدبِرا

(*) يبدو ان القطعتين (١٨، ١٩) من قصيدة واحدة :
(١) نَفّر من أعمال الكوفة .

(٢٠)

خرج ابن الحر من الكوفة ، فكتب مصعبُ إلى يزيد بن الحارث بن رُوَيم الشيباني— وهو بالمدائن — يأمره بقتال ابن الحر ، فقدّم ابنه حوشباً فلقيه بباجسرى ، فهزمه عُبيد الله وقتل فيهم ، وأقبل ابن الحر فدخل المدائن فتحصنّوا ، فخرج عبيدالله فوجه اليه الجون بن كعب الهَمدْاني وبشر بن عبيد الله الأسدي ، فنزل الجون حَوْلايا ، وقدّم بشر إلى تامَرّا فلقي ابن الحر ، فقتله ابن الحر ، وهزم أصحابه ، ثم لقى الجون بن كعب بحولايا ، اليه عبد الرحمن بن عبدالله فحمل عليه ابن الحر فطعنه فقتله وهزم أصحابه ، وتبعهم ، فخرج اليه بشير بن عبد الرحمن بن بشير العجلي ، فالتقوا بسورا فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانحاز بشير عنه ، فرجع إلى عمله ، وقال : قد هزمتُ ابن الحُر ، فبلغ قوله مُصعبا فقال : هذا من الذين يُحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا . واقام عُبيد الله في السّواد يُغير ويجبي الخراج ، فقال ابن الحر في ذلك :

(من الطويل)

١ — سلوا ابن رُوَيم عن جلادي وموقفي
بايوانِ كسرى لا أُوليهم ظهري

٢ — أكُرُّ عليهمْ مُعْلماً وتَراهُمُ
كمعْزَى تحنّى خشية الذئب بالصخر

٣ — وَبيتهُمْ في حصنِ كسرى بن هُرْمزٍ
بمشحوذةٍ بيضٍ وخطية سُمْرِ

٤ — وأجزيْتُهُمْ طعناً وضرباً تراهمُ
يلوذُون منا مَوْهناً بـذُرا القصْرِ

٥ — يلوذون مني رَهبةً ومخافةً
لواذا كما لاذ الحمائمُ من صقْرِ

(٢١)

(من الطويل)

أتَوْني بقّياض وقد نامَ صُحبتي
وحارُسهم ليثُ هزَبْرٌ أبو أجْرِ
فَقَتَلْتُ قوماً منهمُ لا أعزَةً
كِراماً ولا عند الحقائق بالصّبر

(٢٢)

قال عبيد الله بن الحر يذكر باجِسرًا : (*) (من الطويل)

١ – ويوم ٍ ببَا جسرى هزَمْتَ وغُودرت
جماعتهم صرعى لدى جانب الجسر

٢ – فولّوا سِراعاً هاربين كأنّهم
رعيلُ نعامٍ بالفلا شُرَّدٍ ذُعر

(٢٣)

قال عبيد الله بن الحر :

(من الطويل)

١ – ويوماً بتامرّا ولو كنت شاهداً
رأيتَ بتامرّا دماءَهمُ تجري (١)

٢ – وحذّرتَ بشْراً يوم ذلك طعنةً
دُوين التراقي فاستهلّوا على نَشر

(٢٤)

قال عبيد الله بن الحر يذكر حولايا .

(من الطويل)

١ – ويوم بحُولايا فضَضْتُ جموعهم
وافنَيتُ ذاك الجيش بالقتل والأسر

٢ – فقتّلْتُهمْ حتى شفيتُ بقتلهم
حرارةَ نفسٍ لاتُذَلُّ على القسر

٣ – ومن شيعة المختار قبلُ شفيتُهم
بضربٍ على هاماتهم مبطل السحر

---

* القطع من (٢٠–٢٥) من قصيدة واحدة كما يبدو . ولكنني لم أجد نصاً يرتب تسلسلها ، ولهذا آثرت وضعها بهذا الشكل .

(١) تامراوديالى اسم لنهر واحد . واختلف بعضهم في تامرا .

ويوما بسوراء التي عند بابلٍ
أتاني أخو عِجْلٍ بذي لَجَبٍ مجر

فثُرنا اليهمْ بالسيوف فأدْبروا
لِئامَ المساعي والضرائب والنجر

(٢٦)

(من الطويل)

١ ــ ألمْ تَرَني بعتُ الإقامةَ بالسُّرى
ولينَ الحَشَايا بالجياد الضوامر

٢ ــ أريني فتىً يُغني غنائي ومَوْقفي
ذا رَهَجَ الوادي بِوقع الحَوافِر

(٢٧)

وقال عبيد الله بن الحر الجعفي : (من الطويل)

١ ــ مازلتُ أتقي الخَفَ عني وأحتمي
وبَعضهُمُ إن سيم با لخف مُلبسُ

(٢٨)

وله : (من الطويل)

١ ــ أتاني وعيدُ ابنِ الزُّبير فلم أُرَعْ
ومـا مثلُ قلبي بالوعـيد يُرَوَّعُ

٢ ــ فـلا تَرْمَيَنىٌّ بالوعيـد فإنني
سأتَرْكُ ما تَهوى وانفكُ أجـدَعُ

٣ ــ فإن أنا لم أسْعطْكَ غيظاً بغارة
وأصدَعُ ما قَدْ كادَ بالأمسِ يُرقَعُ

٤ ــ فلا وَضَعَتْ عندي حَصان قناعَها
ولا قادني للناسِ قَلْبُ مُشَيَّعُ

٥ ــ ستَعلَمُ إنْ مالت بي الريحُ مَيْلَةً
عليكَ غداً : أنّي أو ايـاك أجْزَعُ

(٢٩)

وقال أيضاً : (من البسيط)

والأمن والخوف أيام مداوَلة
بين الأنام وبعد الضّيق مُتّسعُ

(٣٠)

قال عبيد الله بن الحر الجعفي : (من الطويل)

١ — أقول لأصحابي باكناف جاذرٍ
ورَاذَانها هل تامُلون رجوعا (١)

٢ — فقال امرؤ هيهات لست براجعٍ
ولم تك للتقنيطِ منه بديعا

٣ — فعَمّمتَه سيْفي وذاك حالتي
لمن لم أجده سامعاً ومطيعا

(٣١)

أغار بن الحر على شبام من همدان فقاتله عبد الله بن اويم وجعل يرتجز ، فشدّ عليه أبن الحر فصرعه ، وظن أنه قد قتله ، ثم عولج فبرىء وهزم من لقيه من شبام وشاكر وقال :

(من الطويل)

١ — سائل بي المختار كم قد ذَعَرْتُهُ
وشَرّدت أطرافاً له وجُموعا

٢ — وقاتلته والناسُ قد أذعنوا له
وقد أقشَعَ الأحياءُ عنه جميعا

وقال عبيدالله بن الحر :(*) (من الطويل)

دعاني بشرُ دعوة فأجبتهُ
بسابساط إذْ سيقت اليه حتوف

(١) جاذر : قرية من نواحي النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن.
* الابيات في بلدان ياقوت ٤/٣ والابيات١، ٢، ٥في انساب الاشراف ٢٩٠/٥

فلمْ أُخلف الظنّ الذي كان يرتجى
وبعضُ اخلاء الرجال خلُوف

فإن تك خيلي يوم ساباط احجمت
وأفزعها مَرٌّ العدوّ زحوفُ

فما جبّنتْ خيلي ولكن بَدَتْ لها
الوفٌ أتت من بعدهن السوفُ

أقول لفتيان الصعاليك اسرجوا
عناجيج ادنى سيرهن وجيفُ

(٣٢)

قال عبيدالله بن الحر الجعفي يرثي الحسين بن علي رضي الله عنهما :

(من الوافر)

١ ــ يالكِ حسرةٌ مادمتَ حياً
تردد بين حلقي والتراقي (١)

٢ ــ حُسيناً حين يطلب بذلَ نصري
على أهل العداوة والشقاقِ

٣ ــ ولو اني اواسيه بنفسي
لَنلتُ كرامة يوم التلاقي

٤ ــ مع ابن المصطفى نفسي فداءٌ
فيالله من ألم الفراق

٥ ــ غداة يقولُ لي بالقصر قولاً
اتتركنا وتزمع بانطلاقِ

٦ ــ فلو فلق التلهفُ قلبَ حي
لهمَّ اليوم قلبي بانفلاقِ

---

(١) قوله : يالك حسرة ، هذا مخروم ، والخرم : اسقاط لأول الوتد

٧ ـ فقــد فــاز الاولى نصروا حسيناً
وخــاب الآخــرون أولــو النفاق

(٣٣)

وقال عبيدالله بن الحُر الجعفي :

(من الطويل)

١ ـ أقول لفتيانٍ مســاعرَ أســْرجوا
بأموالكم أو تَـهْلكُــوا في الهوالك

٢ ـ أنـا الُحُر وابنُ الحُرّ يحمل شكَتّي
طوالُ الهوادي مُشرفــات الحوانك

٣ ـ فمن يَكُ امسى الزعفران خَلوقَهُ
فإنّ خَلوقي مُستثار السنابــك

٤ ـ إذا ما غَنمْنَا مغنماً كان قِسْمَـةً
ولَمْ نتّبعْ رأيَ الشّحيح المُتارك

٥ ـ أقولُ لهم كيلوا بكُـّمة بَعضكُمْ
ولاَ تجعَلوني في النّدى كابن مالك(١)

٦ ـ ستعلمُ إن جَاريتَني يا ابن مالكٍ
إلى أيّنا مأوى رحال الصعالكَ

(٣٤)

(من الطويل)

وله :

١ ـ يُخوّفُني بالقَتل قومي وإنما
أموتُ إذا جاء الكتابُ المؤجّلُ

---

(١) جاء في انساب الاشراف ٢٩٢/٥ يعني ابراهيم بن الاشتر .

٢ ـ لعلّ القَنا تُدْني باطرفها الغنى
فنحيا كراماً أو نموتُ فنُقْتَلُ
٣ ـ ألمْ ترَ أنّ الفقرَ يُزري بأهلهِ
وان الغنى فيه العلى والتجمل
٤ ـ إذا كنتَ ذا رُمْحٍ وسَيْف مصمِّم
على سابحٍ أدْناكَ مما تؤمِّلُ
٥ ـ وإنّكَ إن لاتركب الهولَ لاتَنَلْ
من المالِ مايكفي الصديق ويفضُلُ
٦ ـ إذا القرنُ لاقاني وحلّ حَياتَهُ
فلَسْتُ أُبالي : أيُّنا مات أوّلُ

(٣٥)

(من الطويل)

إذا أخذتْ كفّي بقائم مُرهفٍ
وكان قصيراً عاد وهو طويل

الورقة / ١٢٧

(٣٦)

وقال أيضاً وهو في السجن (من الطويل)

١ ـ لنِعمَ أبنُ اخت القوم بَسجنُ مُصْعَبٌ
لطارق ايل خائف ولِنــازل
٢ ـ ونعمَ الفتى ياابنَ الزُّبير سَجَنْتُمُ
إذا قَلقَتْ يوماً صقُورُ الرّحـائـل
٣ ـ فلو مُتُّ في قومي ولمْ آت عَجزَةً
يُضَعِّفُني فيها امرؤ غـير عـادل
٤ ـ لأُكرمْ بها من ميتةٍ إنْ لقَيتها
أطاعن فيهـا كـل خـرق منـازل
٥ ـ وما كُنتُ أخشى أنْ أراني مقيداً
على غَير جُرمٍ وسْط بكر بن وائـل

---

٢ ـ في تاريخ الطبري ٦ / ١٣٣ اونكر فنقتل

٦ــ والفيتي ياابن الزبير كأنما
رُميتُ بسَهْم من سهامك فاصل

٧ ــ فإنْ أنفلتْ لاتجمعُ الشمسُ بيننا
ولا الليلُ إلاّ في القنا والقنابل

٨ ــ متى أدعُ فتيانَ الصّعاليك يركبوا
ظماءَ الفُصوص نائمات الأباجل

٩ ــ تشبهها الطير السراعَ إذا اغتدت
بِفُرسانها في السّبسب المتماحل

١٠ــ تطيرُ مع الأيدي إذا ارتفعت لها
شمائلها ألحقْنها بالمساحِل

١١ــ يقودُ رِعانَ الخيلِ بي وبصحبتي
كميتُ الأعالي بَرْبَريُّ الأسافلِ

١٢ــ علينا دِلاصٌ من تُراثِ مُخرّقٍ
وتَرْكُ جلا عنها مَداسُ الصياقل

١٣ــ ومُطّرِداتٌ من رماحِ رُدَينة
واتراسُ جُونٌ عُلِّقت بالشمائل

١٤ــ فلوشئتَ لم تَسجُنْ صديقاً ولم تُهبْ
اليك بصقعاءِ المناكب بازل

١٥ــ من الجُرب يمريها ودَرُّتها دَمٌ
إذا أمتريت اخلافُها بالمناصلِ

١٦ــ أنا ابنُ أبي قَيْس فإنْ كنتَ سائلاً
بقيسٍ تَجِدْهُمْ ذروَةً في القبائلِ

١٧ــ ألمْ تَر قيساً قيس عَيلانَ برقَعتْ
لحاها وبَاعتْ نَبْلَها بالمَغازل

١٦ــ في تاريخ الطبري ١٣٧/٦ أنا ابن بني قيس

١٧ــ في انساب الاشراف ٢٨٧/٥ قال : ان نفراً من بني مسلم أخذوا ابن الحر فخافهم فقال : إنما قلت

ألم ترقيساً قيس عيلان اقبلت إلينا وسارت بالقنا والقبائل

فقتلة رجل منهم يقال له عباس

١٨ــ وما زلْتُ أرجو الأزدَ حتى رأيتها
تُقَصّرُ عن بنيانها المُتَطاوِلِ
١٩ــ ومَقْتَلُ مَسْعُودٍ ولم يثأروا به
وصارتْ سُيوفُ الأزد مثل المناجل (١)

٢٠ــ وما خيرُ عَقْلٍ أورث الازدَ ذلةً
تُسَبُّ به أحياؤهُمْ في المحافِلِ
٢١ــ على أنهمْ شُمْطٌ كأن لحاهُمُ
لحاءُ تُيوسٍ حُلّيَتْ عن مناهِلِ

(٣٧)

وله : (من الطويل)
١ ــ ولليل ابناءٌ وللصُّبح اخوةٌ
وأبناءُ لَيلى مَعْشري وقَبيلي
٢ ــ إذا نطقوا لم يُسْمَع اللّغْو بينَهمْ
وإنْ غنِموا لم يَفْرَحوا بجزيل
٣ ــ وما خُنْتُ سيفي في اللّقاء ومانَبا
عليّ إذا ما سُدَّ كُلُّ سبيل

(٣٨)

قال ابن الكلبي : وكان ابن الحر لما صار إلى الانبار بلغه أن حبشياً يقال له الغُداف يقطع الطريق ويعرض لنجدة من الشجعاء فيهزمهم ويسلبهم ويدخل القريَة نهاراً فلا يعجبه امرأة

(١) هو مسعود بن عمرو الأزدي من ولد معن بن مالك بن فهر ، وكان يُدعى القمر لجماله ، وهو جد الوضاء الحبلي فيما يقال ، فأجار ابن زياد ومنعه فمكث ابن زياد بالبصرة اربعين ليلة بعد موت يزيد ثم خرج إلى الشام ، واستخلف مسعوداً على البصرة ووجه معه مسعود من شخص به إلى مأمنه من الشام ، وقتله علج فارسي يقال له مسلم حينما كان على المنبر يبايع من أتاه .

إلا افترشها وقضى حاجته منها لايقدر أحد على منعه ولا دفعه ، فمضى اليه وحده فلما رآه عرفه بالنعت فسايره ابن الحُرّ فقال له من أين أقبلت ياصاحب الفرس قال : من الانبار قال : فانه بلغني أن ابن الحر نزلها فما تراه يريد قال : اياك يريد أنا ابن الحرْ فخذ حذرك أيها الكلب ثم حمل عليه فطعنه فصرعه ثم نزل فضرب رجله فابانها فاخذ الاسود رجله فرمى بها ابن الحر فمشى اليه ابن الحر فقتله وأخذ فرسه وجعل ابن الحر يقول :

(من البسيط)

١ — انّي رأيت بوادٍ مُقفرٍ رجُــــلاً
مثل الهزبر إذا مــــا ساور البطــلا

٢ — ضخم الفريسة لو أبصرت قُمتَهَ
وسط الرجال إذاً شبهتــه جَمَــــلا

٣ — سايرته ساعة مابي مخافتــــــه
إلا التلفتَ حولي هــــل أرى وغلا

٤ — دهدهته بين انهارٍ وأوديــــــة
لا يعلُم الناس غيري عنم مــــافعلا

٥ — يُدعى الغُداف وقد مالت علاوته
إن الغداف وربي وافق الاجــــلا

(٣٩)

(من الطويل)

١ — وبالقصر ماجربتموني فلم أجمْ
ولم أكُ وقافاً ولا طائشــــاً فَشَــلْ

٢ — وبارزتُ أقواماً بقصر مُقاتــــلِ
وَضاربتُ أبطالاً ونازلتُ من نَزَلْ

٣ — فـلا كوفةُ امي ولا بصرةُ أبي
ولا أنا يَثنيني عن الرحلة الكســل(١)

---

٤ — في أنساب الاشراف ٢٩٨/٥ غيري علم مافعَلا
٥ — في أنساب الأشراف ٢٩٨/٥ امّ الغُداف فشقّى الجيب وانتحبي ....ان الغداف
(١) في الطبري ١٣٢/٦ تعليق بعد البيت الأول يقول،قال أبو الحسن : يُروى هذا البيت لسُحيم بن وثيل الرياحي وقال بعد الابيات وهي طويلة ...

٤ ــ فلا تحسبَنّي ابنَ الزُّبير كناعسٍ
إذا حَلَّ أغفى أو يقال له ارتحل

٥ ــ فإنْ لم أَزِرْك الخيلَ تردي عَوابساً
بفُرْسانِها لا أُدْعَ بالحازم البَطَلْ

٦ ــ وإنْ لم ترَ الغاراتِ من كُلِّ جانبٍ
عليكَ فتَنْدَمْ عاجلاً أيُّها الرّجلْ

١ ــ فلا وضَعتْ عندي حصَانٌ قناعها
ولا عشْتُ إلاّ بالأمانيِّ والعلَلْ

(٤٠)

(من الطويل)

١ ــ يبيت النشاوى من أميّة نومّاً
وبالطفّ قتلى لاينام حميمُها

٢ ــ وما ضيّع الاسلام إلا قبيلة
تأمر نوكانا و دامَ نعيمها

٣ ــ وأضحت قناة الدين في كف ظالمٍ
إذا اعوّج منها جانبٌ لايُقيمها

٤ ــ فأقسمت لاتنفك عيني حزينةً
وعيني تبكي لايجفُّ سجومُها

٥ ــ حياتي أو ملتى أمية جزية
يذل بها حتّى الممات عميمها

(٤١)

خرج عبيد الله بن الحر حتى أتى كربلاء ، فنظر إلى مصارع الحسين وصحبه ،فاستغفر لهم هو وأصحابه ، ثم مضى حتى نزل المدائن وقال في ذلك :

(من الطويل)

١ ــ يقول أمير غادرٌ حقّ غادر :
ألا كنتَ قاتلتَ الشهيد ابن فاطمه

م/٨/ش

٢ — ونفسي على خذلانه واعتزاله
وبيعة هذا الناكث العهد لائمه

٣ — فيا نَدمي ألاّ أكون نصرتُهُ
ألا كلُّ نفسٍ لاتُسدّد نادِمَه

٤ — وإني لأنني لم أكن من حُماته
لذو حسرةٍ ماإن تفارقُ لازمَه

٥ — سقى الله أرواحَ الذين تآزّروا
على نصرهِ سُقياً من الغيث دائمه

٦ — وقفتُ على أجداثهم ومجالهمْ
فكادَ الحشا ينفضُّ والعين ساجمه

٧ — لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغى
سراعاً إلى الهيجا حُماةً خضارمه

٨ — تاسَوْا على نَصْر ابن بنت نبيهمّ
بأسيافهم آسادَ غيْلٍ ضراغمه

٩ — فإن يُقتلوا فكلُّ نفس تقيّةٍ
على الأرض قد أضحت لذلك واجمه

١٠ — وما إن رأى الراءونَ أفضل منهمُ
لدى الموتِ ساداتٍ وزُهْراً قماقمه

١١ — أتقتلهمْ ظُلماً وترجو ودادنا
فَدَعْ خُطّةً ليست لنا بملائمه

١٢ — لعمري لقد راغمتمونا بقتلهمْ
فكم ناقمٍ منّا عليكم و ناقمه

---

١ — في أنساب الأشراف ٢٩٢/٥ .. يقول أمير جائر حقٌّ جائرٍ
٥ — في أنساب الاشراف ٢٩٢/٥ سقيا من الله دائمه

١٣ — أَهُمُّ مراراً أن أسير بجحْفَلٍ
إلى فئةٍ زاغَتْ عن الحق ظالمه

١٤ — فكُفُّوا وإلاّ ذُدْتكمْ في كتائبٍ
أشد عليكمْ من زُحُوفِ الديالمه

(٤٢)

(من المنسرح)

١ — لم يبق شيءُ يُسامُهُ أحدُ
الا وقد سامناه اخوتنا

٢ — فوجدونا نحمي الذمار ونأ
بى المضيم ان تستباح حرمتنا

٣ — بذاك أوصى من قبل والدنا
وتلك أيضاً غدا وصيّتنا

(٤٣)

بعث المصعب إلى ابن الحر ان لك ولأصحابك خراج بادوريا على أن تقاتل معي عبدالملك واهل الشام فقال : أوليس لي خراج بادوريا وغيرها ، لست فاعلاً وانشأ يقول :

(من الوافر)

أيرجو ابن الزبير اليومَ نصْري
لعاقبةٍ ولم أنصرْ حَسينا (*)

في ابيات

(٤٤)

وقال عبيد الله بن الحر لمصعب بن الزبير (من الوافر)

فإن أنا لم أزركَ الخيلَ شُعثاً
شوازبَ ضُمّراً فدعيتُ قينا

(*) البيت والبيت الذي يليه يبدوان أنهما من قصيدة واحدة احسبها مفقودة .

(٤٥)

وقال عبيد الله بن الحر الجعفي وقد وقع بينه وبين أصحاب مصعب وقعة تكريت قتل بها أكثر أصحابه ونجا بنفسه : (من الطويل)

١ ـ إن تك خيلي يوم تكريتَ أحجَمت
وقُتّلَ فُرساني فما كنتُ وانيـا

٢ ـ وما كنتُ وقّافاً ولكن مُبارزاً
أُقاتِلهم وحدي فراداً وثانياً

٣ ـ دعاني الفتى الأسديُّ عمرو بن جندب
فقلتُ له : لبّيكَ لما دعانيا

٤ ـ وأقسِمُ لو فُوديتُهُ لافتَديتُهُ
بأهلي وما جمّعْتُ كهلاً وناشيا

٥ ـ يَعزُّ على ابن الحرّ ان راح راجعاً
وخُلِّفتَ في القتلى بتكريتَ ثاويا

٦ ـ ألا ليت شعري هل أرى بعدما أرى
جماعة قومي نُصْرةً والمرائيا

٧ ـ وهل أزجُرَن بالكوفة الخيل شزّباً
ضوامرَ تُردي بالكماة عواديا

٨ ـ فألقى عليها مصعباً وجنودَهُ
فأقتل اعداءي وادرك ثاريـا

٩ ـ لعمري لقد طاعنتُ دونك بالقنا
وجالدتُهُمْ لو أنّ للحتف واقيا

١٠ ـ لعمري لقد آسيتني حين أدْبَروا
ومازلْت محمودَ اللقاء مُواسيا

١١ ـ وماكان ظنّي إذْ أُقاتِلُ دونهم
عَدوّهُم ألاَ يكونوا ورائيا

(٤٦)

قال ابن الحُرّ : (*) (من الرجز)

لو أَنّ لي مثل جَرِيرٍ ارْبَعَه(١)
صَبَحتُ بيت المال حتى أجمعه
ولم يُهلني مُصْعَبٌ ومن مَعَه
نعمَ الفتى ذلكُمُ ابن مُشْجِعَه

(٤٧)

وقال ابن الحر :(**) (من الرجز)

لو أن لي مثل الفتى المُجَشّر
ثلاثةً بَيّتُهُمْ لا أمتري
ساعدني ليلة دير الأعورَ
بالطعن والضربِ وعند المعْبر
لطاحَ فيها عُمر بن مَعمر .

(٤٨)

وقال عبيد الله بن الحر : (٢) (من الرجز)

أنا الذي اجليتُكم عن كَسْكر
ثم هزمتُ جمعَكم بتُسْتُرِ
ثم انقضضتُ بالخيول الضُّمَّرِ
حتى حللتُ بين وادي حمْير

(٤٩)

وقال في حملة من حملاته .. (٣) (من الرجز)

يالك يومٌ فات فيه نهبي
وغابَ عنّي ثقتي وصَحْبي .

---

(١) يعني جرير بن كريب وكان صاحب ميسرته .
(*)الأشطار في الطبري ١٣٣/٦والأشطار الثلاثة الاولى في انساب الاشراف٥/ ٢٩٥
(**) الأشطار الخمسة في الطبري ١٣٤/٦
(٢) الأشطار الأربعة في بلدان ياقوت ٤/ ٢٧٥
(٣) الشطران في انساب الاشراف ٥/ ٢٩٧

تخريج
القصائد والمقطعات

(١)

الأبيات (١ – ١٩) عدا السادس في منتهى الطلب الورقة / ١٢٦ والابيات (١ – ٦) في الطبري ١٣١/٦ ، والبيتان الأول والثاني في انساب الاشراف ٤٩٥/٥ ، والبيت الخامس في حماسة البحتري / ١٢١ .

(٢)

الأبيات (١–١٠) في تاريخ الطبري ١٣٦/٦ ، والسادس وبيت الزيادة في مجموعة المعاني /٥٣

(٣)

الأبيات (١–٥) في الطبري ١٣٧/٦ والبيتان الأول والثاني في حيوان الجاحظ ١٣٤/١ ونسب إلى عبد الله بن الحارث . والبيت الأول في انساب الاشراف ٢٩٥/٥ والبيتان (٤،٥) في بلدان ياقوت ٨٦٨/٣ ، ٨٦٩ .

(٤)

الأبيات (١–٤) في حماسة ابن الشجري / ٢٥٧–٢٥٨

(٥)

الأبيات (١–٣) في بلدان ياقوت ٥٣١/٤

(٦)

البيت في حماسة البحتري / ١٠٣

(٧)

البيتان في حماسة البحتري / ١٠٣

(٨)

البيت في حماسة البحتري / ١٧٦

(٩)

البيتان في حماسة البحتري / ٢٢٤

(١٠)

البيتان في حماسة البحتري / ١٢١ وفي اشباه الخالديين ١٩٦/١ ، ١٢٩/٢ نسبا لعبدالله ابن الحسن وصححه المحقق في الهامش وفي مجموعة المعاني/١٣٠ وفي رواية بعض الفاظهما اختلاف ، الأول في المستطرف ٣٨/٢ ونسب لعبد الله الجعدي وروايته فيها خلاف .

(١١)

الابيات (١ — ٤) في تاريخ الطبري ١٣٦/٦ وقال : وهي طويلة والابيات (١ ، ٥، ٦ ، ٧ ، ٨) في الخزانة ٦٦٤/٣ . وقال عنها انها تزيد على ثلاثين بيتا السابع والثامن في شرح ابيات سيبويه للسيرافي ٧٧/٢ والثامن في كتاب سيبويه ٤٤٦/١ غير معزو وفي الدرر اللوامع ١٦٦/٢

(١٢)

البيتان في مجموعة المعاني / ١٣٦ نسبا لعبيدالله بن الحر ومن خمسة ابيات نسبت لعبدالله بن الزبير في شعره / ٦٥ وينظر تخريج القطعة فيه .

(١٣)

البيتان في كامل المبرد / ٤٦٣

(١٤)

الابيات (١ – ٢٠) في منتهى الطلب الورقة/١٢٦ وعدا (١٩، ٢٠) في تاريخ الطبري ١٢٩/٦ ، ١٣٠ والأول والثاني في انساب الاشراف ٢٩٤/٥

(١٥)

البيتان في بلدان ياقوت ٧٥٩/٣

(١٦)

البيتان في حماسة البحتري / ٢٢٦

(١٧)

الابيات (١ – ٦) في تاريخ الطبري ١٣٠/٦
والابيات ٣،٥،١٠ – ٢٦ في منتهى الطلب الورقة / ١٢٥
والبيتان ١٠،١١ في الحماسة البصرية ٨٠/١ – ٨١
والابيات ٢٠،٢١،٢٣،٢٦ في انساب الاشراف ٥ /٢٩٣

(١٨)

البيتان في بلدان ياقوت ٣٨١/٣

(١٩)

البيتان في بلدان ياقوت ٧٩٩/٤

(٢٠)

الابيات (١ – ٥) في تاريخ الطبري ١٣٥/٦

(٢١)

البيتان في بلدان ياقوت ٢١١/٤

(٢٢)

البيتان في بلدان ياقوت ٤٥٤/١

(٢٣)

البيتان في بلدان ياقوت ٨١٣/١

(٢٤)

الابيات (١ — ٣) في بلدان ياقوت ٣٦٦/٢

(٢٥)

البيتان في بلدان ياقوت ١٨٥/٣

(٢٦)

البيتان في الحماسة الشجرية / ١٠٧

(٢٧)

البيت في حماسة البحتري / ٢٢

(٢٨)

الابيات (١ — ٥) في الحماسة الشجرية / ١٠٨ — ١٠٩

(٢٩)

البيت في حماسة البحتري / ٢٢٤

(٣٠)

الابيات (١ — ٣) في بلدان ياقوت ٢ /٧ والاول فيه ٢ /٧٣٠

(٣١)

البيتان في انساب الاشراف ٥ /٢٩٤

(٣٢)

الا بيات (١ — ٧) في الخزانة ١ /٢٩٦ — ٢٩٧
والاول في انساب الاشراف ٥ /٩٢

(٣٣)

الابيات (١،٣،٦) في حماسة ابن الشجري /١٠٦
والابيات (٢ — ٥) في انساب الاشراف ٥ /٢٩٢

(٣٤)

الابيات (١ ــ ٦) في الحماسة الشجرية / ١٠٦ ــ ١٠٧ عدا الثالث،والاول والثاني والثالث والخامس في انساب الاشراف ٥ /٢٩٦،والاول والثاني في الطبري ٦ /١٣٣

(٣٥)

البيت في الخزانة ٣ /١٦٧

(٣٦)

الابيات (١ ــ ٢١) في منتهى الطلب الورقة /١٢٧ والبيتان(٣،٤)في حماسة البحتري /٢٧، والابيات (١٦،١٧،١٨) في الطبري ٦ / ١٣٧ والبيت (١٧) في حيوان الجاحظ ١ /١٣٤ وتاريخ الطبري ٦ /١٣٧ باختلاف في الرواية والابيات (١٨ ــ ٢١) في الطبري ٦ /١٣٧ والابيات (١٨ ــ ٢٠) في انساب الاشراف القسم الثاني من الجزء الرابع/١٠٠

(٣٧)

الابيات (١ ــ ٣) في الحماسة الشجرية / ١٠٨

(٣٨)

الابيات والخبر في المحبر / ٢٣٠ ــ ٢٣٢ والبيتان الرابع والخامس في انساب الاشراف ٥ /٢٩٨

(٣٩)

الابيات (١ ــ ٥) في بلدان ياقوت ٤ /١٢٢ والابيات (٣ ــ ٧) في تاريخ الطبري ٦ /١٣٢

(٤٠)

الابيات (١ ــ ٥) في تاريخ دمشق ٧ /٢٣٣ (مخطوط)

(٤١)

الابيات (١ ــ ١٤) في الخزانة ١ /٢٩٩ وعدا الثاني في الطبري ٥ /٤٧٠
والابيات (١ ،٢ ،٣ ، ٥) في انساب الاشراف ٥ / ٢٩٢
وينظر تاريخ دمشق ٧/ ٢٣٣ مخطوط

(٤٢)

الابيات من (١ – ٣) في المجتنى / ٩٨

(٤٣)

البيت في انساب الاشراف ٥ / ٢٩٥

(٤٤)

البيت في المختار من شعر بشار / ١٧٧

(٤٥)

الابيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) في بلدان ياقوت ١ /٨٦٢
والابيات (١ – ٤) في الحماسة الشجرية / ٢٥٧ – ٢٥٨
والابيات (١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٩ ، ١٠ ، ١١) في الحماسة الشجرية / ٣١٦ – ٣١٧

(٤٦)

الاشطار الاربعة في الطبري ٦ / ١٣٣،والثلاثة الاولى في انساب الاشراف ٥ /٢٩٥

(٤٧)

الاشطار الخمسة في الطبري ٦ / ١٣٤

(٤٨)

الاشطار الاربعة في بلدان ياقوت ٤ / ٢٧٥

(٤٩)

الشطران في انساب الاشراف ٥ / ٢٩٧

(١)

الابيات (١ – ٥) في الطبري ٦ /١٣٧ والبيت الاول في انساب الاشراف ٥ /٢٩٥
والبيتان (٤ ، ٥) في بلدان ياقوت ٣ / ٨٦٨ ، ٨٦٩

(٢)

الابيات (١ – ٣) في بلدان ياقوت ٤ / ٥٣١



السمهري العكلي



حيـاته

جانبان من جوانب الحياة تتهاوى اشباحُهما بصورة واضحة في شعر السمهري واصحابه وهذا الجانبان يمثلان النبض الدافق في الحياة ، الحرية التي يستشعرها السجين ، والحب الذي يملأ قلبه وهو بعيد عن الحياة ، و في ظل هذين الجانبين البارزين تتوزع صورٌ من العواطف ، وتتناثر اقدار من الاندفاع والاستماتة لتحقق بعضاً مما تريد ، او يتصور لها بأنها تحقق هذا الجزء . وتظل النفس الطامحة ، والقلب الملتهب ، والاقدام او الايدي التي تملكتها اغلال الحديد . تسعى سعيها الحثيث ، وترجو رجاءها المنطلق وراء كل مسحة من مُسح الحياة ، او خيال من أخيلة الوهم ، او شبح من اشباح الرؤيا الطارقة . وقد اصبح الحديث عن الخيال او الطيف جزءٌ من هذه الاجزاء التي تناولوها .

ومن الطبيعي ان تتعالى في نفوسهم الحرقة ، وتتصاعد زفرات الحرمان — لانهم يعانون الحرمان الحقيقي من كل ظاهرة من ظواهر الحياة وهم يرسمون صور الشوق ، او يعبرون عن لواعج الاندفاع وراء هذه الاحاسيس ، فتأتي صورهم موغلة في كل عاطفة ، حادّة عند كل صورة متطرفة في رسم أي شعور .

ألا لَيتَنَا نحيا جَميعاً بِغبْطَـةٍ
وتُبْلَى عِظَامي حين تَبْلَى عِظامـها
كَذلِكَ مَا كان المحبونُ قبلَنَـا
إذا مَاتَ مَوتَاهَا تزاورَ هَــامُـهَا

لقد تعالت مظاهر هذه الاحاسيس واضحة في كثير من ابيات شعره وهو يتمثل الاطياف النازلة — وهي قليلة النزول — ويترسم صورها الدقيقة ، ويتعلل بالزورة الخاطفة ، وهو تصور اوحته له حياته البائسة ، وحددته معالم الضمير التي اصبحت لازمة من لوازم الحرمان في شعره وشعر غيره من اصحابه .

ان التعلل بالاطياف ، والاقتناع بالصور المستنبطة من هذه الاطياف والانطلاق لكل الايحاءات التي يوحيها هذا الاقتناع كانت تقترن في وجدانهم بصورة مستحكمة من صور اليأس ، وتلتصق التصاقاً موحداً بصورة الفناء الذي اوشكت ملامحه البارزة ان تسيطر عليهم ، ولهذا كانوا يجدون في رحاب التعلل مجالاً لتخفيف اعباء الموت الذي كان يقترب منهم كل ساعة ، وقد ظلت هذه الهواجس تقترن في كثير من المشاعر التي باتت تزدحم بها قصائدهم ، وتنطلق بها نفثاتهم احساساً بالحياة التي اوشك الفراق ان يكتنفها ، وايماناً بالقدر المطلق الذي اطبق بكل همومه الثقيلة ، وادراكاً للواقع المرير الذي ضاقت به سبل التفكير الضائعة .

ان نزعات الملل ، واختلاجات التمرد النفسي ، واحتباس طاقات الاغتراب المميت ظلت قابعة ملازمة لهذا الشاعر ولغيره من الشعراء وهم يعانون من الضجر مايدفعهم إلى تصور النهاية القريبة . ولهذا كانت احاديثهم اقرب إلى اليأس منها إلى التفاؤل وقد حشدوا لهذا اليأس من ضروب التعابير مايؤكد قدرته في نفوسهم ، وتمكنه من السيطرة على تفكيرهم ، إلى جانب مسحة الحزن والمغامرة والتأمل التي كانت تغطي قسماً كبيراً من تلك الحياة ، لما اعتراهم من جفاء ، ولاقاهم من صدود ، ووقع عليهم من عزلة .

ان السمهري بن بشر العكلي اللص يمثل واحداً من هذه الفئة من الشعراء الذين التزموا بهذا النهج ، وقد فرض عليهم فرضاً ، فخضعوا له خضوع المستسلمين ، وتركوا لمصائرهم الحائرة سبيلها الذي ترسو عنده . بعد ان استطاعوا ان يرسموا ابعاد هذا المصير : لقد استطاع السمهري — شأن بقية الشعراء من امثاله — ان يعبر عن دواخله النفسية المريرة ، وقد استبدت به نوازع النفس بعد ان كتب عليها السجن أو التشرد أو الاغتراب ، وقد اتضحت ادلة هذه النوازع من خلال الفاظ (السجن) و (السجان) و (الحرس) و (مشدود الوثاق) و(الساق الرهينة) و (النفس الرهينة) و (الرجل الرهينة) و (وقعقعة الابواب) وغيرها من الألفاظ التي ارتبطت بصور السجن والسجان والابواب المنيعة التي كانت تحول دون خروجهم ، والقيود الثقيلة التي كانوا يكبلون بها .

ألا طرقت ليلى وساقي رهينة
باسمر مشدود الوثائق ثقيل

لقد طرقت ليلى وساقي رهينة
فما راعني في السجن إلا سلامها

فمن مبلغ عني خليلي مالكاً
رسالة مشدود الوثاق غريب

لقد قدم الشاعر كثيراً من هذه الصور التي قرنها بطروق ليلى ، وهو طروق اوحته له طبيعة الحياة المؤلمة التي يحياها ، ومن الطبيعي ان يكون خيال ليلى هو السلوة .

الوحيدة التي تستطيع ان تخفف عنه حالة التأزم النفسي التي يعانيها ، وتذهب عنه اشباح المصير المنتظر الذي كان يتوجسه من خلال حالة الترقب التي كان ينتظرها ،وهذا مادفعه إلى الاكثار من ذكر الصور المتقدمة .

إن اخباراً متباعدة يرويها ابو الفرج عن السمهري من خلال قصيدة لعبد الرحمن بن دارة يذكر فيها حبس السمهري وقتله ، . يمكن ان تبرز بعض ملامح الشاعر فهو — كما يقول ابو الفرج — كان نديماً لعبد الرحمن بن دارة واخاً ، وكانت بنو اسد أخذته وبعثت به إلى الساطان ، فقتل بعد طول حبس.وفي القصيدة تفجع على السمهري، ونعى على فعل فقعس — القبيلة التي سلمت السمهري — لأن اساره — كما يرى عبد الرحمن — لاموجب له وقتله لامبرر له ، ويستثير في ابياته حمية عكل — قبيلة الشاعر — ويعجب من نومها وهي لم تنل ثأرها من فقعس ولم تأخذ دية السمهري ويستصرخها لايقاد نار الحرب ، ثم ينتقل إلى ذكر اخبار فقعس ، التي كان يحسبها اذل على وقع الهوان من النعل . ثم يدعو على قوم الشاعر بأن يصابوا في اكبادهم اذا تركوا هؤلاء الضعاف دون عقاب . فإن لم يثأروا للسمهري فحري بهم ان يكونوا نساء خلقن للطيب والكحل ، ويطلب منهم ان يستبدلوا الحلي بالرماح ، ويقعدوا على الذل ويبيعوا المغازل بالنبل . وهي ابيات تكشف عن تقاعس عكل ، وقعودها عن نصرة الشاعر ، أو الانتقام ممن تسببوا في القبض عليه ، وتسليمه ، وقد عانى الشاعر من هذه القطيعة معاناة مرة وتركت في نفسه اثاراً بعيدة .... (١)

ألا ليتني من غير عُكل قبيلتي

ولم أدرما شُبّان عُكل وشيبُها

قبيلة لايقرعُ البابَ وفدُها

بخير ولا يأتي السداد خطيبُها

ان تضاؤل الشعور بالعصبية ، وذوبان الارتباط بالقبيلة ،بدأت ملامحه تتضح بشكل بارز عند هؤلاء الشعراء ، وبدأت النظرة الصائبة تتحدد من خلال التبادل الشعوري الذي يشد بين القبيلة وابنائها ، فالرجل لايناصر قبيلته مناصرة عشوائية ولايرتبط بها ارتباطاً اعمى، وانما العلاقة المتينة كانت تتوطد اذا شعر بالتزام القبيلة له ، والدفاع عنه ومناصرته في

---

(١) أبو الفرج .الأغاني ٢١ / ٢٣٠ — ٢٣٣ دار الكتب .

الشدة ، وهو تحول واضح في تحديد العلاقة ، وانشطار سلوكي متميز برزت خطوطه تأخذ ابعادها عند هذا الشاعر أو عند غيره ، وقد امتد هذا الانشطار إلى التنصل من القبيلة وعدم الاعتراف بها ، وهجوها في بعض الاحيان .. وهي خصائص تعكس عمق التحول القبلي الذي أصاب المجتمع ، ويمكن تحديد الفترة التي بدأت فيها هذه المظاهر تتضح بالنسبة للشاعر ، بفترة القاء القبض عليه وسجنه ».

ويفصل أبو الفرج أسباب هذه الحادثة فيقول (١) : لقي السمهري بن بشر بن أقيش ابن مالك بن الحارث بن اقيش العكلي ويكنى أبا الديل هو وبهدل بن قرفة الطائيان ،عون ابن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ..ومعه خاله ،أحد بني حارثة بن لأم بن طي بالثعلبية ، وهو يريد الحج من الكوفة أو يريد المدينة ، وزعم آخرون أنهم لقوه بين نخل والمدينة ، فقالوا له : العراضة أي مر لنا بشيء فقال : ياغلام ، جفن لهم ، فقالوا : لا والله ، ماالطعام نريد ، فقال : عرّضهم ، فقالوا : ولا ذلك نريد ، فارتاب بهم ، فأخذ السيف فشدّ عليهم ، وهو صائم ، وكان بهدل لايسقط له سهم ، فرمى عوناً فأقصده فلما قتلوه ندموا ، فهربوا ...وبلغ عبدالملك بن مروان الخبر فكتب إلى الحجاج بن يوسف وهو عامله على العراق ، (٧٥ ـ ٩٥) وإلى هشام بن اسماعيل ، وهو عامله على المدينة(٨٣ ـ ٨٧) ، وإلى عامل اليمامة ان يطلبوا قتلة عوْن ، ويبالغوا في ذلك ؛ وأن يأخذوا السُعاة به أشدّ أخذ ، ويجعلوا لمن دَلّ عليهم جُعلة ، وانشام(٢) السمهري في بلاد غطفان .. ويستمر أبو الفرج في سرد أخبار تشرده وسجنه وانفلاته من السجن .. إلى أن يمر بابني فائد بن حبيب من بني أسد ثم من بني فقعس فيثبا عليه ويتمكنا مع اختهما من ربطه ثم ينطلقان به إلى عثمان بن حيّان المُري والي المدينة من قبل الوليد بن عبدالملك (٩٤ ـ ٩٦) وهو في امارته على المدينة فأخذا ماجعل لاخذه ، فكتب فيه إلى الخليفة ، فكتب أن ادفعه إلى ابن أخي عون : عدي ، فدُفع إليه ، فقال السمهري أتقتلني وأنت لاتدري أقاتل عمك أنا أم لا ؟ فقتله بعمه ..

وهذا يعني أن السمهري قتل في حدود هاتين السنتين أي (٩٤ ـ ٩٦) وهما يمثلان المدة التي قضاها عثمان والياً على المدينة من قبل الوليد بن عبدالملك أما قتله لعون فيمكن حصره بين سنة (٨٣ ـ ٨٧) لأن هذه الفترة هي التي كان فيها هشام بن اسماعيل المخزومي

---

(١) أبو الفرج .الأغاني ٢١ / ٢٣٣ ـ ٢٣٤

(٢) انشام : دخل

والياً لعبدالملك بن مروان ، فإذا فرضنا أن قتل عون كان في نهاية ولاية هشام وهو سنة (٨٧) وحبسه كان في بداية ولاية عثمان بن حيّان ، وهو سنة ٩٤ للهجرة ، فهذا يعني أنه ظل مشرداً سبع سنوات في أقرب الاحتمالات ، وإذا ابتعدنا قليلاً عن هذا التاريخ فتصبح المدة التي قضاها مشرداً عشر سنوات ، أما مدة السجن فهي تنحصر في حدود السنتين أو زيادتها بأشهر قليلة ، وهي أبعد الاحتمالات ، لأن القبض عليه قد تم في ولاية عثمان بن حيّان ، وتم قتله في الولاية نفسها ، ويبدو أن معظم شعره الذي قاله وهو يتحدث عن حالة التشرد والرهبة التي كانت تملك عليه كل أبعاد حركته كانت تتركز في اطار هذه الفترة ، وقد تعالت في أبياته صرخات الشعور بالتشرد ، وأنّات الاحساس بالفزع المخيف ، الذي كان يرتسم له من خلال الابتعاد عن الأرض والأهل والأحبة وقد كان لهذه الأحاسيس قوتها في اشتداد وجده ، وامتلاك الخوف لكثير من تصرفاته ، واستبداد الأحزان استبداداً رهيباً بسلوكه ، حتى أصبحت الصورة في منظاره معتمة ، وتحولت الأرض الواسعة إلى كفة حابل كما يقول بعض اللصوص ،لضيقها ؛ فهي لم تقبله وصاحبه ابن أبيض الذي يشاطره الحياة ، ويخضع لما يخضع له ، وقد جمعت بينهما صحبة التشرد ، فكانا من الذين كتب عليهما العيش في المتاهات المقفرة، طريدين اجتمعا من أحياء مختلفة ، ولكن الذي جمعهما الخوف ، ووحد بينهما التواري عن الأنظار ، والابتعاد عن أعين الناس ،بحثاً عن الامان المفقود ، وانتجاعاً للأرض التي يستطيعان فيها البقاء دون أن يحسّا بأشباح المطاردة التي بثت عليهما في كل مكان ، وأصبحا يتخوفان من كل اشارة :

ألمْ ترَ أني وابنَ أبيض قد جفَتْ
بنا الأرضُ إلا أن نَؤمَّ الفيَافيا
طَريدين من حيَّين شتَى أشدّنا
مخافتنـا حتى تحلنـا التّصـافيـا
ومـا أُمتـهُ في أمـر حَزم ونجدة
ولا لامني في مِـرّتي واحتيـاليـا

وتتصارع في نفسه نوازع الاندفاع والهرب والتخلص،فينصح بالاجتياز نحو عمان، وهي حالة أخرى من حالات الفزع الذي ملك عليه نفسه ، وأخذ يمد ظلاله الواضحة في دواخله ، ويبدو أن دائرة الرصد بدأت تضيق به ، وأن المسافات التي كان يتحرك

فيها أصبحت خاضعة لسلطان العيون الباحثة عنه ، ولهذا بدأ يفكر تفكيراً جديداً يأخذ موقعه في نفسه ، ويحمله على الابتعاد والاجتياز ، فكانت عمان ، هي الارض التي يستطيع الاطمئنان إليها ، وقد أشار الشاعر إليها موحياً بنصيحة تلقاها ، تحبب إليه السير نحوها ، ولكنني أعتقد أن الشاعر قد اصطنع هذا الايحاء ، وأن نفسه أو شعوره بالحصار هو الذي دفعه الى هذا التفكير ، ولكن طبيعة البناء الشعري ، وطبيعة الحوار المفروض في تكوين هذا البناء جعله يسلك هذا السلوك ، بعد ان اتمّ الصورة المحبّبة ، فجعل المقصود فيها (حاجباً) الذي يستطيع ان يجد في بلاده النجاة فهو فتى يهتز للندى ..

أقول لأدنى صاحبيّ نصيحةً

وَللأَسمَرِ المغْوارِ مـاترَيَانِ

فقال الذي ابدى لي النصَح منهما

أرى الرّأي أن تجتاز نحوَ عُمانِ

فإن لاتـكُن في حاجب وبلاده

نجَاةٌ فقَدْ زلّت بكَ القدَمانِ

فتىً من بني الخَطاب يهتزّ للندى

كما اهتَزّ عَضبُ الشفرتَينِ يَمان ..

وفي ابيات اخرى يذكر حالته ، وحالة اصحابه ، وما يعانونه من حالة التشرد ، ولكنّ انعطافاً ، يوحي بعمق الحالة التي يعانيها الشاعر ، تلوح من خلال ابياته ، وقد تمثل هذا الانعطاف في صورة اليأس المكررة في بعض ابياته .. ولعلّها كانت من الصور الاخيرة التي آمن فيها بوقوع القدر وآمن بالاستسلام فكانت انفاسُه تتصاعَد ، وكانت آماله تتضاءَل ...

فلا تيأسَا من رحمة الله وانظرا

بوادي جَيُونا أن تَهُبَّ شَمالُ

ولا تَيَأسا أن تُرزقا أريحيةٌ

كعين المَها اعنـاقُهُنَ طوالُ

من الحارثيِّين الذين دِماؤهم

حَرامٌ واما مالُهُم فحَلالُ

وفي صورة اخرى من صور النجاة يصور السمهري استطاعته على الافلات بعد أن اطبق عليه الليل بظلامه الثقيل ، وخاض المعركة مع خصومه بسيف قاطع ، وقد ارتسم له طيف ليلي وهي ترنو اليه . وهو يطوي هذه الفيافي ، ويحارب هؤلاء القوم . فتنحدر دموعها ، ويرتفع عويلها ، ولكنها لم تستطع ان تنال شيئاً من الثوب الذي كان يرتديه ، لأن خصومه حريصون على تمزيقه لو ظفروا به ..

نجَوتُ ونفسي عند ليلى رهينة
وقد غمَّنّي داج من الليل دامس

وغامست عن نفسي بأخلق مفصل
ولا خير في نفس امرىءٍ لاتُغامس

ولو أن ليلى ابصرتني عدوةً
ومطواي والصفَّ الذين أُمارس

إذاً لبكت ليلى عليّ واعولت
وما نالت الثوبَ الذي انا لابس

وعندما يمر بابني فائد بن حبيب من بني اسد يتمكنان مع اختهما من ربطه ، ثم ينطلقان به الى عثمان بن حيّان المري (من ٩٤ – ٩٦) ، وهو في امارته على المدينة ليأخذا ماجُعل لأخذه .. وهما في طريقهما يحاول السمهري أن يرققهما بأبياته التي يذكر فيها سليمى ، ويذكر حنينه اليها بعد هذه الرحلة الطويلة التي قضاها مشرداً ، وفراقها لذي أجبرعليه ، ويحدد صورة التمني التي ارتفعت في فكر سليمى ، والمتمثلة في البقاء في ارضها ، ولكن اين تلك الاماني من حالة الاغتراب التي يعانيها . ان بوادر الحنان المتبادلة التي دارت في ذهنه وهو يحرك الموقف العاطفي في نفسه قد دفعته دفعاً الى ملاعب الصبا ، ومسارح الاتراب ، حيث تتفجر الاشراق عارمة هادرة ، وتنحدر الذكريات باسمة حلوة ، وقد رويت ماء الغوادي وعلت ، هذه الصورة العزيزة في نفسه اندفعت وهو يقاد الى سجنه ، ويدفع الى حتفه ، وبين المرفقين تمتدّ خيوط الحياة القوية ، وترتمي على عتباتها سيول المطامح الضائعة ، فتختفي عندها كل الأحلام المتعالية ، لتغلّف بعبارات التوسل الحريصة على الحياة وتحاط بالفاظ الاعتزاز المبرّرة لأسباب الزلل ، ولكن القلوب الغليظة التي اشترتها جُعالة الوالي ، حالت دون تحقيق كل الافكار التي دارت في ذهنه ، فذهبت توسلاته هدراً ، وماتت كلمات الاعتذار فوق تصورات الجعالة ..

تمنّتْ سُليمى أن أقيل بأرضها
وأني لسَلمى وَيبهَا ماتمَنّت

ألا ليتَ شعري هل ازورن مساجراً
وقد رَويتْ مـاءَ الغوادي وعلت

بني أسد هل فيكمُ من هوادة
فتَغْفر إن كانت بي النعل زلّت

إن صرخة النداء التي تفتتح بها الابيات (بني اسد) تعبر خير تعبير عن الصورة البائسة التي كان عليها الشاعر ، لأنها نداء يوحي بعمق الاستغاثة ، ويشحن بمعطيات التوسل ، لقد وفق الشاعر حتى في استخدام اسلوب النداء ...

اما السجن فله في حياة السمهري رحلة اخرى ، لانه يمثل واقعاً حسياً ملموساً ذاق مرارته ، ولمس جوره وظلامته ، لاعتقاده بان السجن طريق الموت ، ويقبنه بان الزمن الذي تمتصه ايام السجن لم تكن إلا المعبر الطبيعي للنهاية التي كتبت عليه ، وقد تركت هذه الحياة بصماتها الواضحة على حركته الشعرية ، وطبعت كثيراً من جوانب هذه الحركة بما كانوا يقفون عنده من خلال السلوك المفروض عليهم في هذه الحياة . ولم يجد الشاعر — كعادته في حالات الضجر التي مرت عليه — احسن من طيف ليلى سلوة يتعلل بها ، .لكنه سرعان مايدرك خيبة هذا الأمل ، وبُعدَ هذا التصور ، بسبب الحرمان الذي تعرض له بسبب نذر دمه ، وتهديده باجتنابها . ان هذا الحرمان قد حال دون لقائها ، ولهذا استبدل الطيف بالحقيقة وارتضى الخيال زائرا ، ولكن هذه الزيارة تتحول إلى حسرة كبيرة لأن وقوع الطروق تم ورجله رهينة ، وقد حاول الشاعر ان يقف عند هذه الصورة التي اكثر من استخدامها في حديثه في مرحلته ، هذه ، لانها تؤكد نزوعه الحقيقي ، وشعوره بالقيد الثقيل الذي أوثق به ، وقد تداعت في ذهنه ، وهو يراقب الصورة ، ملامح بعيدة ، وتحيات عزيزة ، ونظرات تحمل كل معاني التودد والوفاء ، وهو لم يجد إلا صورة واحدة يمكن ان تحقق له اسمى طموح ..

ألا ليتنا نحيا جميعاً بغبطـة
وتبلى عظامي حين تبلى عظامُها

كذلك ماكان المحبون قبلنـــاً
إذا ماتَ موتاها تزاور هامهـا

هذه الصورة كانت تمثل النهاية المتوقعة التي وضعها في آخر تصوره ، ولم يرد لها ان تكون صورة مفردة ، لأن افرادها لايحقق رغبته ولايعيد اليها ماوضعه لها من تصور ، فالموت بالنسبة له لايجزي ، ووقوعه عليه مفرداً لايشكل الهدف الذي يرتضيه لنفسه ، ولكنه يبتهج اذا تحقق له بالصورة التي ارادها ، ويقتنع بوقوعه حقيقة اذا بليت عظامه وعظامها حتى يستطيع ان يتزاور بعد الموت اقراراً بالاساطير التي تؤمن بتزاور الهام بعد الموت .

قد تكون الصورة التي وضعها في أعلى موقع من ذهنه قد استأثرت باهتمامه لانه احاطها بكثير من الملامح المركزة ، والتقديرات المتداعية ، ولكنها كانت لاتشكل الا ركناً من اركان الصورة ، اما بقيتها فكانت متناثرة في ابياته ، وبين ظلال الاحاسيس المتوقدة ، فالسجان الذي جمع هذه الاخلاط من المساجين وقد كبلوا بالقيود له صورة اخرى في شعره والتساؤل الذي تتقد حقيقته وهو ينبعث من افواه المساجين ، يمنحنا صورة اخرى من الصور التي اخذت موضعها في حديث الشاعر ، وهو تساؤل يخرج عن حدود التقدير الضمني لاطار الحديث لانه يفسر الكلام الذي كانت حقائقه تناقش في حوار المساجين واسبابه تتضح من خلال الحديث الدائر . وربما كان ذلك دافعاً من دوافع الشاعر لعرض قضيته بالشكل الذي ارتضاه ، وهو تساؤل له اكثر من دلالة في حديث السجون . وهناك صور اخرى تمتد عبر المعاملة التي كان يعامل بها هؤلاء ، فشد الوثاق في الرجل ، والضرب على السيقان بهيئة تترك اثاره الواضحة على هذه السيقان كانت تشغل حيزاً آخر من المواضع الشعرية التي وقف عندها السمهري ، إلى جانب صور القلق النفسي الذي كان يستحوذ على المساجين ، وهم يعيشون في هذا العالم الذي اغلقت ابوابه واحكمت حراسته وقد امتلأت قلوبهم بكل مايوحي بالخوف ويشعر بالفزع والتوجس ، وقد شدت العيون بالابواب حتى اذا قعقع الحارس باباً ارتعدت فرائصهم ، واشتد خوفهم ، وطارت قلوبهم لارتباط حركة فتح الباب بتنفيذ حكم ، أو بداية تعذيب وهي حالة يدركها من كتب عليه السجن ، أو سيق اليه تحت ظروف معينة .

ان النفس الانسانية التي حرصت على الجرأة ، واقدمت على اجتياز مايعجز الآخرون عنه حرصت ايضاً على تصوير الحالة التي وضعت فيها وحرصت على متابعة مايصيب هذه النفس ، وهي في اشد حالاتها ذعراً :

ان حرص الشاعر على تقديم الصور المتكاملة دفعه إلى تحديد هوية المساجين الذين كانوا معه ، ودفعه إلى ان يتبرأ من قبيلته لانها لم تكن عند حسن ظنه في هذه الشدة التي وقع فيها

وان افضل مايستطيع التعبير عنه في هذه الحالة هو براءته منها وبراءته من شبانها وشيبها لتخلفهم عن زيادته وتأخرهم عن تقديم مايحتاج اليه وهي حالة مؤلمة تحسسها الشاعر وشعر بمرارتها القاسية ، حتى وصل به التصور إلى تفسير ظاهرة تخلف القبيلة عن ذلك بسرورها لما اصابه ، في وقت كان من اشد المدافعين عنها .

اما ليلى فقد كررها اثنتي عشرة مرة في شعره ، ويقترن ذكرها في مواضع الضيق ومجالات الاختناق ، واحاديث الاغتراب والنوى والبين ، ولعله كان يجد في ذكرها ايضا صورة من صور التفريج وطرد الهموم والارتياح إلى هذه اللمحات الخاطفة التي كان يصنعها أو يتصورها ليبتعد عن واقعه المؤلم ويخلد إلى الصورة التي كان يتمناها وقد ارتبط ذكرها بذكريات عزيزة على نفسه ، ارتبط بذكر بيته الذي هجره ، وكان يعز على نفسه فراقه ، واقصى غايته ان يعود اليه وقد تصاعدت في نفسه نوازع العودة إلى الاهل والاحبة ..

ألا ايها البيتُ الذي انا هاجره
فلا البيت منسيّ ولا انا زائره
ألا طرقت ليلى وساقي رهينة
باشهب مشدودٍ علي مسامرُه
فإن انجُ ياليلى فربَّ فتىً نجا
وان تكُنْ الأخرى فشيء احاذره

إشارة لابد من ذكرها في مجال الحديث عن ذكر عائلته التي لم تزودنا بها المصادر . هذه الإشارة يوردها الشاعر في أبيات يذكر فيها مالكاً أخاه ، ويحرضه على ابني فائد اللذين قبضا عليه ... وهو ذكر وحيد لاخ الشاعر .

ومن الطبيعي أن يشتدّ اليأس في نفس السمهري ، وهو يمكث هذه المدة في سجنه حتى يصل به اليأس إلى الاستسلام لاحكام القدر الذي كتب عليه . وفي هذه الحالة اليائسة تطرقه ليلى ، ويعقد المقارنة التي كان يقصد إليها من حديثه ، فالطروق عنده يُصاحب ذكر القيد الذي شُدّت به ساقه ، ويميل إلى ايضاح الصورة ببيان ثقل القيد الذي وضع عليها .

إن هذه الصورة لم تكن الصورة التي أرادها الشاعر ، وإنما المقصود هو ايضاح البعد الذي سيقع بعد موته ، وهو بعد لا لقاء بعده ، وهذا أشدّ مايخشاه . فالبين الموقت أصبح مقبولاً لديه . ولكنّ الرهبة كل الرهبة في البين الدائم وكان يخشى ذكر النهاية وقد عبرّ

عنها في موضعين تعبيراً يوحي بالخوف من ذكرها ... وهو يقرن هذا الذكر بالنجاة .. ففي الأولى يقول :

فإن انج منها انجُ من ذي عظيمةٍ
وان تكُنْ الأخرى فتلك سبيلُ

ويقول في الثانية :

ألا أيُّها البيت الذي أنا هاجرُه
فلا البيتُ منسيٌ ولا أنا زائرُهُ
فإن انج ياليلى فرُبَّ فتى نجا
وان تكن الأخرى فشيء أحاذرُه

لقد كانت ترتفع في بعض قصائده نفحات التزام شعري ، وهي نفحات قليلة لاتشكل ظاهرة واضحة (١) ، ولكنها تعكس تأثيراً غير عميق ،وهو التزام خرج عليه الشعراء الصعاليك لمخالفته طبيعتهم الشعرية ، وظروف نظمهم ، وطبيعة الموضوعات الشعرية التي عالجوها ..

أما خصائص شعره فهي تمثل الخصائص العامة التي عرف بها شعر اللصوص من وصف السجون ــ كما مرّ ــ والحديث عن الغربة والحنين وذكر الأحبة والتشوق إلى الاستقرار إلى جانب الدقة في كل هذه الأحاديث ، وهي دقة تظهر مدى ادراكهم لهذه الخصائص ، ولا بد من الإشارة إلى خصيصة لازمت هذا الشعر وهي ظاهرة ضياع شعرهم ، وضياع الكتب التي احتجنت هذا الشعر ، وهي ظاهرة تعكس مدى ماكان هؤلاء الشعراء يعانونه من قسوة الأوضاع الاجتماعية والنظرة التي كان رواة الشعر ينظرون من خلالها لأشعارهم.. وقد ظل الزمن ينحت في هذه الأشعار ، وظلت اخبارهم التي تروي هذه الأشعار تتهاوى في زوايا النسيان وتغور في أودية الضياع والتغافل .ولعلّ الابيات المفردة التي نظفر بها في المصادر ، والمقطعات التي تنحصر أبياتها في الاعداد القليلة،تدل على أن هذه الأبيات والمقطعات هي بقايا لقصائد لم تصل إلينا . وان اختيار صاحب منتهى الطلب قطعة للسمهري تعني ان مجموع اشعاره كان في يده أو ان اشعار اللصوص للسكري كان بين يديه .

إن الابيات التي تقرب من السبعين ، التي عثرنا عليها للسمهري هي من البحر الطويل على الرغم من أنها تشكل اربع عشرة قطعة ، وهي استدلال آخر من الاستدلالات التي

---

(١) القطعة رقم (١٣) ، (١٤)

توحي بضياع شعر هذا الشاعر لأنه من غير المعقول ان يجيء شعره على وزن واحد ، إلى جانب التوجيه العروضي الذي التزم به الشاعر في استخدام هذا البحر ، ومدى القدرة التي وجدها فيه لاشباع الصورة واستيعاب الفكرة وانبساط الخيال الشعري أمام حياته الفسيحة وانطلاقه غير المحدد عبر المفاوز التي شهدت تشرده ، وتلمست حالة الضيق التي عاناها وهو يجوب الأرض المقفرة . ان هذا البحر كان قادراً على احتواء مشاعر الشاعر وقادراً على احتضان الصرخات الانسانية الموجعة التي كانت تتعالى في نفسه،وكأنه وجد في هذا البحر الطويل مساحة صالحة لتفريغ شحنات الشعر المثقلة التي كان أوارها يُلهب مشاعره...

أما مصادر شعره فيعد كتاب :الأغاني من اكثر المصادر ايراداً لشعره فقد ذكر فيه تسعة وثلاثين بيتاً من مجموع شعره . والغريب ان أبا الفرج لم يقصد إلى ترجمة السمهري مباشرة ولكنه أورد ترجمته من خلال حديثه عن عبدالرحمن بن دارة الذي ترجم له. وكان عبدالرحمن قد قال قصيدة يرثي بها السمهري وقد وجد أبو الفرج في هذا المدخل مجالاً للحديث عن هذا الشخص الذي رثاه عبدالرحمن فكانت ترجمته ، وكان شعره الذي قدم لنا أكبر مصدر ، ولولاه لكان الاهتداء إلى هذه المعالم من حياته ضرباً من العبث... ويعد منتهى الطلب المصدر الثاني فقد ذكر تسعة عشر بيتاً وهي قصيدة واحدة نقلاً عن كتاب اللصوص . ثم يأتي بلدان ياقوت الذي أورد عشرة أبيات في ذكر المواضع التي اشتاق لذكرها السمهري وهو في غربته . وبعده كتاب الوحشيات الذي أورد له قصيدة واحدة يذكر فيها السجن ، وتتوزع بقية أبياته بين أشباه الخالديين وذيل أمالي القالي وحماسة ابن الشجري ومجموعة المعاني وتشبيهات ابن أبي عون والحماسة البصرية . وتخلو معظم المصادر الأخرى من ذكر اخباره واشعاره . ولابد لي وأنا اختم هذه الدراسة من الإشارة إلى كتاب الدكتور حسين عطوان عن الشعراء الصعاليك في العصر الأموي الذي أورد فيه أخباراً متباعدة – من خلال دراسته – عن السمهري العكلي ، مؤيداً ذلك بأشعاره ، وهي دراسات جيدة تستحق التقدير لأنها كشفت عن جوانب جديدة وخصائص متميزة عرفت بها حياة هؤلاء وتميزت بها أشعارهم .

(١)

قال السمهري في الحبس يذم قومه : (من الطويل)

١ — لقد جَمّعَ الحدادُ بين عصابةٍ
تساءلُ في الأسجان ماذا ذُنوبها

٢ — مُقَرَّنةِ الأقدام في السجن تشتكي
طَنَابيبَ قد أمسَت مُبيناً عُلوبها

٣ — إذا حَرَسيٌّ قعقع البابَ أُرْعِدَتْ
فَرائصُ أقوامٍ وطارتْ قلُوبُها

٤ — ترى الباب لاتستطيع شيئاً وراءه
كأنّا قنيٌّ اسلمتها كعوبُها

٥ — بمنزلة أمّا اللئيمُ فآمِنٌ
بها وكرامُ القوم بادٍ شُحُوبُها

٦ — ألا ليتني من غير عُكْلٍ قبيلتي
ولم أدْرِ ماشبّانُ عُكْلٍ وشيبها

---

(١) في الأغاني ٢١ / ٢٤٠ تسائل في الأقياد
وفي أشباه الخالديين ٢ / ١٣٢ تساءَل تحت الليل ..
(٢) في اشباه الخالديين ٢ / ١٣٢ متيناً علوبها
(٣) في اشباه الخالديين ٢ / ١٣٣ قعقع الباب أرعشت ....
(٥) في الأغاني ٢١ / ٢٤٠ لالئيم فشامت بها
وفي اشباه الخالديين ٢ / ١٣٣ فشامت بها وكرام الناس ..

٧ — قبيلةٌ لايقرعُ البابَ وفدُها
بخير ولا يأتي السَّدادَ خطيبهـا

٨ — فإن تكُ عُكل سَرَّها ماأصابني
فقد كنتُ مَصبُوباً على من يَريبُها

(٢)

وقال السمهري في الحبس يحرض أخاه مالكاً على ابني فائد : (من الطويل)

١ — فمن مُبلغٌ عنّي خليلي مالكـاً
رسالةَ مشدود الوثاق غريـب

٢ — ومَنْ مُبْلغٌ حَزْماً وتيماً ومالكاً
وارباب حامي الخفر رهط شبيب

٣ — ليُبكوا التي قالت بصحراء منعج
لي الشرِكُ ياابني فائد بن حبيب

٤ — اتضربُ في لحمي بسهم ولم يكنْ
لها في سِهام المسلمين نصيبُ

(٣)

وقال السمهري يوفق بني أسد : (من الطويل)

١ — تمنّت سليمى أن أَقيلَ بأرضها
واني لسلمى وَبْيَها ما تمنّـتِ

---

(٧) في الأغاني ٢١ / ٢٤٠ قبيلة من لايقرع الباب وفدها لخير ولايهدي الصواب...
وهو خطأ . وفي اشباه الخالديين ٢ / ١٣٣ لخير

(٨) في الأغاني ٢١ / ٢٤١ وإن تك عكلٌ .. على ما يريبها
وفي اشباه الخالديين ٢ / ١٣٣ فان يك عكلٌ على ما يريبها
وفي أساس البلاغة / ٥١٦ لئن كان عكلٌ لقد كنت

٢ ـ ألا ليتَ شعري هل أزورنّ ساجراً
وقد رَويت ماء الغوادي وعلتِ(١)

٣ ـ بني أسدٍ هل فيكمُ من هوادةٍ
فتَغْفرَ إن كانت بي النعل زلتِ(٢)

(٤)

لما حبسه ابن حيان في السجن تذكر زجر اللهبي وصدقه ، فقال :

(من الطويل)

١ ـ ألاَ أيها البيتُ الذي أنا هاجرُه
فلا البيتُ منسيٌّ ولا أنا زائرُهْ

٢ ـ ألا طرقت ليلى وساقي رهينةُ
باشهبَ مشدودٍ عليَّ مَسامرُه

٣ ـ فإن أنجُ ياليلى فرُبَّ فتىً نجا
وإنْ تكنْ الأخرى فشيء أحاذره

٤ ـ وما اصدقَ الطيرَ التي برحت لنا
وما أعيفَ اللّهبيّ لا عزَّ ناصرُه

٥ ـ رأيت غُراباً ساقطاً فوق بانةٍ
يُنشنشُ أعلى ريشه و يُطايرَه

٦ ـ فقال غرابٌ باغترابٍ من النوى
وبانٌ ببينٍ من حبيبٍ تُحاذره

(١) الساجر : السيل الذي يملأ كل شيء ، ويقال وردنا ماءً ساجراً اذا ملأه السيل
(٢) قال أبو الفرج ٢٤٠/٢١ بعد البيت الثالث ؟ وبنو تميم تزعم أن البيت لمرة بن محكان السعدي .

(١) في بلدان ياقوت ٨/٣ أن أقيم بأرضها .واني وسلمى ولعلها أصوب

٧ – فكان اغتراب بالغراب ونيّـة
وبالبانِ بينٌ بَيّنٌ لـك طائره

(٥)

وقال السمهري العكلي : (من الطويل)

ولماستوت رجلايَ في الأرض قلّصت
نعامةُ ذي كَبْلين للشر حـاذر(١)

(٦)

وقال السمهري العكلي ، وهو من اللصوص : (من الطويل)

١ – نجوتُ ونفسي عند ليلى رهينةٌ
وقد عَمّني داجٍ مـن الليل دامسُ

٢ – وغامستُ عن نفسي بأخلقَ مقصلٍ
ولا خير في نفسٍ امري لا تغامِسُ

٣ – ولو أنّ ليلى ابصرتني غُدْوةً
وصَحْبي والصفَّ الذين أمارسُ

٤ – إذاً لبكَتْ ليلى عَليَّ وأعْوَلَتْ
وما نالت الثوبَ الذي أنا لابِـسُ

(٧)

قال الشاعر السمهري العُكلي : (من الطويل)

١ – فلو كنتُ من رهط الأصمِّ بن مالك
أو الخلعاء أو زهير بـني عبس(٢)

---

(١) كان مسجوناً فأوثق في رجليه ملحفة وألقى نفسه من فوق السجن فحملته الريح حتى سقط ، فانكسرت قيوده وهرَب .
(٢) الخلَعاء : بطن من بني عامر ، لقب لهم .

(٨)

وقال ايضاً وهو طريد : (من الطويل)

١ ـ فلا تيأسا من رحمة الله وانظرا
بوادي جيُونا أن تهُبّ شمالُ

٢ ـ وَلا تَيْأسا أنْ تُرزقا أريحيّةً
كعين المها اعناقُهُنّ طوالُ

٣ ـ من الحارثيين الذين دماؤهم
حَرامٌ وأما مالَهْم فحلالُ

(٩)

وقال ايضاً : (من الطويل)

ألا طرقت ليلى وساقي رهينةُ
باسمر مشدودٍ عليّ ثقيلُ

فما البين ياسلمى بأن تشحطَ النوى
ولكنّ بَيناً مايُريد عقيلُ

فإن انجُ منها انجُ من ذي عظيمة
وان تكُنْ الاخرى فتلك سبيلِ

(١٠)

قال السمهري يعتذر عن ضلاله : (من الطويل)

وما كنتُ محياراً ولا فزِع السّرى
ولكن حذا حجْرٍ بغير دليل

(١١)

قال السمهري في الحبس : (من الطويل)

١ ـ ألا َحي ليلى قدْ ألمّ لمامُهَا
وكيفَ مع القوم الأعادي كَلامُهَا

١ ـ في الأغاني ٢١ / ٢٤١ وكان مع القوم ... وفي اساس البلاغة / ٢٢٩

٢ — تَعَلَّلْ بليلى إنمّا انتَ هَامَةُ
مِّنَ الهام يَدْنو كُلَّ يوم، حَمَامُها

٣ — وَبادِرْ بليلى أَوْبَةَ الركب إنهُمْ
مَتى يَرجِعُوا يَحْرُمْ عليك لِمَامُها

٤ — وكيفَ أُحيِّيهَا وقد نَذَرُوا دمي
وأقسَمَ أقوامٌ مَخُوفٌ قَسامها

٥ — لأجْتَنَبِنْهَا أو لَيَبْتَدِرُنَّني
ببيضٍ عليها الأثرُ فُتْمٌ ملامُها

٦ — لقد طرقَتْ ليلى ورجلي رَهينةٌ
فما راعني في السجن إلا سَلامُها

٧ — فلما ارتَفَقْتُ للخيال الذي سَرى
إذا الارضُ قفرٌ قد علاها قَتامُها

٨ — فَقُلْتُ نساءُ الجنّ هَوَّ لْنَها لنا
لِيَحزنَّ عيناً مايَجفُّ سَجامُها

٩ — وبيضاء مكسالٍ لعوب خريدةٍ
لذيذٌ لدى الليل التمام شِمامُها

---

٢ — في الأغاني ٢١ / ٢٤١ من الغدِ يدنو.. عليك كلامها يحزن عليك كلامها
٣ — في الأغاني ٢١ / ٢٤١ وبادر بليلى أوجه الركب أنهم
٤ — في الأغاني ٢١ / ٢٤١ وكيف ترجيّها وقد حيل دونها ..
٥ — في الأغاني ٢١ / ٢٤١ معم كلامها
٦ — في الأغاني ٢١ / ٢٤١ الالمامها
٧ — في الأغاني ٢١ / ٢٤١ فلما انتهت للخيال الذي سرى ..
٩ — في حماسة ابن الشجري ٦٧٤..
التمام التزامها ..

١٠ – كأن وميضَ البَرق بيني وبينها
إذا حانَ من بين الحَديث ابتسامها

١١ – فإلاّ تَكُنْ ليّلى طَوتَك فإنّهُ
شبيه بليلى دلها وقوامها

١٢ – فقُمْتُ باثوابي فالقيتُ قاتِراً
على مثل فحل الشّوْل نَاوٍ سَنامُها

١٣ – طرُوحٌ مَروحٌ فوقُ رحٍ كأنما
يُناطُ بجذع من أوَالٍ زمامُها (١)

١٤ – طواها اعتِقالُ الرّجْل في مُدلَهَمّةٍ
إذا شُرُكُ المُوماة اودى نِظامها

١٥ – على شُعْبَتي مَيْس وادْماء حُرّةٍ
يَطيرُ باحَوال الغَلاة لغامُها

١٦ – ونبئتُ ليلى بالغَريّيْنَ سَلّمَتْ
علّي ودوني طَخْمةٌ فرجَامُها

١٧ – فإن التي أهْدتْ على نأي دارها
سلاماً لمَرْدودٌ علّي سَلامُها

---

(١) – أوال : جزيرة يحيط بها البحر بناحية البحرين فيها نخل كثير وبساتين

١٠ – في التشبيهات / ١٠٦ وحماسة ابن الشجري / ٦٧٤ إذا حان من بعض البيوت ابتسامها

وفي الحماسة البصرية ٢ / ١٦٠ .. إذا حان من بعض الستور
وفي الحماسة البصرية ٢ / ١٦٨ رواية مطابقة . وفي الخزانة ٣ / ٤٨٣
إذا كان من بعض البيوت ابتسامها .

١١ – في الأغاني ٢١ / ٢٤٢ .. حسنها وقوامُها
وفي الحماسة البصرية ٢ / ١٦٨ فإن لم تكن ..

١٦ – في بلدان ياقوت ٣ / ٧٩١ علي ودوني طخفة ورجامها

م/١٠/ش

١٨ ــ عَديدَ الحصى والأثل من بِطن بيَشةٍ
وطرفائها مادام فيها حَمامُها

١٩ ــ ألا ليتنا نحيا جميعاً بغبطةٍ
وتَبلى عَظامي حين تبلى عِظامُها

٢٠ ــ كذلك ماكان المُحبّون قبلنا
إذا ماتَ موتاها تزاورَ هَامُها

(١٢)

قال القالي في ذيل اماليه / ٧٦ :
وأنشد لرجل بن عُكل يقال له السَّمْهَري بن اسد : (من الطويل)

١ ــ أقول لادنى صاحبيَّ نصيحةً
وبلأ سمر المِغْوار ماتَريان (١)

٢ ــ فقال الذي أبدى لي النّصح منهما
أرى الرأي أن تجتاز نحو عُمان

٣ ــ فإن لاتكن في حاجب وبلاده
نجاةٌ فقد زَلّتْ بك القَدمَان (٢)

٤ ــ فتىً من بني الخطاب يَهتَزُّ للندى
كما اهتزَّ عَضْبُ الشَفرتين يمان

٥ ــ هو السيفُ إنْ لايَنْتَهُ لانَ مَتْنُهُ
وغَرباه إن خاشَنْتَه خَشِنان

---

(١) ــ الاسمر : رجل من طي

(٢) ــ حاجب : هو حاجب بن خُشينة العبشمي .

---

٢٠ ــ في الحماسة البصرية ٢ / ١٦٨ تكون كما كان المحبون قبلنا .. تعارف هامها

(١٣) (*)

وقال أيضاً (من الطويل)

١ - أَلَمْ تَرَ أني وابنَ أبيض قد جَفَتْ
بنا الأرضُ إلا أَنْ نَؤمَّ الفيافيا

٢ - طريدين مِنْ جبين شتى أَشَدنا
مَخافَتُنا حتى نَخَلْنا التصافيا

٣ - وما لمته في أَمْر حَزْمٍ ونجدَة
ولا لامَني في مِرَّتي واحتيالِيا

٤ - وقُلْتُ له إذ حَلَّ يسقي ويَستقي
وقَدْ كانَ ضوءُ الصبح لليل حاديا

٥ - لَعمري لقد لاقَت ركابُك مشرباً
لَئن هي لم تُصْبِحْ علَيهنَّ عاليا

(١٤)

قال السمهري اللص عن السكري : (من الطويل)

١ - بَكَيْتَ ومايُبكيكَ من رسم منزلٍ
على حَفَرِ السِّيدان أَصْبَحَ خاليـا

(*) يبدو أن القطع (١٢، ١٣، ١٤) هي قطعة واحدة ويكون ترتيب الأبيات فيها حسب تسلسل القطع (١٣، ١٤، ١٢) وهذا سياق يقتضيه بناء القصيدة لأن البيتين في القطعة(١٣)بدلان على افتتاح القصيدة أو هما من أبيات الافتتاح والبيتين في القطعة(١٤) يوحيان باستمرار أبيات الافتتاح، أما الأبيات الخمسة في القطعة (١٢) فهما مادة القصيدة ومن الطبيعي أن يكون ترتيبها بعد المقطعين.. وهذا استنتاج يوحي به نمط القصيدة واتحاد لموضوعها وترابط فكرها ، ولكني - مع ايماني بوحدة المقاطع - آثرت كتابتها بهذا الشكل لانني لم أعثر على نص يجتمع بينها. وتلك حقيقة من حقائق الالتزام بالمنهج العلمي في التحقيق

٢ — خلا الرياح الراسيـات تَغَيّرَتْ
مَعارِفُهُ إلا ثَلاثاً رَواسِيـا

(١٥)

(من الطويل)

١ — أعني على بَرْقٍ أريك وَميضُـهُ
يشُوقُ إذا استوضحت بَرقاً عنانيا

٢ — أرقتُ له والبرقُ دونَ طمِّيـةٍ
وذي نُجُبٍ ما بَعْدَهُ من مَكانيـا

مانسب له ولغيره من الشعراء

(١)

وقال الأحيمر السعدي وتروى للسمهري : (من الطويل)

١ — وإني لأستحيي من الله أنني
أجرُّ حبلاً ليس فيه بعيرُ

٢ — وأنْ أسألَ النكسَ الدنيَّ بعيرهُ
وبعران ربي في البلاد كثير

تخريج القصائد والمقطعات

(١)

الأبيات (١ ــ ٨) عدا الرابع في الوحشيات/٢٢٢ ، وأشباه الخالديين ٢ /١٣٢ ــ ١٣٣ ، والأبيات (١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) في الأغاني ٢١ / ٢٤٠ ــ ٢٤١ والبيتان الثالث والرابع في مجموعة المعاني / ١٣٨ والثامن في أساس البلاغة/ ٥١٦

(٢)

الأبيات (١ ــ ٤) في الأغاني ٢٣٩/٢١

(٣)

الأبيات (١ ــ ٣) في الأغاني ٢٤٠/٢١ ، والبيتان الأول والثاني في بلدان ياقوت ٨/٣

(٤)

الأبيات (١ ــ ٧) في الأغاني ٢٣٩/٢١

(٥)

البيت في أساس البلاغة/٩٧٣

(٦)

الأبيات (١ ــ ٤) في الأغاني ٢٣٧/٢١ وعدا الثاني في حماسة ابن الشجري/١٤٢

(٧)

البيت في جمهرة ابن دريد ٢٣٥/٢

(٨)

الأبيات (١ – ٣) في الأغاني ٢٤٢/٢١

(٩)

الابيات (١–٣) في الاغاني ٢٤٢/٢١

(١٠)

البيت في الأغاني ٢٣٧/٢١

(١١)

الابيات (١ – ٢٠) عدا التاسع في منتهى الطلب الورقة / ١٢٥ ، والابيات (١ – ٧) والابيات (١١ ، ١٩) في الاغاني ٢١ /٢٤١ – ٢٤٢ ، والثالث في اساس البلاغة / ٢٢٩ والبيتان السادس والسابع في مجموعة المعاني / ١٣٩ ،والسادس في اساس البلاغة /٣٨٧ والتاسع والعاشر في التشبيهات /١٠٦ وسمط اللآلي ١ / ١٧٨ وحماسةابن الشجري /٦٧٣ ونسبا خطأً للنميري ، والحماسة البصرية ٢ / ١٦٠ ونسبا لابي العميثل وهو خطأ .
ونهاية الارب ٢ /٦٩ ، والعاشر في قواعد الشعر لثعلب /٤٥ (وينظر تخريجه فيه) وفي اشباه الخالديين ١/ ١٦٢ ومحاضرات الادباء ٢/ ١٣٦ والخزانة ٣ /٤٨٣ والابيات (١٠ ١١ ، ١٩ ، ٢٠) في الحماسة البصرية ٢/ ١٦٧ – ١٦٨ والبيت (١٤) في اساس البلاغة /٤٨٩وفي بلدان ياقوت ١/٣٩٥ مع اختلاف .والابيات (١٦ ، ١٧ ،١٨) في بلدان ياقوت ١ / ٧٩١ ، والبيتان (١٦ ،١٨) في بلدان ياقوت ٣ /٧٩١ .

(١٢)

الابيات (١ – ٥) في ذيل امالي القالي / ٧٦

(١٣)

الابيات (١ – ٥) في الاغاني ٢١ / ٢٤٢ – ٢٤٣

(١٤)

البيتان في بلدان ياقوت ٢ /٣٩٥

(١٥)

البيتان في بلدان ياقوت ٣/٥٤٩

تخريج مانسب له ولغيره من الشعراء

(١)

البيتان نسبا في الحماسة البصرية ٢ / ٣٧٨ إلى الاحيمر السعدي وقال صاحب الحماسة، وتروى للسمهري . والبيتان ينسبان للاحيمر كما في اكثر مصادر التخريج ولغيره (ينظر تخريجهما في الحماسة البصرية) .

المصادر والمراجع

الاصفهاني : ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاموي (ت ــ ٣٥٦هـ)

١ ــ الاغاني . الجزء الحادي والعشرون
تحقيق عبد الكريم ابراهيم العزباوي ومحمود محمد غنيم
الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٧٣ .

البصري : صدر الدين بن ابي الفرج بن الحسين (ت ــ ٦٥٩)

٢ ــ الحماسة البصرية.باعتناء وتصحيح وتعليق الدكتور مختار الدين احمد .
مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ــ حيدر آباد ــ الهند ١٣٨٣ ــ ١٩٦٤

ابو تمام : حبيب ابن اوس الطائي (ــ ٢٣١هـ)

٣ ــ الوحشيات ــ علق عليه وحققه عبد العزيز الميمني
وزاده في حواشيه محمود محمد شاكر
دار المعارف ــ ١٩٦٣

الخالديان : ابو بكر محمد المتوفي ٣٨٠ وابو عثمان سعيد المتوفى ١٣٩١ ابنا هاشم

٤ ــ الاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين
والجاهلية والمخضرمين
حققه وعلق عليه الدكتور السيد محمد يوسف
مطبعة لجنة التأليف والترجمة ــ ١٩٥٨

ابن دريد : ابو بكر محمد بن الحسن (ت ــ ٣٢١)

٥ ــ جمهرة اللغة .

ابن الشجري : هبة الله بن علي بن حمزة العلوي (تــ ٥٤٢)

٦ ــ الحماسة الشجرية .

تحقيق عبد المعين الملوحي واسماء الحمصي
منشورات وزارة الثقافة ــ دمشق ١٩٧٠

ابن ابي عون : ابراهيم بن المنجم الانباري (ت ــ ٣٢٢)

٧ ــ التشبيهات ــ تحقيق محمد عبد المعيد خان

كمبردج ــ ١٩٥٠

القالي : ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ــ ٣٥٦)

٨ ــ كتاب ذيل الامالي والنوادر

دار الكتب ــ القاهرة ــ ١٣٤٤

ابن مبارك : محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون (من رجال القرن السادس الهجري)

٩ ــ منتهى الطلب من اشعار العرب . نسخة مصورة .

عن نسخة مخطوطة بمكتبة لاللي باستانبول رقمها ١٩٤١

ياقوت : ابن عبد الله الرومي الحموي (ت ــ ٦٢٦)

١٠ ــ معجم البلدان ــ تحقيق فيستنفيلد ــ لايبزك ١٨٦٦ ــ ١٨٧٠

جحدر بن معاوية المحرزي

ان طبيعة الحياة الضائعة ، وتكالب الهموم المستبدة التي احاطت بالشاعر جعلته رهين هم ملازم ، وفريسة نوازع تشاؤمية حادة ،لاتنفك تعاوده كلما حاول التخلص منها ، لانه اصبح مقراً لها ، وقد استقرت هذه الصور في نفسه استقراراً عميقاً حتى صارت جزء من وجوده وصفحة من صفحات حياته الحافلة بكل ضرب من ضروب الخوف والفزع والغربة .

لقد رققت هذه النوازع جوانب الشاعر ، حتى استحالت احاسيسه عواطف مثقلة بالبكاء ، حافلة بالشوق ، يؤرقها الصوت الحنين ، وتستدر عاطفتها الذكرى المؤلمة فتتهاوى نفسه لها ، وتتساقط آماله فوق تصورات طيفها ، وقد استطاع أن يملأ هذه الحقبة من حياته بما جعلها قادرة على استيحاء الاحزان المحيطة به ، وظلت انفاس الشاعر وتطلعاته القبلية تصب في اطار التزامه القبلي ، وتشد من ارتباطه الوثيق بهذا الألتزام : لانه مؤمن بالتجاوب الحقيقي الذي تنطلق منه هذه الارتباطات ولكن الذي يبدو هو ان قومه غير قادرين على رد ماكان يتعرض له من قضاء أو دفعه عنه ، أو انقاذه مما يعانيه ، وقد جعلهم هذا الموقف في وضع غير قادرين على اسعافه أو أعانته ، ولم نجد من الشاعر لوماً لهؤلاء القوم كما وجدناه عند غيره من الشعراء اللصوص ولكنه كان يكتفي بانه (أمسى رهيناً) (يحاذر وقع مصقول يماني) (ويحاذر صولة الحجاج) وفي غمار هذه الانفعالات الانسانية التي كانت تتصاعد في نفسه ، وتكاثف الصور المعتمة التي كانت تغطي مطامحه المبددة كانت تلوح من خلالها بعض خصائصه التي حاول أن يطرز بها هذا الافق الداكن ليترك عليه بعض بصمات الشجاعة التي مارسها ، ويرضي هذه النفس التي أوشك الموت ان يستبد بها .

اما القدر فكان يأخذ موقعه عنده في كثير من الجوانب ، لانه اصبح من المسلم به وهي صفة عرف بها شعر اللصوص فالسجن اطار محدود لايمكن الافلات منه ، والموت اصبح رهناً بالاشارة التي تنطلق من افواه اصحاب الشأن ، وهي اشارة غير محدودة ايضا ، وفي ظل هذا الامتداد غير المحدود والحيرة القاتلة التي كانت تمتلك حياتهم كانت تتنازع نفوسهم فترات يائسة ، وحالات مميتة اشد عليهم من الموت واقسى من لحظات التهيؤ له .

فإن اهلك فرُبَّ فتى سيبكي

علي مهذب رخص البنان

ويقول في أخرى

يانفس لاتجزعي إني إلى أمَدٍ

وكلُّ نفس إلى يوم ومِيقدار

وما يقرّبُ يومي من مدى أملي

فاقني حياءكِ ترحالي وتسياري

إني إلى أجَل إن كنت عالمةً

اليه مامنتهى عنمي وآثاري

لله أنت فإن يعصمك فاعتصمي

وإن كذبت فحسبي الله من جار

ولعل صرخة الشاعر وهو يدعو ربه تمثل الحالة التي كان يعانيها ، والصراع الذي كان يدور في نفسه وهو يعلم ان النهاية موشكة ، والموت لامفر منه والمقدر منزل بعلم الرب ..

اني دعوتك يااله محمدٍ

دعوى فأولها لي استغفارُ

لتجيرني من شر ما انا خائف

ربَّ البرية ليس مثلك جارُ

تقضي ولا يقضى عليك وانما

ربي بعلمك تنزل الاقدارُ

ان هذه النفثات البائسة التي كانت تتصاعدحسرات في ابيات جحدر تمثل الوضوح الحقيقي لاستكمال تيار الزهد ، وتحديد المؤشرات البارزة في هذا التيار لانها استطاعت ان تستوعب تجربة الشعراء وهم يدركون تفاهة الحياةويعلمون النتائج المترتبة بعدها ويواجهون المصير المنتظر الذي قربت نهايته . ولهذا كان ايمانهم ايماناً مطلقاً بالقدر وايماناً بكل ماينزل عليهم فكان استسلامهم استسلام الطائعين ووقوفهم بين يديه وقوف الخائفين المتضرعين يمررون الأيام بالاستغفار ويمضون الساعات بالدعاء والتضرع ،وقد اقترن تفكيرهم وهم يتابعون الاستغفار والدعاء بالفكرة التي سيطرت عليهم واستمدوامنها هذا السلوك .

وهي فكرة الايمان المطلق بالقدر والتجرد من كل ادران الحياة بعد ان اخذوا منها بطريق التعسف والجور، اخذوه واغتصبوا من الآخرين بطريق السلب ماطمعوا فيه، وهو سلوك آمنوا بعدم شرعيته وكان هذا الاحساس يدفعهم إلى ان يكونوا في تضرعهم متأثرين وفي توسلهم مستسلمين ، ومن نهاياتهم خائفين ودراسة هذا التيار عند هؤلاء الشعراء تكشف عن جوانب جديدة يمكن ان تضيف إلى حركة شعر الزهد صورة جديدة وابعاداً طريفة وظل البرق عند جحدر يحمل الارق تارة ويذكره بالهوى تارة اخرى وقد اقترن ظهوره بالشوق لانه دليله وموقد ذكراه ولهذا كان طرفه مشدوداً به لايفارقه وهي صورة توحي بما كان يمر به الشاعر من احوال ويتصوره من احداث ويشده من آمال إلى جانب الضعف الذي اخذت احكامه تستبد به حتى اخذ يتعلق بكل بارقة ويؤمن بكل ظاهرة.

اما معاودة الهموم فكانت لها صورة اخرى توافق صورة التلازم والارتباط وتبعث نوازع الاثارة والتألم ..

ان الهموم إذا عادتك واردةً

انْ لم تفرج لها وردٌ باصدار

كانت عليك سقاماً تستكين لـه

وانصبتك لحاجاتٍ واذكار

وفي قصيدة اخرى تعاوده الهموم فيكون احساسه بها اشد وتألمه امضى فيقول :

تأوبني فبتُ لها كنيعـــــاً

همومٌ لاتفارقني حـوانـــي

هي العُوّاد لاعُوّاد قومي

أطَلْنَ عيادتي في ذا المكان

اذا ماقلتُ قد اجلين عنّـــي

ثنى ريعانهن عليَّ ثـــــانِ

فإن مقرَّ منزلهن قلبـــــي

فإن انفهنه فالقلب آن

وكانت للسجن صورة واضحة عند جحدر لانه اصبح فيه ، وكان الحراس يحرسونه

قيد أحكم عليه، فضاق به بعد حياة التلصص في البر والامصار والانطلاق والفرق بين الحياتين كبير والخضوع لاحكامهما فيه كثير من الصعوبة . فالانسان الذي وطن نفسه على الانسياح دون قيد والانطلاق دون جد والتحرك وفق انظمة غير مألوفة ، لايستطيع التوفيق بينها وبين انظمة الخضوع المطلق ، والتحديد الضيق الذي فرضته عليه تقاليد السجن وصرامة السجانين ، ومراقبتهم لهُ .

ان اصول المعاناة التي كانت تدور في نفسه وطبيعة الصراع الحاد الذي كان يمتلك سلوكه كان يخلق في هذه النفس انعطافات حادة وفجوات قاسية من الانفصام والتهالك وقد ظلت صور هذه الحالات النفسية تتضح من خلال القصائد على شكل دفعات غير متوازنة ، وارتدادات شعرية غير مستقيمة ..

فصرتُ في السجن والحُراسُ تحرسني

بعدَ التلصص في برٍّ وأمصار

ولابد أن تصاحب مشاعر الضيق بالسجن ، وحالة الفزع التي يعانيها المساجين ، محاولة الخروج من هذا المأزق ، والتخلص من هذه الورطة ، ولابد أيضاً أن تكون المحاولة مصحوبة بالاستعطاف الذي يوشي جوانب المحاولة ، لتستطيع أن تأخذ مكانها عند أصحاب الشأن الذين يستعطفهم الشاعر : ولابد أن تكون الصورة المرسومة للأوضاع التي كان يعانيها صورة فيها شيء من إظهار جوانب الأذى والضيق . وكان الشاعر يحاول أن يرسم من خلال ذلك لوحة متميزة للسجن الذي سد مخرجه بباب ساج كبيرة ، أقفل بقفل أمين ، وقد طوقته الأصفاد، وشدت عيون المساجين بالأبواب الكبيرة شداً محكماً وكان لصرير الأبواب وقع في نفوسهم فاذا تحركت مدت إليها الأعناق والأبصار ، وقد شغلت أبواب السجن من حديثه وأحاديث غيره مساحات كبيرة ،وهي التفاتة توحي بالحيرة الكبيرة التي كانت تتنازع روحه القلقة وهو ينتظر ، فالباب هي الصورة المركزة لكل المطامح المنتظرة والنهايات المرتقبة منها يطل الأمل القادر على خلق المعجزة ، وتحويل اليأس المميت ، ومنها يمر رهط الموت وهو يحمل القدر المحدد والأجل الذي دنت ساعته ، وفي إطار هذه التصورات والمشاعر والمخاوف والآمال كانت تتعالى وفق موحيات هذه النفس القلقة أشباح الاغتراب ، وصور الترقب ، ولمحات الكآبة ، وهي تأخذ مواضعها غير الطبيعية في نفسه او فكره .

والباب هي المرتكز الأساسي في حديث السجن ، لأنه البداية التي يتحدد منها المصير وتتحدد منها الأفكار التي تحدد هذا المصير ، فهو الباب الحقيقي أو المجازي الذي تتدفق

منه سيول الأحبة في تصور الشاعر المضاع ، وأطياف اللواتي تتألق صورهن في ذهنه حباً واشتياقاً ولوعة ، وسيول الهموم التي يحملها الصرير القاتل ، والتحرك البطيء ، والإندفاع الذي يعقب هاتين الحركتين ، وما يطوف في رحابهما من معان وأخيلة ولمحات . والباب في حديثهم لها أشكال فهي دائماً عالية وكبيرة ومحكمة ، وخلف كل صفة من هذه الصفات كانت تختفي لواعج الهموم التي اضفتها هذه الصفة ، لتحول دون انتقالهم او تطلعهم أو فرارهم .. وصريرها له نغمات أخرى في أذانهم ، لاقترانها بصور الرعب القاتلة التي يوحيها هذا الصرير ..

في جوفِ ذي شرفات سُدَّ مخرجه
بباب ساجِ أمينِ القفل صرّار

وفي أبيات أُخرى يذكر الباب فيقول :

إذا تحركَ بابُ السجن قامَ لهُ
قومٌ يمدُّونَ أعناقاً وأبصارا

وكما ظلت أبواب السجون هي الركيزة التي تلتقي عندها أحاديث الشعراء الصعاليك وغيرهم ممن كتبت عليهم حياة السجون ، فقد ظلت أسماء السجون مرتكزاً لإثارة المشاعر الحادة في تصوير أوضاع هذه السجون ، فقد ظل (دوّار) السجن الذي احتضن الشاعر لأول مرة علامة من علامات الخوف المنزعة في شعره ، لأنه سجن تركت آلامه وعذاباته ألواناً واضحة في شعره ، حتى عرض له أكثر من مرة في شعره فقال :

وقد دعوتُ وما آلو لأسمَعَـهُ
أبا الوليد ودوني سجن دوّار

وقال في أخرى يصف جماعة في هذا السجن :

كانتْ منازلُنا التي كُنا بِها
شتّى وألّفَ بَيْنَنا دوّارُ
سجنٌ يُلاقي أهلُهُ مِن خوفِه
أزْلا ويُمْنَعُ مِنْهم الزُوّارُ

ويعود إلى ذكره مرة ثالثة فيقول :

لو يُتبعُ الحقُ فيما قد مُنيتُ به
أو يُتبعُ العدل ماعَمَرْتَ دوّارا

إذا تحرّك بابُ السجن قامَ لهُ
قومٌ يمدّونَ أعناقاً وأبصارا

ويذكره رابعة فيقول :

يا ربّ دوّار انقذ أهلَهُ عجلا
وانْقِضْ مرائرَهُ مِن بعد إبرام

ربّ ارْمِهِ بخرابٍ وارم بانيَهُ
بصَوّاةٍ مِن أبي شيلين ضرغام

إن صور دوّار كانت تقترن في نفسه بكثير من الأحزان التي يعانيها ، فظلم السجانين الذين يواجهون به السجناء دون رحمة ، ومعاملتهم القاسية التي لا تعرف الشفقة والحرمان للذين كانت تفرضهما عليه أوامر السجن بمنع الزوار وما تثيره تصرفات المسؤولين من مخاوف لقد دفعته هذه المخاوف مجتمعة إلى أن يسأم حياة السجن ، ويمل هذه الرقابة القاتلة حتى تنطلق صرخته قوية عنيفة ، مستغيثاً برب دوار ، لإنقاذ أهله وتخريبه ، وهي صرخة تخفي وراءها غليان النقمة الحادة ، واضطراب الحقد الذي ملك عليه كل المشاعر حتى انفجرت أحاسيسه بهذه الهيئة المريرة . .

وإلى جانب دوار كانت هناك مجموعة من السجون التي استضافت الشاعر فذكرها في شعره ،وكانت لها أصداء أخرى لاتقل عن دوّار ،فقد ذكر (ديماس)(١) و (المخيّس)(٢) لقد ظلت صورة السجن بكل دقائقها واضحة في أبيات الشاعر ، وحتى تلك الخشبة التي كان يعذب بها (الفلقة) ، أخذت بعداً معيناً من أبعاد شعره ، لأنها تمثل بعداً كان يؤلمه ، لانه كان يقترن بصور الدماء ، وهي تسيل من الأرجل بعد أن تدمى ضرباً ، ولعل غليان

(١) سجن للحجاج بواسط ، وسمي ديماساً لظلمته .
(٢) سجن بالكوفة بناه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وقيل هو سجن للحجاج

الموقف، وتدفق الدم ، وقسوة الضاربين ، أوحت له بصورة الجزار الذي أخذ يجرد لحم رقبة فبدا الدم ينزف منها ..

يَغْشونَ مقطرةً كأنَّ عمودَها

عُنُقٌ يُعرّقُ لحمَها الجزّارُ

ومن المؤسف أن تكون أشعار الشاعر قد ضاعت ، وبقيت إشارات قليلة ، تحمل هذه الأسماء ، وهي لاتقدم للباحث إلا علامات متباعدة او أضواء خافتة اقتصرت على ذكرها نماذج الاستشهاد او اقتطفت من شعره مايناسب هذه المواضع ، أما المشاعر التي كانت تحمل طوايا النفس ، ونوازع التأثر ، ومظاهر الاغتراب ، وأوجاع الزمن فقد تبعثرت وضاعت واندثرت ، وربما حفل كتاب اللصوص للسكري بأخبار وأشعار لهؤلاء ، ولكن الزمن مايزال ضنيناً بهذا الكتاب القيم ، ولعله يجود به في وقت من الأوقات .

وجحدر الشاعر الذي دفعتني أبياته ومقطعاته إلى كتابة هذه المقدمة واحد من شعراء اللصوص الذين حفل بهم العصر الأموي إلى جنب القافلة الطويلة من شعراء اللصوص الذين كتبت عن بعضهم ، وهو كما يذكره الزبير بن بكار جحدر بن مالك العجلي(١) ، ويسميه صاحب منتهى الطلب جحدر بن معاوية بن جعدة العكلي(٢)،وفي سند متصل عن ابن الأعرابي نقلا عن ابن عساكر ، يسميه السيوطي ويتابعه البغدادي جحدر بن مالك(٣) .

وتجمع مصادر ترجمته على أنه كان لصاً ، وكان شاعراً ، وكان شجاعاً فاتكاً(٤) وكانت حجر(٥) الميدان الذي مارس فيه جحدر شجاعته وفتكه ولصوصيته(٦) ، ومن الغريب أن يجعل ياقوت أرض اليمن هي الموضع الذي مارس فيها نشاطه ، وربما حرفت

(١) الزبير بن بكار .الموفقيات / ١٧٠ ، ١٧١

(٢) السيوطي ، شرح شواهد المغني ٤٠٧ والبغدادي : الخزانة ٣ / ٣٤١

(٣) تنظر ترجمته في المصادر المتقدمة .

(٤)) ابن المبارك ، منتهى الطاب الورقة / ١٢١ .

(٥) شرح شواهد المغني / ٤٠٧ والخزانة ٣ / ٣٤١ .

(٦) البغدادي : الخزانة ٣٤١/٣ .

(٧) عاصمة اليمامة وام قراها .

(٨) الموفقيات / ١٧١ .

أرض اليمامة فأصبحت أرض اليمن وهو من التحريف (١) ، وتذكر بعض المصادر أنه كان قد أفحش على أهل هجر وناحيتها (٢) ولكن المصادر كلها تتفق على أن ذلك بلغ الحجاج بن يوسف فكتب إلى عامل اليمامة يوبخه في تلاعب جحدر به ، ثم يأمره بالتجرد في طلبه حتى يظفر به، فبعث العامل إلى فتية من من بني يربوع بن حنظلة، فجعل لهم جُعلاً عظيماً إن هم قتلوا جحدراً أو اتو به اسيراً ووعدهم ان يوفدهم إلى الحجاج ، فانطلقوا حتى إذا كانوا قريباً منه بعثوا اليه رجلاً منهم يريه انهم يريدون الانقطاع اليه ، فوثق بهم واطمأن اليهم فلما اصابوا منه غرة شدوه كتافاً وقدموا به إلى العامل ، فبعث به معهم إلى الحجاج ، فلما قدموا به على الحجاج قال له : انت جحدر ، قال : نعم ، قال : ما حملك على ما بلغني عنك . قال : جرأة الجنان وجفوة السلطان ، وكلب الزمان . قال : وما الذي بلغ من امرك فيجترىء جنانك ويصلك سلطانك ، ويكلب عليك زمانك ، قال: لو بلاني الامير لوجدني من صالحي الاعوان، وبهم الفرسان ، ومن اوفى اهل الزمان ، قال الحجاج : انا قاذفك في قبة فيها اسد فإن قتلك كفانا مؤنتك ، وان قتلته خليناك ووصلناك ، قال : قد اعطيت — اصلحك الله. المنية — وعظمت المنّة ، وقربت المحنة ، فأمر به فاستوثق منه بالحديد ، وألقى في السجن وكتب إلى عامله بكسكر يأمره ان يصيد له اسداً ضارياً ، فلم يلبث العامل ان بعث له باسد ضاريات قد ابزت على اهل تلك الناحية ، ومنعت عامة مراعيهم ، ومسارح دوابهم فجعل منها واحداً في تابوت يجرُ على عجلة ، فلما قدموا به امر فالقى في حيز ، واجمع ثلاثاً ثم بعث إلى جحدر فأخرج ، وأعطى سيفاً ، ودني عليه . فمشى إلى الاسد وانشأ يقول :

لَيْثٌ ولَيْثٌ في مجـال ضنكٌ

كلاهما ذو أنـف ومَحـك

وهي قصة تذكرنا بقصص الشعراء اللصوص الذين وقعوا تحت طائلة القانون ، وتذكرنا بالكيفية التي يتم بموجبها القبض عليهم وما خصص من الجعل جزاء الاتيان بهم او قتلهم. وتذكرنا الاسئلة التي اثارها الحجاج والاجوبة الجريئة التي عرضها الشاعر ، لابعاد الحقيقة التي تطويها حياة هؤلاء الشعراء لانها ركزت حول الجرأة التي عرفوا بها ، والجفوة التي يعانونها ، والضائقة الاقتصادية التي يمرون بها ، وهي عوامل ثلاثة تمثل الفلسفة التي استندت

(١) ياقوت ، معجم البلدان ٢ / ٢١١

(٢) البغدادي . الخزانة ٣ / ٣٤١

اليها حياة هؤلاء اللصوص ، ولعلها تذكرنا بالمقابلة التي تمت بين مالك بن الريب وسعيد ابن عثمان وهو في طريقه لفتح بلاد خراسان ، وما تم بينهما من حديث وتناول من موضوعات من الطبيعي ان تتركز اجوبة الحجاج في الرد على هذه العوامل الثلاثة لاستيضاح الدوافع والكشف عن المسببات .. وهي قصة تجمع عليها المصادر ، وان اختلفت في رواية اخبارها وتفاوت حوادثها ..

إن هذه القصة تعدُّ المصدر الوحيد الذي يكشف عن بعض ملامح الشاعر ، لأنها حدَّدت المكان الذي كان الشاعر يتحرك فيه ، وهو حجر عاصمة اليمامة ، وان الحجاج بن يوسف (استمرت ولايته من ٧٢ – ٩٥) هو الذي كتب إلى عامل اليمامة يوبخه في تلاعب جحدر به ووالي اليمامة هو ابراهيم بن عربي الذي ذكره الشاعر في بعض قصائده فقال :

أشكو إلى الخير ابْراهيمَ مظْلَمتي
في غير جُرمٍ وإخْراجِي مِنْ الدار

كما تدمت بعض المقطعات بمقدمات ذكر فيها اسم هذا الوالي ، والمعروف ان ابراهيم ابن عربي ظل والياً حتى وفاة عبد الملك بن مروان (استمر عاملاً من ٧٣ – ٨٦) ، وهذا يعني ان الشاعر وقع تحت طائلة السجن خلال هذه الفترة ولكن الذي يبدو ان الشاعر مكث في سجن دوّار فترة طويلة يمكن معرفتها من خلال الابيات التي وقف فيها عند ذكر هذا السجن ، أما المخيس وديماس فقد مكث فيهما الشاعر مُدداً اخرى ، وتختفي بعد هذا الخبر الطويل الذي جرى في حضرة الحجاج ، وما قيل فيه من اشعار ، وذكر من اخباره فقد ذكرت القصة في المحاسن والاضداد للجاحظ ، والموفقيات ، والمحاسن والمساويء وأمالي ابن الشجري ، وشرح شواهد المغني عن المعافى بن زكريا وابن عساكر في تاريخه بسند متصل عن ابن الاعرابي ، وخزانة البغدادي وكان ذكرها متفاوتاً في الاختصار والتطويل ، ويذكر البغدادي ان السكري لم يورد في كتاب اللصوص شيئاً مما اورده الجاحظ مع انه استوعب احوال اللصوص واشعارهم في كتابه ، واورد له اشعاراً كثيرة جداً (١) وهي ملاحظة يمكن الوقوف عندها ، والتأمل فيها ، لان طبيعة الحكاية وما داخلها من اخبار تدعو إلى مثل هذا التأمل وتحمل على التشكيك في بعض ما ورد فيها .

أما شعره فهو صورة للتحرك الذي كانت تعانيه نفسه بعد ان بدأت بوادر التوبة والاستغفار وتطفو فوق اكداس الغيّ والضلال ، وصورة التناقض الواضح بين الاتجاهين ، والشاعر يبدو من خلال نماذجه الشعرية انساناً يعيش في خضم تيارين كانت سيولهم تجتاح هذه النفس

---

(١) البغدادي : الخزانة ٣ / ٣٤٢

الضائعة ،لان الشاعر يقدم صورة التواضع والايمان والصبر والالتزام بكل ما يبعد عن الغرور ، لان النفس إذا انقطعت وتوارت واخفتها اطباق التراب والصخر لاتجد عندها ما تحتفظ به إلا الصبر . والشاعر يروي جانباً من حياته التي يذكر فيها الرخاء والغبطة والنعمة ، ويقف متسائلاً عند السلوك الذي يجب أن يحدده الانسان في تحقيق غاياته ، أهو التريث

ولعل الصورة التي قدمناها من خلال شعره تمثل الصورة الاخيرة من حياته الاولى فكانت تتجلى من فلتات القصائد المتبقية التي كانت تحمل بصمات حياته الاولى القائمة على الغزو والاغارة، ثم كانت جحدر هي هدف الغزو ، يغير فيها على الناقة فيسرقها ليشتري بثمنها الثياب ويصور صاحب الناقة وهو يعدو خلفه حتى يعجزه فيرده خوفه ..

وهي صورة واضحة للسلوك الذي كان يمارسه والطريقة التي يظهر فيها هذا النشاط والاسباب التي تختفي وراء هذه العملية ..

هذا جانب واحد من جوانب الشاعر ، وستظل تلك الجوانب مخفية غير معروفة مادامت المصادر التي تحدثت عنه او اشادت إلى شعره بعيدة عن متناول الايدي . فشعره صورة واضحة لسلوكه وطبيعته توحي بشكل واضح إلى ما كان يعانيه هذا الشاعر . لانه استطاع اظهار هذا الجانب من خلال النماذج القليلة التي وصلت الينا ، وهي نماذج ترمز إلى الضياع الذي اصاب شعره ولانها في غالبها مقطعات وتمثل الفترة الاخيرة من حياته في اغلبها لانها اشارت إلىالسجن وحياته وما كان يعانيه ويمثل نظرته إلى الحياة الجديدة بعد شعوره بالخيبةوالندم حتىاستحالت ابياته إلى نماذج من شعر الزهد والاستغفار والايمان بالقدر والخضوع له .. وهي صفة غالبة .. وهذان الجانبان حديث السجن وحديث الزهد يواحيان بالمعاناة النفسية الحادة التي كانت تخالجه وتخالج اصحابه من الشعراء الذين خضعوا لمثل حياته ووقعوا تحت تأثير العوامل التي وقع تحتها امثاله من الشعراء ، أما ضياع شعره فهي ظاهرة اخرى يشترك فيها جميع الشعراء الصعاليك فلم تصل الينا من اشعارهم إلا أبيات متفرقة وقطعاً صغيرة تحمل جزءً من تصوراتهم وتعطي لمحات خفيفة من لمحات حياتهم الحافلة بكل تناقض .. أما التزامهم الفني للبناء الشعري فقد كانت بعض سماته تظهر في ابياتهم بأشكال متفاوتة فهم يجارون الشعراء في بعض مقدماتهم ويحاكونهم في جانب من جوانب انماطهم ولكنهم يتميزون بخصائص لاتلتقي معهم من حيث الالتزام والمعالجة والانتقال فأشعارهم مقتطفات تباشر الغرض لاينتقلون متى ما وجدوا انفسهم قد استنفدوا غرضهم ، ويستمدون اغراضهم من حاجاتهم اليومية ويعالجون المشاكل التي تجابههم معالجة واعية ...

وينتهي به المطاف إلى نبذ الحياة القاسية ، ورفض اطاعة ذوي النفوس الضعيفة والترفع عن ايذاء الضعفاء ، والوقوف إلى جانبهم ، والسير في موكب الحق ، وهي صورة اخرى تناقض الصورة التي قدمتها لنا الاخبار المتباعدة عن حياة الشاعر .

وتطالعنا التزامات الشاعر الفنية وهو يقف عند ديار الاحبة ، فيدعو لها بالسقيا المغدقة والعارض المنهل ، ويذكر الايام التي قضاها وهو ينعم برعاية عينها ، ويقطف ثمار جنات النساء وطيبها .

لقد قدم لنا منتهى الطلب اكبر قدر من الابيات من مجموع شعره لانه قدم قطعتين بسبعة واربعين بيتاً .

وتتوزع بقية ابياته بين الحماسة البصرية وبلدان ياقوت وخزانة الادب وشرح شواهد المغني والمحاسن والاضداد واماني القالي والموفقيات ومجموعة المعاني والمصادر الاخرى التي استشهدت ببعض الابيات وهي مصادر محدودة .

(١)

قال جحدر بن معاوية المُحرزي اللص (من الكامل)

١ ـ يا دارُ بينَ بزاخة فكثيبهـا
فلوى غُبَيرٍ سَهْلها أو لُوبها

٢ ـ سَقَتِ الصَّبا اطلالَ ربعك مُغْدقاً
يَنْهَلُ عارضُها بَلبس جُيُوبِها

٣ ـ أيامَ أرعى العين في زَهْرِ الصَبَـاَ
وثمار جنّات النساء وطيبهـا

(٢)

وقال جحدر بن معاوية بن جعدة العكلي (من الكامل)

١ ـ ياجُمْلُ انك لو شَهدت كريهتي
في يوم هول مُسدفٍ وعجاج

٢ ـ وتقدمي لليث أرسف موثقاً
كيما أكابره على الأحراج (١)

٣ ـ جهمُ كأنّ جبينه طبق الرحا
لما بدا متعجر الأثبـاج (٢)

٤ ـ شثْن براثنه كأن نيوبه
زرق المعابل أو شباة زجاج (٣)

---

١ ـ الاحراج ، مفردها الحرج ،وهو ما يُلقى للكلب من صيده ،ارسف : امشي بالقيد
٢ ـ الاثباج ، جمع ثبج ، بفتح المثلثة ، مابين الكاهل إلى الظهر .
٣ ـ شثن : خشن ،المعابل جمع معبلة بكسر الميم : نصل طويل عريض . الزجاج ،بالكسر جمع زُج وهي الحديدة التي في اسفل الرمح .

---

١ ـ في المحاسن والاضداد ٧٨ والخزانة ٣ /٣٤٢ لورأيت بسالتي فيوم هيج مردف
٢ ـ في المحاسن والاضداد ٧٨ والخزانة ٣/٣٤٢ ارسف نحوه حتى أكابده
وفي الخزانة أكابره
٣ ـ في المحاسن والاضداد ٧٨ والخزانة ٣/٣٤٢ لما بدأ طبق الرحا متفحر
٤ ـ في المحاسن والاضداد ٧٨ والخزانة ٣/ ٣٤٢ زرق المعاول أوشذاة زجاج

٥ — وكأنما خيطت عليه عبــــاءة
برقاء أو خلاق من الديباج

٦ — يسمو بناظرين تحسب فيهما
لما أجالهما شعاع سراج

٧ — وله إذا وطيء المهاد تنقضٌ
ولثني طفطفة نقيق دجاج

٨ — أقبلت أرسف في الحديد مكبلا
للموت نفسي عند ذاك أناجي

٩ — والناسُ منهم شامت وعصابة
عبراتهم بي في الحلوق شواجي

١٠ — قرنان محتضران قد محضتــهما
أم المنيّة غيــر ذات نتــاج

١١ — اما نزلتُ بحص أزبرَ مهصرُ
للقــرن أرواحُ العــدى مــجاج

١٢ — نازلته إن النــزال سجيتــي
اني لمن سلفي عــلى منــهــاج

١٣ — وعلمت اني لــو أبيت نزاله
اني مــن الحجاج ليس بنــاج

١٤ — فقلقتُ هــامتــه فخرّ كأنــه
أطــمٌ هوى متقوّضَ الأبــراج

---

٦ — في المحاسن والاضداد / ٧٨ والخزانة ٣/ ٣٤٢ يدنو بناظرتين من ظن خالهما
٨ — في المحاسن والاضداد / ٧٨ والخزانة ٣/ ٣٤٢ فمشيت ارسف بالموت
٩ — في المحاسن والاضداد /٧٨ لي بالحلوق
١٠ — في المحاسن والاضداد ٧٨ والخزانة ٣ ٣٤٢ قدرهما ام المنية
١٣ — في المحاسن والاضداد ٧٨ والخزانة ٣ ٣٤٢ إن ابيت نزالة. لست بناج
١٤ — في المحاسن والاضداد ٧٨ أطُعمٌ تقوض مائل الايراج

١٥ــ ثم انثنيتُ وفي قميصي شاهدٌ
مما جرى من شاخب الاوداج

١٦ــ ولبأسك ابن أبي عقيل فوقه
وفضلته بخلائق أزواج

١٧ ــ ولئن قذفتَ بي المنيسة عامداً
اني لخيرك بعد ذاك لـراج

١٨ــ علم النساءُ بأنني ذو صولةٍ
في ساعة الألجام والاسراج

(٣)

قال جَحْدر اللص وقد حُبس في سجن ديماس ،وهو سجن كان للحجاج بواسط

(من البسيط)

١ ــ إن الليالي نحت بي فهي محسنةٌ
لا شكّ فيه من الدّيماس والأسدِ

٢ ــ واطلقتني من الأصفاد مخرجة
من هَوْل سجن شديد البأس ذي رصد

٣ ــ كأن ساكنه حبّا حشاشته
مَيْتٌ تردّد منه السّم في الجَسدَ

(٤)

قال جَحْدر اللص :

(من الطويل)

تَرَبّعن غولا فالرّجام فمنعجاً
فعرفته فالميت ميت تضاد

---

١٧ ــ في المحاسن والاضداد ٧٨ فلأن قذفتُ إلى المنيّة بعد ذلك راجي
١٨ ــ في المحاسن والاضداد ٧٨ بانني لاأنثني إذ لايثقن بغيرة الازواج

(٥)

(من الكامل)

قال جَحْدر وكان ابراهيم بن عربي قد حَبَسه بدَوّار :

١ ـ إني دعوتُكَ ياإلهَ محمّد
دَعْوى فأوّلها لي استغفارُ

٢ ـ لِتُجيرَني من شرّ ماأنا خائفٌ
ربَّ البريّة ليسَ مِثْلَكَ جارُ

٣ ـ تَقضي ولا يقضى عليك وانما
ربي بعلمك تنزلُ الاقدارُ

٤ ـ كانتْ مَنازلُنا التي كُنّا بها
شتّى والفَ بيننا دَوّارُ (١)

٥ ـ سِجن يُلاقي أهله من خوفه
أزلاً ويُمْنَع منهُمُ الزوارُ

٦ ـ يغشون مقطرةً كأن عمودَها
عنقٌ يعرق لحمهَا الجزّارُ

(٦)

وقال جحدر بن معاوية العكلي وهو في سجن الحجاج بالكوفة :

(من البسيط)

١ ـ يارَبِّ أبغضُ بيتٍ عند خالقه
بَيتٌ بكُوفانَ منه أُشْعِلَت سَقَرُ

٢ ـ مَثْوى تجمع فيه الناس كلهم
شتّى الأمور فلا ورد ولا صدر

٣ ـ دارٌ عليها عفاءُ الدهر موحشةٌ
من كُلِّ انس وفيها البدو والحضر

(١) ـ دَوّار : سجن باليمامة .

(١) ـ في معجم ما استعجم ١١٤١ وروايته أنت خالقُه منه استُعجلت سقرُ

(٧)

قال جحدر اللص :

(من الطويل)

تعَلّمن ياذَوْدَ اللبيين سيرةً
بنا لم تَكُن اذوادُكُن تَسيرها

(٨)

وقال جَحْدر اللص (*) (من البسيط)

١ – ذكرتُ هِنْداً وما يُغني تذكرُها
والقوم قد جاوزوا مهْلان والنيرا

٢ – على قلائص قد أفنى عرائكها
تكليفُناها عريضات للفلا ذورا

(٩)

قال جَحْدر اللص : (من البسيط)

١ – ياصاحبيّ وبابُ السجن دونكما
هل تؤنسان بصحراء اللوى نارا

٢ – لوى الدخول الى الجرعاء موقدها
والنارُ تُبْدي لذي الحاجات اذكارا

٣ – لو يُتبعُ الحقّ فيما قد منيت به
أو يتبع العدل ماعَمرت دوارا

٤ – إذا تحرك بابُ السجن قام له
قومٌ يمدّون اعناقاً وابْصاراً

(*) يبدو أن القطعة والتي تليها ينتميان إلى قطعة واحدة كما يبدو من السياق،ولكنني لم أجد نصاً يثبتهما أو يوردهما على شكل مصيدة واحدة ،فاثرت وضعهما بهذا الموضع والاكتفاء بالاشارة

(١٠)

وقال جحدر ايضاً في ابراهيم بن عربي والي اليمامة :

(من البسيط)

١ – إني أرقتُ لبرقٍ ضافني سار
كأنّ في العين منهُ مسٌّ عوّار

٢ – أو حرّ فُلْفُلَةٍ كانت بها قذيتْ
لما برى قِشْرها عن حرّها الباري

٣ – إن الهمومَ اذا عادتك واردةٌ
إنْ لمْ تُفرّج لها وردٌ باصدار

٤ – كانتْ عليك سقاماً تستكينُ له
وأنصبتْكَ لحاجاتٍ وإذكار

٥ – فصرتُ في السجن والحراس تحرسني
بعدَ التنصّص في برّ وأمصار

٦ – وسير حرفٍ تجُوبُ الليل جافلةٌ
عوْمَ السفينة في ذي اللجة الجاري

٧ – يانفس لاتجزعي إني الى أمدٍ
وكلّ نفسٍ الى يومٍ وميقدار

٨ – وما يُقرّبُ يومي من مدى أملي
فاقْنيْ حياءك ترْحالي وتسياري

٩ – إنّي إلى أجلٍ إنْ كُنت عالمة
اليه ما مُنتهى علمي وآثاري

١٠ – لله أنت فإن يعصمك فاعتصمي
وإنْ كذبت فحسبي الله من جار

١١ — ادْعيه سِرّاً وناديه عَلانيـــةً
والله يَعلمُ إعلاني وأســـراري

١٢ — وما السَعادةُ في الدنيا لذي أملٍ
إن السعيدَ الذي ينجو من النار

١٣ — سقياً لِسجنك من سجن وساكنه
بديمَة من ذَهَاب الماء مِدرَار

١٤ — يكُلّ جَوْنٍ رَواياه مُطبّقةُ
واهي الغزَالي من الجَوزاء جرّار

١٥ — وقد دعوتُ وماآلو لأسْمِعَهُ
أبا الوليد ودوني سجنُ دوّار

١٦ — في جوف ذي شرُفاتٍ سدّ مَخرَجهُ
بباب سَاجٍ أمين القُفْل صرّار .

١٧ — أدعُوهُ دَعْوةَ مَظلومٍ لِيَنْصُرُني
ثم اسْتَغَثتُ بذي نُعمى وأخطار

١٨ — اشكو الى الخَير ابراهيم مَظلَمَتي
في غَير جُرمٍ وإخراجي من الدار

١٩ — الدهرَ أرسُفُ في كبْلٍ أعالِجهُ
وحَلقه قاربوا فيها بمسمار (١)

٢٠ — أدورُ فيه نَهاري ثمُّ مُنقلَبي
بالليل أدهَمَ مَزرورٌ بأزرار

٢١ — كأنه بين أستارين قدهما
سَراةُ أورق مَطلِيٌ من القـار

٢٢ — ياأقربَ الناس من حمدٍ ومَكرمَة
وابْعَدَ الناس من ذمٍّ ومن عار

---

١ — الكبل : قيد ضخم

٢٣ ـ وأعظمَ الناس عفواً عند مَقْدَرة
وايثَ غابٍ على أعدائه ضار

٢٤ ـ وَرْدٌ هِزَبرٌ تُميتُ القرن صولتُهُ
وضَمّهُ بين أنياب وأظفـــار

٢٥ ـ أنعِمْ عليّ بنُعْمي منكَ سابغةٍ
من سيب أرْوَعَ نَفّاعٍ وضَرّار

٢٦ ـ أوْفي اليَمامة مَنْ يعلقْ بذمّته
يأخُذْ يَداهُ بحَبْلٍ غير خوّار

(١١)

قالَ جَحْدَرُ المحرزي اللص وقد حبس ببيضاء البصرة (المُخَيّس) (من البسيط)

١ ـ اقول للصحب في البيضاء دونكم
مَحَلَّةً سوّدت بيضاءَ أقطاري ،

٢ ـ مأوى الفتوّة للأنذال مُنْذُ خُلِقَتْ
عند الكرام مَحلّ الذل والعار

٣ ـ كأن ساكنها من قَعْرها أبداً ،
لدى الخروج كمُنتاشٍ من النار

(١٢)

وقال جحدر بن معاوية العكلي : (من الطويل)

إذا شئت تدري ماتفوسُ قبيلَة
وأخطارها فانظر الى من يروسُــها

(١٣)

(من الطويل)

١ ـ نظرتُ وأصحابي تعالى ركابهُم
وبالسِّر وادٍ من تناصُفَ أجمعا(١)

---

١ ـ تناصف : موضع بالبادية

٢ – بعَيْنِ سقاها الشوق كحل صبابة
مضيضاً ترى انسانَها فيه منقعاً

٣ – إلى بارق حادَ الاوي من قراقرٍ
هنيئاً له إن كان جَدَ وامرعّا

(١٤)

قال جحْدَر اللص : (من الطويل)

١ – وان امرءً يعدو وحجرٌ وراءَه
وجَوٌّ ولا يغزوهما لضعيفُ (١)

٢ – إذا حلّةٌ أَبْلَيتُها ابتعتُ حلّةً
نسانيةٌ طوع القياد عليفُ

٣ – سعَى العبد أثري ساعةً ثم رَدّهُ
تذكّرُ تنور له ورغيف

(١٥)

وقال جحدر بن ضُبيعة : (١) (من الرجز)

١ – ليثُ وليثُ في مجال ضنْك (٢)
٢ – كلاهما ذو حنَق ومحْك (٣)
٣ – وبطشة في صولة وفتك
٤ – إن يكشِف الله قناع الشك

---

١ – جو : اسم لناحيه اليمامة .
١ – قال صاحب اللسان (درك) بعد أن أورد الاشطار الستة :قال أبو سعيد :وزادني هفان في هذا الشعر . واورد الشطر السابع .
٢ – الضنك : الضيق.
٣ – المحك : اللجاج.
٤ – الدرك : الوصول.

٥ ــ بظفر من حاجتي ودَرْك (١)
٦ ــ فذا أحق منزلٍ بتــــرك
٧ ــ الذئب يعوي والغراب يبكي(٢)

(١٦)

وقال جحدر العُكلي

١ ــ وركبٍ تعادوا بالنعاس كأنما (من الطويل)
تساقوا عُقاراً خالطت كل مفصل

٢ ــ سريتُ بهم حتى مضى الليلُ كلُّه
ولاحتْ هوادي الصبح للمتـأمل

٣ ــ وقالوا وقد مالت طلاهم من الكرى
أنخ إنها نُعمى علينـا وأفضـل

٤ ــ فطاوعتهـم حتى أناخوا كلاكلا
مهارى لهوا منها ولمـا تعقـل

٥ ــ وقالوا على اعطافها و توسـدوا
إلى الرُكب اليسرى سواعد أشمل

---

(١) الدرك : الوصول

٢ ــ في المحاسن والمساوي للجاحظ ٦٠ والموفقيات ١٧٣ والخزانة ٣ / ٣٤١
وروايته كلاهما ذو أنف وفتك
والخزانة ٣٤١ وفي الموفقيات ١٧٣

٣ ــ في المحاسن والمساوي ١٦٠ وصولة في بطشه وفتك
وفي الموفقيات ١٧٣ : وسورة في صولة ومحك وفي الخزانة ٣ /٣٤١
استبدله بشطر أخر هو أجول جول حازم في المرك

٥ ــ في ا لمحاسن والمساوي ٦٠ والخزانة ٣ / ٣٤١ وظفراً بجؤجؤ وبرك .
وفي الموفقيات ١٧٣ من ظفري بحاجتي ودرك ..

٦ ــ في المحاسن والمساوي ٦٠ والخزانة ٣ / ٣٤١ فهو أحقّ منزل بترك
وفي الموفقيات ١٧٣ فذاك أحرى منزل بترك

م / ش ١٢

٦ — ولاثوا بأيديهم فضول أزمّة
تصور البرى أزرارها لم تُحلل

٧ — غشاشاً غرار العين ثم تنبهوا
سراعاً إلى أكوار سِدس وبُزّل

(١٧)

وقال جحدر بن معاوية العكلي : (٭) (من الطويل)

١ — لكُلّ صروف الدهر قدعشتحقبةً
وقد حملتني بينها كُلّ محمَل

٢ — وقد عشت منها في رخاء وغبطةٍ
وفي نعمةٍ لو أنهـا لم تحوّل

٣ — إذا الأمرُ ولّى فاتّعظ من طلابه
بعقلك واطلب سيب آخر مقبل

٤ — فإنك لاندري إذا كنت راجياً
أفي الريث نجح الأمر أم في التّعجل

٥ — ولا تمش في الحرب الضّراءولاتُطع
ذوي الضعف عند المأزق المتحفل

٦ — ولا تشتم المولى وتتبع اذاتـه
فإنك إن تفعل تسفه و تجهَل

٧ — ولا تخذل المولى لسوء بلائه
متى تأكل الأعداء مولاك تأكل

(٭) يبدو أن هذه القطعة والقطع (١٦، ١٧) تنتمي إلى قصيدة واحدة لاتفاقها في التسلسل والمعنى والنفس الشعري ،ولكنها توزعت على المصادر التي ذكرت فيها بسبب مواضع الاستشهاد التي استشهدت بها ، وقد تركتها بهذا الشكل لانني لم أجد مصدراً يوحدها .وارجح ترتيب ورودها في القصيدة المتكاملة على الشكل الذي ثبتها عليه .

(١٨)

وقال جحدر بن معاوية العكلي : (من الطويل)

١- إذا انقطعت نفس الفتى وأجنّه
من الأرض رمسٌ ذو تراب وجندل

٢- رأى انما الدنيا غرورٌ وإنما
ثوابُ الفتى في صبره و التوكّل

(١٩)

وقال جحدر يذكر سجن دوّار : (من البسيط)

١ - يارَبَّ دوّار انقدْ أهلَهُ عَجِلا
وانقضْ مرائرَهْ من بعد إبرام

٢ - رَبَّ ارمِهِ بخرابِ وارم بانِيَهُ
بصولة من ابني شبلين ضرغام

(٢٠)

قال جحدر العكلي في امرأة : (من الطويل)

١ - على قَدَمٍ مكنونة اللون رَخْصَةٍ
وكعبٍ كَذفرى جُؤذُر الرمل أدرما(١)

(٢١)

قال السيوطي في شرح شواهد المغني(٥) :

أخرج المعافي بن زكريا ، وابن عساكر في تاريخه ، بسند متصل عن ابن الأعرابي قال : بلغني أنه كان رجل من بني حنيفة يقال له جحدرُ بن مالك ، فتاكاً ، شجاعاً قد أغار على أهل حجر وناحيتها ، فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف ، فكتب إلى عامله باليمامة

---

(١) شبه كعبها باصل اذن الجؤذر ، وهو الصغير من أولاد البقر

وقال صاحب الخزانة ٤ /٤٨٢ بعد أن استشهد ببيتين من القصيدة والبيتان من قصيدة لجحدر بن مالك الحنفي قالها وهو في سجن الحجاج ، وارسلها الى اليمامة . وكان قد أشار إلى سبب حبسه وترجمته في الجزء الثالث ٣٤١ ..ثم قال وهي هذه من رواية السكري في كتاب اللصوص .

(٥) السيوطي : شرح شواهد المغني ٤٠٧ ـ ٤٠٩ قال القالي ١ /٢٨١ وأنشدنا أبو بكر

يوبخه بتلاعب جحدر به ويأمره بالاجتهاد في طلبه ، فلما وصل إليه الكتاب ارسل إلى فتية من بني يربوع ، فجعل لهم جُعلاً عظيماً ان هم قتلوا جحدرا أو أتوا به أسيراً . فانطلقوا حتّى إذا كانوا قريباً منه أرسلوا إليه أنهم يريدون الانقطاع إليه ، والتحرزبه ، فاطمأن إليهم ووثق بهم ، فلما أصابوا منه غرة شدوه كتافاً وقدموا به على العامل ، فتوجه به معهم إلى الحجاج . فلما أدخل على الحجاج قال له : من أنت ؟ قال : أنا جحدر بن مالك . قال : ماحملك على ماكان منك ؟ قال : جراءة الجنان ، وجفاء السلطان ، وكلب الزمان . قال : وما الذي جرى منك فجرأ جنانك ؟ قال : لوبلاني الأمير ، أكرمه الله ، لوجدني من صالحي الأعوان ، وبهم الفرسان ، ولوجدني من أنصح رعيته . وذلك أني ما لقيت فارساً قط إلا وكنت عليه في نفسي مقتدراً . قال له الحجاج : انا قاذفون بك في حائر ، فيه أسد عاقر ضار ، فإن هو قتلك كفانا مؤنتك ، وان أنت قتلته خلينا سبيلك . قال : أصلح الله الأمير ، عظمت المنّة ، وقويت المحنة ، قال الحجاج : فانا لسنا بتاركيك تقاتله إلا وانت مكبل بالحديد ، فأمر به الحجاج فغُلّت يمينه إلى عنقه وأرسل به إلى السجن فقال جحدر لبعض من يخرج إلى اليمن : تحمل عني شعراً وأنشأ يقول :

(من الوافر)

١ — تأوّبني فبتُّ لها كنيعاً[1]
هُمومٌ لا تُفارقني حوَاني (٢)

عن الاشناندانى لجحدر وكان لصا مبراً فأخذه الحجاج فحبسه ، فقال في الحبس ، وقال صاحب منتهي الطلب وهو يقدم القصيدة (الورقة ١٢١) : وقال جحدر بن معاوية بن جعدة العكلي وكان من اللصوص من بني محرز بطن من عكل : وقال ياقوت في بلدانه ٢ /٢١٠ : وكان رجل من بني جشم بن بكر يقال له جحدر يخيف السبيل بأرض اليمن ، وبلغ خبره الحجاج ، فأرسل إلى عامله باليمن يشدد عليه في طلّبه ، فلمّ يزل يجدّ في أمره حتّى ظفر به وحمله إلى الحجاج بواسط ، فقال له ماحملك على ماصنعت فقال كلب الزمان وجراءة الجبان فأمر بحبسه فحنّ إلى بلاده فقال وتختلط بعض أبياتها بقصيدة لسوّار بن المغرب وهي أصمعية في أربعة وأربعين بيتاً ، ويبدو أن تشابه حياة الشاعرين ، وتعرضهما لمطاردة الحجاج ، واتفاق النمط الحياتي لهما قد ساهم في هذا الاختلاط (الابيات ٧، ٨ ، ١١)

(١) الكنيع : المتقبّض : اني انتني الهموم ليلاً ، وحواني جمع حانٍ اي تعطف

١ — في امالي القالي : ٢٨١/١ واللسان (كنع) ماتفارقني .

٢ — هي للعواد لا عواد قومي
أطلْنَ عِيادَتي في ذا المَكَان

٣ — إذا ماقُمْتُ قد أجلين عَنّي
ثَنَى رَيعانَهُـنّ علي ثـان (١)

٤ — فإنّ مقرّ منزلَهن قَلْبِـي
فقد أنفهْنَـهُ فالقَلْـبُ آن (٢)

٥ — أليـس الله يعلَمُ أن قلبِي
يُحبُّكَ أيُّهـا البَرْقُ اليَمَاني

٦ — وأهوَى أن أعيد إليكَ طرفي
على عُدواءَ من شُغُلٍ وشان (٣)

٧ — نظرتُ وناقتاي عـلى تُعَادِ
مطاوعتا الأزمّـة تُرَحّـلان

٨ — إلى ناريهمـا وهُما قَرِيبٌ
تشُوقان المُحبَّ و تُوقـدان

---

(١) ريعانهنّ : أوائلهن ..

(٢) النفهة من نفهت : اي اعيت وكَلّت . والآني : المنتهي .

٤ — في امالي القالي ٢٨١/١ .. وكان مقر والهمُّ آني
وفي منتهى الطلب للورقة ١٢١ / . فإن انفهنه ..
وفي الخزانة ٤٨٢/٤ ... وكان مقر ...

(٣) العدواء : الموانع التي تصرف عن الشيءْ

٦ — في امالي القالي ٢٨١/١ : وأهوى أن أرد اليك .. من شغُلي .

٧،٨ — اخلت بهما رواية السيوطي وهما في الامالي ومنتهى للطلب والخزانة ورواية
السابع في الامالي ٢٨٢/١ .. مطاوعة الازمة
ورواية الثاني .. وهما بعيد

٩ ــ رأيتُ بذي المجازة ضوءَ نار
: الألأ وهي نازحةُ المكان

١٠ ــ فشبه صاحباي بها سهيلاً
فقلتُ تبينا ما تنظران

١١ ــ أنارٌ أوقدت لتنوراها
بدت لكما ام البرق اليماني

١٢ ــ وكيفَ ودونها هضبات سلع
واعلام الأبارق تعتمان

١٣ ــ كان الريح ترفع من سناها
بنائقُ حلة من أرجوان

١٤ ــ ألا قد هاجني فازددتُ شوقاً
بُكاءُ حمامتين تجاوبان

١٥ ــ تجاوبتا بلحن أعجمي
على غصنين من غرب وبان

١٦ ــ فاسبلت الدموعَ بلا احتشام
ولم أكُ باللئيم ولا الجبان

١٧ ــ فقلتُ لصاحبي وكنتُ أحزو
ببعض الطير ماذا تحزوان

١٨ ــ فقالَ : الدار جامعةُ قريبُ
فقلتُ : بل أنتما متمنيان

١٤، ١٥ ــ اختلفت روايتها في أكثر المصادر كما اضطربت نسبة الابيات ..

١٧ ــ في الموفقيات / ١٧٢ وكنت احدو ببعض القول ماذا تحدوان
وفي الزهرة / ٢٤٧ وكنت امرى بزجر الطير ماذا تخبران

١٨ ــ في الموفقيات / ١٧٢ فقالا الدار جامعة قريباً ..
وفي الزهرة / ٢٤٧ فقالا الدار جامعة بسعدى ..

١٩ ـ فكانَ البانُ أن بانتْ سليمى
وفي الغَرب اغترابُ غير داني

٢٠ ـ أليسَ اللهُ يَجْمَعُ أمّ عمرو
وإيّانا ، فذاكَ لنَا تداني

٢١ ـ بلى وترى الهلالَ كما أراهُ
ويَعْلوهَا للنّهارُ كمَا علاني

٢٢ ـ فما بين التفرُّق غيْرَ سَبْع
بقينَ مِنْ المُحرَم أو ثمان

٢٣ ـ فيبا اخوي من جشم بن سَعْدٍ
أقلاً اللومَ إن لم تنفعَاني

٢٤ ـ إذا جاوزتُمَا سعفات حَجْرٍ
وأودِيَةَ اليَمَامَة فانْعِيَاني

---

١٩ ـ في المعاني الكبير ٢٦٤/١.
وفي بهجة المجالس ١٨٥/٢ وبالغرب اغتراب ..

٢٠ ـ في الشعر والشعراء ٣٥٤/١ وفي عيون الاخبار ١٩٤/٢ واماالي القالي ٢٨٣/١
اليس الليل يلبس بنا تداني
في السمط / ٦١٧ بنا تداني

٢١ ـ في عيون الاخبار ١٩٤/٢ ترى وضح النهار
وفي الشعر والشعراء ٣٥٤/١ بلى وترى السماء كما اراها ..

٢٣ ـ في امالي القالي/٢٨٢ من كعب بن عمرو وفي حماسة الظرفاء/١١٢ أيا اخوي

٢٤ ـ وفي بلدان ياقوت٢ / ٢١١.. ابا اخوي من جشم بن بكر
وفي الموفقيات / ١٧٣ نخلات حجر واندية
في منتهى الطلب الورقة / ١٢١ سعفات هجرٍ
وفي حماسة الظرفاء / ١١٢ إذا جزتما هضبات حجر ونخلات اليمامة

٢٥ ــ إلى قَوم إذا سَمِعُوا بنَعيي
بَكَى شُبَّانُهم وبَكَى الغَوانِي

٢٦ ــ وقُولا جَحْدَرٌ أمسى رهيناً
يُحَاذر وقْع مَصْقول يَماني

٢٧ ــ يُحَاذر صَوْلَةَ الحَجّاج ظلماً
ومَا الحَجّاج ظَلاّماً لِجَانِي

٢٨ ــ أَلَمْ ترني غذيت أخَا حُرُوب
إذا لَمْ أجْنِ كُنْتُ مجنِ جَان

٢٩ ــ فَإنْ أهلكْ فرُبَّ فَتىً سَيَبْكي
علي مُهَذب رخْص البنَان

٣٠ ــ وكُلُ فَتىً لَهُ أَدَبٌ وحِلْمٌ
معَدّيّ كَريم غَيْرُ وان

٣١ ــ ولَمْ أكُ ماقَضَيْتُ ديون نَفسي
ولا حَقّ المُهَنّد والسّنَان

٣٢ ــ كذا المغرورُ في الدُنْيا سَيَرْدي
وتُهلكه المطامعُ و الأمَانِي

---

٢٥ ــ في أمالي القالي ذكر البيت بعد ثلاثة أبيات وروايته / ٢٨٢
إلى قوم إذا سمعو بقتلى
وفي حماسة الظرفاء / ١١٢ لفتيان إذا أنعى ندبهم
وفي بلدان ياقوت ٢ /٢١١ لفتيان إذا سمعوا بقتلي ..

٢٦ ــ في الموفقيات ١٧٣ . يعالج .
وفي حماسة الظرفاء ٢/ ١١٢ فقولا

٢٧ ــ في امالي القالي /٢٨٢ ظلام لجاني

٢٨ ــ في منتهى الطلب الورقة / ١١٢ والخزانة ٤ / ٤٨٤ علي مخُضّب
وفي بلدان ياقوت ٢١١/٢ ستبكي كل غانية عليه وكل مخضب ..

٢٩ ــ في أمالي القالي / ٢٨٢ ولم اك قد قضيت حقوق قومي
وفي الخزانة ٤ / ٤٨٤ ولم اك قد قضيت ..

ما نسب له ولغيره من الشعراء

(١)

وقال جحدر اللص لعياش الضبي : (من الطويل)

١ — أعيّاش إذْ وَطّنْتَ نَفسَكَ فاصطبر
غَداً لملِمّات سِيباً وسَعِيبُرْ

٢ — وانتَ قَطيعُ الرِّجْل تمشي علىالعصا
وكفُّكَ من عظم اليَمين جَذيرُ

٣ — وأحموقةٍ وطّنْتَ نَفسكَ خَالياً
بها وَحَماقاتُ الرِّجَال كَثيرُ

٤ — فإنْ وَطّنَ الضَّبّيُّ نَفساً لئيمَةً
على الذُّل ما نَفسي لها بِصَبُور

تخريج القصائد والمقطعات

(١)

الابيات (١ – ٣) في بلدان ياقوت ١ / ٦٠٢

(٢)

والابيات ١ ، ٢ ، ٤ ، ٦ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ في تهذيب تاريخ دمشق ٤ / ٦٤
والبيتان الاول والثاني في اللسان (درك) والثاني في اللسان (حرج) وبعضهما في الدميري
الابيات (١ – ١٩) عدا ١٦ في الحماسة البصرية ٢ / ٣٣٧ – ٣٣٨
والابيات (١ – ١٩) عدا ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٧ ، في المحاسن والاضداد / ٧٨
والابيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٣ في الخزانة ٣ / ٣٤٢

(٣)

الابيات (١ – ٣) في بلدان ياقوت ٢ / ٧١٢

(٤)

البيت في بلدان ياقوت ٢ / ٦٤٩

(٥)

الابيات (١ – ٦) في بلدان ياقوت / ٦١٢ والرابع في كامل المبرد / ١٣٧ ومعجم ما استعجم / ٥٦٣ .

(٦)

الابيات (١ – ٣) في مجموعة المعاني / ١١٩ والاول في معجم ما استعجم / ١١٤١

(٧)

البيت في بلدان ياقوت ٤ / ٣٥٠

(٨)

البيتان في بلدان ياقوت ١ / ٩٤١

(٩)

الأبيات (١–٤) في بلدان ياقوت ٢ / ٥٥٩

(١٠)

الأبيات في منتهى الطلب الورقه ١٢٢

(١١)

الأبيات (١–٣) في بلدان ياقوت ٢ / ٧٩٣

(١٢)

البيت في مجموعة المعاني / ٤٧

(١٣)

الأبيات (١–٣) في بلدان ياقوت ١ / ٨٧٥

(١٤)

الأبيات (١–٣) في بلدان ياقوت ٢ / ١٦١

(١٥)

الأشطار في المحاسن والأضداد / ٦٠ وحماسة الظرفاء / ٦٠ (وينظر تخريج الأشطار فيه(والحماسة البصرية ٢/ ٣٣٨ واللسان والتاج (درك) والخزانة ٣٤١/٣ وعدا السابع في الموفقيات/١٧٣ وعدا الخامس والسابع في شرح شواهد المغني / ٤٠٩ ، وعدا الثالث والسادس والسابع وزيادة شطر جديد في الخزانة ٣ / ٢٤١

(١٦)

الأبيات (١–٧) في الحماسة البصرية ٢ /٣٥٨

(١٧)

لأبيات (١–٧) في مجموعة المعاني

(١٨)

االبيتان في مجموعة المعاني / ٣

(١٩)

البيتان في بلدان ياقوت / ٦١٢

(٢٠)

البيت في عيون الاخبار ٢ / ١٨٨

(٢١)

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١) في امالي القالي ٢٨٢/١

والابيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١) في خزانة الادب ٤ /٤٨٣ — ٤٨٤ .

والابيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١) في منتهى الطلب الورقة / ١٢١

والابيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١) في شرح شواهد المغني/٤٠٧ — ٤٠٩

والابيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧) في الف با البلوي ٥٠١/٢

والاول في اللسان (كنع)

والابيات (٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١) في الحماسة البصرية ٩٨/٢

والابيات ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٦ ، في تهذيب تاريخ دمشق ٤ / ٦٣ — ٦٤

والابيات (١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٥ ، ٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠) في بلدان ياقوت ٢١١/٢

والابيات ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٦ ٢٧ في الموفقيات ١٧١ — ١٧٢
والابيات ١٤ ، ١٥ ، ١٩ في الوحشيات/ ١٨٣ بلا عزو ، وفي كامل المبرد ١٢٦/١ والعقد الفريد ٤١٤/٥ .

والبيتان (١٤ ، ١٥) في النصف الاول من الزهرة /٢٤٠ ونسبا لجحدر القفعسي وهما في اللسان (جوب) والبيتان (١٤ ، ٢٠) في بهجة المجالس ٢ / ١٨٥ .

والبيتان (١٥ ، ٢٠) في حيوان الجاحظ ٣ / ٤٤٠ والمعاني الكبير ١ / ٢٦٤ ونسبا لسوار بن مضرب .

والبيتان (٢١ ، ٢٢) في الشعر والشعراء ٣٥٤/١ ونسبا للمعلوط وبلا عزو في عيون الاخبار ٢ / ١٩٤ ولجحدر في السمط/ ٦١٧ ونهاية الارب ٣/ ٢٢٨ وينظر تخريجهما في السمط .

والابيات (٢٣ ، ٢٤، ٢٥، ٢٦)في حماسة الظرفاء / ١١٢ ونسب لجحدر بن ضبيعة

والابيات ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠) في بلدان ياقوت ٢١١/٢

والابيات (٢٣ ، ٢٤) في المؤتلف والمختلف ونسبا لحليفة بن البلاد وقال المؤلف .. ذكر السكري في اشعار اللصوص البيتين الاولين لجحدر بن معاوية العكلي وقال : شعفات بالشين معجمة .

تخريج المنسوب

(١)

الابيات (١ ــ ٤)في البرصان والعرجان / ٢٤١ ، ونسبت في معجم الشعراء / ٢٧٩ لابن الطيلسان ، وقد دخل على عيّاش الضبي ، وارجح نسبتها له ، وليست لجحدر ، لاننا لم نجدها منسوبة له في موضع آخر ، وان حياة جحدر لم تحفل بشخص يحمل هذا الاسم ، وان شعره لايجانس هذا النمط الشعري .

عُبَيدُ بنُ أيُّوبَ العَنْبَريُّ

تقف المصادر التي تستشهد بشعر عبيد بن أيوب عند اسمه واسم أبيه وعشيرته أحياناً، وتتجاوز ذلك إلى مهنته – اذا صح عد اللصوصية مهنة – فتقول عبيدالله بن أيوب اللص ، أو من لصوص العرب أو هو من اللصوص .. ولم تحدد هذه المصادر طبيعة لصوصيته، ولم توضح الميدان الذي كان يمارس فيه هذه الحرفة أو الهواية . ولم تمنح هذه العبارة ما يحدد أبعادها من حيث المفهوم الاجتماعي أو القبلي أو الجنائي . فهو عند الجاحظ حين يستشهد بشعره يقدمه بقوله : أحد اللصوص (١)مرة ويقدمه مرة أخرى بقوله : قال عبيد بن ايوب ،وقد كان جوالاً في مجهول الارض لما اشتد خوفه وطال تردده،وابعد في الهرب(٢)، ويقدمه المبرد بقوله : وقال آخر أحسبه من لصوص بني سعد (٣) وهو عند صاحب منتهى الطلب من اللصوص (٤) ، أما ياقوت الحموي فيسميه اللص (٥) ، ويقدمه حيناً بواحد من لصوص بني العنبر(٦) . وتتكرر هذه العبارة التي اردفت باسمه والصقت بأفعاله حتى أصبح المتأخرون الذين يستشهدون بشعره لايتركون هذه المهنة اذا استشهدوا بشعره، ولم أجد مبرراً حقيقيا لهذا الالصاق ،لان حياته التي يبرزها شعره ، وهو المصدر الوحيد لذلك تظهره بهيئة أخرى ،وتقدمه بسمات أوضح من السمات التي تناقلتها ألسن الرواة دون ان تكشف لنا ولو عن مبرر واحد من المبررات التي منحتهم هذا الحق في الصاق التهمة، والاصرار على الحاقها باسمه بشكل شامل .

ان الصورة التي يقدمها شعره صورة لم أجد في طراياها ملامح الشر،ولم اتلمس في بواطنها مايظهره بهذه الخصلة،ولم استطع حتى الوقوف عند بادرة واحدة من المبادرات التي تلون أعماله بأي لون من ألوان الايذاء أو تصبغها بنوازع التسلط والاستيلاء ...

هذا الجانب استقرائي بحت اهتديت اليه من قراءة شعره . ويحاول ابن قتيبة ان يعكس لنا في العبارات التي ترجم فيها ملامح حياته بعض مايمكن اعتباره الركيزة الاولى في الانعطاف الحقيقي لحياة هذا الشاعر .. فهو جنى جناية فطلبه السلطان ، وأباح دمه فهرب في مجاهل

---

(١) البيان والتبيين ٦٢/٤ .

(٢) الحيوان ١٦٥/٦ .

(٣) الكامل ٢٩٥/١ .

(٤) منتهى الطلب الورقة / ١١٥ .

(٥) معجم البلدان ٩٣٩/٢ ، ٥٩١/٣ .

(٦) معجم البلدان ٩٠٦/٣ .

الارض ، وأبعد لشدة الخوف (٧) . فعبيد جنى جناية ومن الطبيعي أن يطلبه السلطان ولابد أن تكون هذه الجناية – كما ذكرها ابن قتيبة – من الاهمية في نظر السلطان أو في نظر من أنابه السلطان بحيث انها دفعته إلى اباحة دمه . ولم تكن نفسه رخيصة إلى الحد الذي يبيح تسليمها للسلطان لاهدار دمه . فهرب ووجد – كما يحدثنا شعره – في الصحراء ملجأ ، والفيافي ديارا ، والقفار أماكن تستره وتخفيه . يأنس بالذئب رفيقا ، ويصاحب الغول صديقا ، يسكن اليهما ، ليكون بعيدا عن الايادي التي تريد الفتك به ، وعن العيون التي تترصد حركاته وعن الاعداء الذين يسعون إلى قتله . ومثل ماكشفت لنا عبارات ابن قتيبة انعطافا خطيرا في حياته فقد كشف لنا البكري انعطافا آخر كان له أهمية كبيرة في حياته الادبية ، ومنحه ميدانا واسعا تحرك فيه تحركا شعريا ناجحا . وقد سجل فيه تجديدا أدبيا وتجربة شعرية أهلته لأخذ المكانة المرموقة في معالجتها . . يقول البكري : وعبيد شاعر اسلامي ،وكان لصا مبرا فنذر السلطان دمه، وخلعه قومه فاستصحب الوحوش وانس بها وانست به،وله في ذلك اشعار كثيرة وكان يزعم انه يرافق الغول والسعلاة(٨).

ان جناية عبيد جناية لم تعرف طبيعتها ، ولم تحدد ماهيتها ولكنها كانت سببا قويا من أسباب خروجه، وامعانه في الهرب وتفرده في البوادي . وقد تحمل الشاعر من جراء هذه الجناية عواقب كثيرة كانت قوية على نفسه بعيدة الاثر في حياته ، تمثلت في خلعه من القبيلة، وهي عقوبة صارمة وجزاء مؤلم لأن المرء كثير بأهله وعشيرته ، وقد وجد نفسه مخلوعا. لايجد من يعينه على تخفيف غربته ، وتبديد همومه واشعاره بحالة الاطمئنان التي كان يتوق اليها ، ويتشوق إلى سماعها ، ويرجو تذوق طعمها .. وتمثلت في اهدار دمه واباحة قتله وهو حكم أقسى وأمر لانه أباح لكل خصومه – أن كان له خصوم – أن يترصدوه وأحل لهم قتله ، ولم يجدوا بعد ذلك حاجة لدفع قود أو دية . وهي حالة أخرى من حالات الاضطراب النفسي الذي يحمل الرجل على أن يكون حذراً إلى أقصى درجات الحذر ، خائفاً إلى أشد حالات الخوف ، ولابد أن تحمله هذه المشاعر على الابتعاد عن كل مظهر من مظاهر الحياة ، لانها أصبحت مرعبة بالنسبة اليه ، مخيفة إلى حد الموت وقد بلورت هذه الانفعالات المضطربة والاحاسيس المُشتتّة ظاهرة الخوف عند عبيد بلورة كاملة أصبح من جرائها نموذجاً حياً للدراسة النفسية التي تمنح الدارسين قدرة على متابعة الظاهرة من خلال شعره الخائف وعباراته المرعبة ، ومشاعره الحائرة .

---

(٧) الشعر والشعراء / ٦٦٨ .

(٨) سمط اللآلي ٣٨٤/١ .

فالخوف عند عبيد ، ومن خلال شعره أصبح ظاهرة متميزة ، شأنها شأن بقية الظواهر التي تنمو وتكبر وتتجسد حتى تأخذ شكلا مغايراً لما هو مألوف ، وصورة من الصور التي تتراكم على حواشيها نماذج غير مألوفة فتصبح ظاهرة مرضية مخيفة ، يتحمل صاحبها غصصا مقلقة ، ويتحرك في اطار اشباح موهومة ، تبدد أفراحه ، وتعكر حياته ، وتحيطه بهالة من النوازع المرعبة ، ومن الطبيعي أن تمتلئ حياة عبيد بهذه المنغصات لان الرجل إذا استوحش تمثل له الشئ الصغير في صورة الكبير ، وارتاب ، وتفرق ذهنه ، فرأى مالا يرى ، وسمع مالا يسمع ، وتوهم الشيء اليسير الحقير ، انه عظيم جليل . ثم جعلوا ماتصور لهم من ذلك شعراً تناشدوه ، وأحاديث توارثوها(٩) .

وعبيد بن أيوب من الجوالين في مجاهل الارض ، فقد اشتد خوفه ، وطال تردده ، وأبعد في الهرب ، بعد أن اقدم على ارتكاب جنايته التي تحددها المصادر ، فتجسدت له الاشياء على غير حقيقتها ، وتراءت الاشباح على غير أشكالها ، وسيطرت عليه ظاهرة الخوف سيطرة كاملة ، فهو يخاف مرور الحمامة ، لان تصوره المجسد حمله على تصور الحمامة عدواً ، أو طليعة معشر يرومونه ، وحمله أيضاً على أن يتصور ان كل نظرة تنظر يكون هو المقصود بها ، وان كل فم يتحدث لم يكن حديثه إلا السر الذي يحمله ، وإن كل يد تشير لم يكن المقصود باشارتها إلا هو ..

لقد خفت حتى لو تمر حمامةُ
لقلت عدو أو طليعة معشـــر
وخفت خليلي ذا الصفاء ورابني
وقيل فلان أو فلانة فاحـــذر
فأصبحت كالوحشي يتبع ماخلا
ويترك مأنوس البلاد المدعثـــر
إذا قيل خير قلت : هذي خديعة
وإن قيل شر قلت : حق فشمر (١٠)

---

(٩) الجاحظ : الحيوان ٦/٢٥٠ .

(١٠) القطعة رقم (١٤) .

ويقول(١١) :

لقد خفت حتى خلت أن ليس ناظر
إلى أحد غيري فكدت أطيـــر
وليس فم إلا بسري محدثٌ
وليس يد إلا إلي تشيـــرُ

ويقول (١٢) :

لقد خفت حتى كل نجوى سمعتها
أرى انني من ذكرها بسبيـــل
وحتى لويت السر من كل صاحب
وأخفيته من دون كل خليـــلِ

لقد أصبح الخوف عند عبيد ظاهرة كما أسلفت ، لها في نفسه مظاهر ، وله من أشكالها مخاوف ،فهو يخاف الصديق المصافي لارتيابه منه على الرغم من صفائه ونقاوته ، وهو يخاف فلاناً ويحذر فلانة ، وقد لازمته هذه الظاهرة ملازمة قوية ، وطبعت حياته بطابع موسوم ، ومن الطبيعي أن يحمله هذا السلوك القائم على الخوف ، والمنبعث من الريبة الشاملة على ان يعيش عيشة الوحوش ، بعيداً عن اطار الناس الطبيعيين ، وقد أدى به هذا السلوك إلى أن تختلف نظرته لكل شيءٌ ، وتتجدد رؤياه من خلال الشك المتمكن،أو الريبة الثابتة في نفسه، فالخير الذي يبدو للناس خيرا طبيعياً هو خديعة ملفقة ، والشر الذي تعارف عليه الناس أصبح حقيقة واقعة بالنسبة اليه ، وانه أمر لايتجاوزه هو ، فعليه أن يشمر للهرب ، ويستعد للخلاص ، لان الشر سرف لايتعداه وأنه سيكون المستهدف . وهي نظرة تشاؤمية أصبحت تحدد من خلالها أعماله وحركاته وعلاقاته ، وأصبح لايتحرك إلا في اطارها ، خالصة ، ولا يعمل إلا في حدود تصورها المقيت ، وهو اطار قاتل وحدود ضيقة تفرض على صاحبها الافق المظلم ، وترسم له الابعاد الحادة المؤذية .

ان سمة الخوف المتجسدة ، وطبيعة التصور لهذه الظاهرة جعلته يبعد في الهرب من الناس ليكون في منأى عن أذاهم ، ويترك الفتهم ، ويألف بدلا عنهم الذئاب التي وجد عندها

(١١) القطعة رقم (١١) .
(١٢) القطعة رقم (٢١) .

صحبة خيرة ، وصداقة كريمة . وحديث عبيد عن الذئب ، ــ وهو الحيوان المعروف بشراسته وخبثه وفتكه ، وحديثه عن قدرته على أن يكون خدناً له ، وقريباً منه ، إذا عوى استجاب لسجع عوائه ، وفي حرصه على استخدام سجع عوائه دلالة الاستجابة الحريصة على اطلاق لفظة السجع على العواء لاحساسه القريب بترنيم العواء ، وعمق أثره في نفسه وطربه للاستماع اليه ــ إن هذا الحديث الذي يدل على الالفة الحقيقية التي تمكن الشاعر من هذا الحيوان الغادر ، وتمنحه الفرصة للغدر به ، لها دلالة كبيرة في نفسه ، وله أكثر من معنى في حياته الحافلة بالبؤس ، المليئة بالغدر ، المضطربة بأحاسيس الترصد والترقب والحذر . في هذا الوقت الذي يمكنه الحيوان الشرس من نفسه ، لم يجد الشاعر انساناً واحداً يأتمنه ، أو صاحباً واحداً يركن اليه ولا يرتاب منه ، وفي هذا الصراع الحاد الذي يعتمل في نفسه وهو يعاني الغربة الحقيقية بين أبناء جنسه ، غربة النفس ، وغربة الحياة ، وغربة الشعور بعدم التوافق .
يؤكد الصحبة الخالصة للذئب والصداقة اللازمة فيقول(١٣) :

أراني وذئب القفر خدنين بعدما
تداني كلانا يشمئز ويذعـــــر
إذا ما عوى جاوبت سجع عوائهِ
بترنيم محزون يموت وينشـرْ
تذللته حتى دنا والفتـــــه
وأمكنني لو أنني كدت أعذر
ولكنّني لم يأتَمِني صَاحِـبٌ
فَيَرتابُ بي مـا دامَ لا يَتَغَيّـرُ

ويقول في قطعة أخرى(١٤) :

عَـلامَ ترى ليلى تُعَذّبُ بالمُنى
أخـا قَفْـرةٍ قد كادَ بالغولِ يأنس
واضحى صديق الذئب بعد عداوة
وبغْضٍ وربّتهُ القِفـار الأمالِـس

(١٣) القطعة رقم (١٠) .
(١٤) القطعة رقم (١٥) .

ويكرر صحبته الذئب والغول في قطعة ثالثة فيقول(١٥) :

تَقولُ وقـد ألممت بالأنسِ لمّـة
مُخضَّبةُ الأطرافِ خرس الخلاخـلِ
أهـذا خَليلُ الغولِ والذئبِ والذي
يَهيمُ بربات الحِجالِ الكَواهـلِ

أما الغول فهي رفيقة أخرى من رفاقه ، وخليلة ثانية من خليلاته ، لاتعادلها رفقة ولا تساويها صحبة ، فهي الصاحب في القفر لمن بات خائفاً يتقتّر في الاقتراب من البشر ، حتى إذا تغنت بلحنها — يؤكد تغنيها — وأوقدت نيرانها حوله ، آنس بها ، وألفها ، وعقدت بينهما الصلات الوثيقة ، والعهود الأمينة . وقد أدرك الغول إخلاص الشاعر ، وعلم طويته فأمنه ، وأمن صحبته ، فعاشا إلفين ، لايعرفان للغدر مكاناً ، ولا يدركان للخيانة موضعاً . وهو ينطلق في هذه الصيحة من إعجابه الحقيقي وإحساسه الأصيل بسلامة الصحبة ، وإخلاص الرفقة فيقول(١٦) :

فَللهِ دَرُّ الغـولِ أي رَفيقـةٍ
لِصاحِـبِ قَفْرٍ خائِـفٍ يتَقَتَّـرُ
تَغَنَّت بلحنٍ بعدَ لحنٍ وأوقدَت
حَواليَّ نيرانـا تَبُـوحُ وتَزهـرُ
أنِسْتُ بهـا لما بَدَت وألِفتُهـا
وحتى دَنَـت والله بالغَيبِ أبْصَـرُ
فَمَمّـا رأت ألا أهـال وانّنـي
وقُـورٌ إذا طـارَ الجَنـانُ المَطيـرُ
دَنَت بعـدَ ذاكَ الروعِ حتى ألِفتها
وصافَيتُهـا والله بالغَيـبِ أخْبَـرُ

وكذلك الجن وأحاديثهم ونسبته إليهم فقد أخذت مساحة واسعة من شعره فتحدث عنها باسهاب ، وأشار إلى صلاته بها إشارات كثيرة تدل على الاقتناع الوجداني بهذا التصور ،

---

(١٥) القطعة رقم (٢٠) وتنظر القطعة رقم (٢٨) .

(١٦) القطعة رقم (١٠) .

والاقتناع الحسي بما يوحيه هذا التصور في نفسه وما يثيره من خيالات حالمة في أفكاره ، ولعل القدرة البارعة في تصوير ذلك وما يرافق هذا الحديث من وساوس وأوهام ، أقول لعل ذلك وحده يكون كافياً في إظهار قدرة هذا الشاعر على التصوير ووضعه في المكان الذي وضع فيه الشنفرى وتأبط شراً وبقية الصعاليك الذين حفلت أشعارهم بأمثال هذه الأخبار لأنه وقع في إطار الظروف النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي وقع فيه اولئك الصعاليك فكانت الصور قريبة والمعاني متدانية والأساليب متواصلة . وأشكال التعبير ووحدات الإحساس وتركيب الهواجس تكاد تأخذ نمطاً واحداً وطريقة متماثلة . وهي مجال دراسي واسع لمن أراد أن يقف عند هذا الفن الشعري المتطور الذي امتدت أصوله عند مجموعة كبيرة من الشعراء في العصور التي تلت العصر الجاهلي(١٧) .

وعبيد ـ كما يشير في أشعاره ـ أخو قفرات ، أكل عروق الشري ، والتوى بحلقه نور القفر ، ولاقت منه السباع البلايا ، والغيلان الدواهي ، وأذاق بعضهن المنايا بأسهمه ، وبعضهن قددن لحمه ، وامتشقن أرديته ، وقد برى جسمه طول السرى في المخاوف ، فضؤل جسمه ، وضمر شخصه ، وأصبحت البيد ترمي به القفار تراميا ، ففي أبيات يذكر(١٨) ...

عَـلامَ ترى ليلى تُعَـذّبُ بالمنى
أخـو قَفْـرةٍ قـد كادَ بالغولِ يأنسُ

وفي أبيات أخرى يقول (١٩) :

أخـو قَفَـراتٍ حالف الجن وانتحى
عن الأنسِ حتى قَـد تقضت وسائله

ويؤكد المعنى في أبيات ثالثة فيقول(٢٠)

كأني وآجـالُ الظبـاءِ بقَفْـرة
لَنـا نَسَبٌ نَرعـاهُ أصْبحَ دانيـا

---

(١٧) في دراسة بسيطة لمقارنة بين هذا الشاعر والشعراء الآخرين من الصعاليك تبرز الملامح الواضحة والمعاني التي تناولها كل منهم من ناحيته الحسية .

(١٨) القطعة رقم (١٥) .

(١٩) القطعة رقم (١٨) .

(٢٠) القطعة رقم (٢٨) .

أَلا يا ظِبـاءَ الوحشِ لا تشْهَرنّني
واخفِينَنّي إذ كنتُ فيكُـنّ خافِيـا
أَكانَتْ عُروقَ الشري معكن والنوى
بحاقي نُـورُ القَفـرِ حتى ورانِيـا
ومنهُنّ قد لاقَيتُ ذاك فلم أكُـن
جبَانـا إذا هَـولُ الجبـانِ اعترانيـا
أذَقْتُ المنايا بَعضَهن بأَسهُمي
وقَدّدنَ لحمي وامتَشَقْنَ رِدائيـا

ولابد أن تتوطد بعد كل هذه الإلفة أواصر الصداقة ، وتنعقد أحلاف الود ، ويسود جو المحبة والصفاء بينه وبين هذه الحيوانات التي لم تعرف يوماً الالفة مع البشر ولكنها – وكما يقول عبيد – اطمأنت إليه ، ووجدت فيه إنساناً يرتبط معها بالنسب ، ويتفق معها في المصير المهدد من بني البشر .. وكان يحاول أن يؤكد حقيقة الحلف معها أولا ومع السلاح الذي يدفع به أذى الناس عن نفسه وكان يردد ذلك فيقول(٢١) :

وحالَفْتُ الوُحوشَ وحالَفَتني
بِقُربِ عُهُودِهِنّ وبالْبِعـادِ
وأمسى الذئبُ يَرصُدُني مُخشّاً
لِخِفّةِ ضربتي ولِضَعْفِ آدي
وغولا قَفْرةٍ ذكر وأنثى
كأَنّ عليهِما قِطَعَ البِجـادِ

ويذكر محالفة السلاح فيقول (٢٢)

أَلم ترَني حالَفْتُ صفراءَ نبعة
تـرنُ إذا ما رعتُهـا وتُزَمْجِـرُ

---

(٢١) القطعة رقم (٨) .

(٢٢) القطعة رقم (١٠) .

ويؤكد محالفة السلاح في قطعة اخرى (٢٣)

ألم ترني حالفت صفراء نبعة
لها ربذي لم تثلم معابله
وطالَ احتضاني السيفَ حتى كأنهُ
يناط بجلْدي جفنه وحمائلهُ

إن هذه الإلفة التي شدت أواصرها ، والصحبة التي انعقدت مع هذهَ الحيوانات جعلته يقطع الوادي المخوف الذي لاتقطع فجاجه بركب ، ولاتمشي فيه الرواحل . ولابد أن يثير في نفسه هذا التفرد والا بتعاد عن الأهل – في كثير من الأحيان – دواعي الحنين ، ويفجر نوازع الشوق ، ومواطن الغربة ، ولواعج الحب ، حتى أصبح الشوق والحنين ظاهرة أخرى من ظواهر شعره ، يعبر عنها بحرارة ، ويتعامل معها بعطف . ويحدد آثارها في نفسه بقدرة متمكنة توحي بعمق أصولها وأصالة تأثيرها(٢٤) .

ألمْ خيال من أميْمَة طارِق
وقد تليت منْ آخرِ الليلِ غُبَّر
فيا فرحاً للمُدْلجِ الزائرِ الذي
أتاني في ريطاتهِ يَتَبَخْتَرُ
فَسرْتُ وقلْبي مقصد للذي بهِ
وعَيني أحْياناً تَجمُّ فَتَغْمرُ
إلى ناعجٍ أمَّا أعالي عظامهِ
فَشُمٌ وسُفلاها على الأرضِ تمهرُ
فقلتُ لَهُ قولا وحادثتُ ندَّهُ
بأعْوادِ ميسٍ نقشَهُنَّ مُحبرُ
أيا جَمَلي إنْ أنتَ زُرْتَ بلادَها
برحلي واجلادي فأنت محرر
وكَيْفَ ترجيها وقد حالَ دونَها
منَ الأرضِ مخشي التَنائفِ مذعر

(٢٣) القطعة رقم (١٨) .

(٢٤) القطعة رقم (١٠) :

وأنتَ طَريـدٌ مستمر بقَفْـرةٍ
مـــراراً وأحْياناً تَصـــبُ فتَظْهَـرُ

فَيـاليتَ شعري هَـلْ يعودنْ مربع
وقيظ بأكنـافِ الظليفِ ومحضَـــرِ

أما حبه للأرض وتعلقه بالوطن ورغبته في الوقوف على أرضه فهي رغبة أخرى كان يعاني منها معاناة أليمة ، ويتحسس لواعجها بصمت رهيب ، ويذكر تشوقه إليها ذكرا تصاحبه اللوعة ويخالطه الحرمان(٢٥) .

ولو كنتُ لا أخْشى سوى فرد معشر
لَقَرَّ فؤادي واطمَأَنَتْ بلابله

وسرت بأوطاني وصرتُ كأنني
كَصاحب ثقل حط عنهُ مثاقله

لقد تتبعت قصائده المتناثرة وأبياته المفردة تتبعاً دقيقاً ، وحاولت قراءتها قراءة فاحصة فوجدت في شعره ظاهرة الخوف متمثلة في اختيار ألفاظه ، واستعمال تراكيبه فهو يكرر ألفاظ (الخوف) ، وما اشتق منها و(الريبة) ، و(الحذر) و(الذعر) و (الروع) و(الخشية) وهي ظاهرة تعكس مدى تغلغل هذه الألفاظ في نفسه ، ومدى تأثره بها ، وسيطرتها عليه وتوقعه لاحداثها بشكل مرعب . أما الجانب الاسلوبي الآخر . فهو تكرير استخدامه لعبارات (القفر) و (ذئب القفر) و (الوحش) و (العواء) و (الفة الحيوان) و (رفقة الغول) والتغني بأصوات الجن ومحالفتها و (تكليم الحيوان) و (أكل عروق الشري) وغيرها من العبارات التي توحي بطول بقائه مفردا ، وترامیه في البيد ، وتربيته التي كانت عمادها القفار الخالية . وإلى جانب هذين الجانبين يبرز جانب آخر ، ولعله هو الأهم من الجوانب الأخرى متمثلا في استخدام عبارة (العدو) و (الأعداء) و (الاطمئنان) و (الامن) و (محالفة القوس) و (احتضان السيف) واستخدام عبارة (الفتى) و (الفتيان) و (الفتية) . هذه الألفاظ التي كانت تؤدي المضمون الحقيقي الذي كان يختفي وراء الخوف والتفرد والاضطراب

(٢٥) القطعة رقم (١٨) .

النفسي . وقد كانت آثاره تبدو عنيفة عندما يجد نفسه قد حرم من لذة الرقاد . وأصبح طريداً تتراءى له الأشياء مخيفة مرعبة ، وتتصور له الملامح حقائق مفزعة ، وهنا يعود إلى نفسه الضائعة ، ووجوده المبعثر ، وحياته المتناثرة يستمد منها النهاية التي اختارها لنفسه ، أو اضطر إلى اختيارها ، وهي نهاية مؤلمة ، تشرق من خلالها قسمات شعره وقد تلونت بلون باهت من الزهد ، وطبعت بمسحة خفيفة من مسحات الصوفية فتجعله يفزع إلى الله تائباً وداعياً ، وتتعالى صرخته وقد امتلأت تضرعاً ، وتفجرت احساساً بالتوبة والعودة (٢٦) ..

١ — يارب قد حلف الاعداء واجتهدوا
ايمانهم أنني من ساكن النـار

٢ — أيحلفون على عمياء ويحهم
ما علمهم بعظيم العفو غفار

٣ — أنا الغلام عتيق الله مبتهل
بتوبة بعد املاء وامرار

٤ — خليت بابات جهل كنت أتبعها
كما يودع سفر عرصة الدار

انها صرخة توحي بالنهاية المؤلمة التي انتهت اليها حياته بين جان ومجني عليه ، وإذا قدر له أن يتخذ من الموجودات التي احاطت بحياته الجديدة بعض المظاهر الانسانية المؤقتة فهي لم تكن حياة مألوفة ودائمة ، وان طبيعته الانسانية كانت تحدد موقعها بالنسبة لهذه الأشياء تحديداً مؤقتاً لتدخل إلى نفسه قدرة القناعة التي تفرضها عليه هذه الحياة الطارئة ، حتى إذا استفاق ادرك الجوهر الحقيقي لهذه الطبيعة عاد إلى ثوابه ، وأدرك ان حياته التي يجب ان يحياها لم تكن هذه ، وإنما حياة تعلو عنها بشكلها وحجمها وترتفع عنها بما تحمله من مظاهر (٢٧) ..

اني لأعلم أني سوف يتركني
صحبي رهينة ترب بين أحجار

---

(٢٦) القطعة رقم (١٣) .

(٢٧) القطعة رقم (١٣) .

فرداً برابيةٍ أو وسط مقبرة
تسفي علي رياح البارح الذاري

ويؤكد بعض هذه المعاني في أبيات أخرى فيقول(٢٨) ..

ان يقتلوني فآجال الكماة كما
خبرت قتل وما بالقتل من عار

وان نجوت لوقت غيره فعسى
وكل نفس إلى وقت ومقدار

اني لأرجو من الرحمن مغفرة
ومنة من قوام الدين جبار

وهو لايترك الحجة التي يحتج بها والدليل الذي يثبت براءته ، وهو لايطلب إلا قليلا من طعم الأمن الذي أصبح حاجة ملحة بالنسبة اليه ، يبغيه بكل ما يستطيع من مشاعر، ويسعى اليه بكل وسيلة(٢٩) .

أذقني طعم الأمن أو سل حقيقة
علي فان قامت ففصل بنانيا

خلعت فؤادي فاستطير فأصبحت
ترامى بي البيد القفار تراميا

ان هذه المقطعات القصيرة والمتناثرة والمتباعدة من شعر عبيد تكشف بشكل قاطع بعض خصائصه الشعرية ، ولابد ان تكون اشعاره الضائعة وقصائده التي لم أعثر إلا على بيت أو أبيات منها تمثل تياراً شعرياً متميزاً وقد وجدنا من خلال الاشارات المتباعدة التي اهتدينا اليها من خلال البقية الباقية من الشعر ان هذا التيار كان جزء من الحركة الشعرية الجديدة التي لم تلتزم بالبناء الفني للقصيدة العربية ، فهو لم يلتزم بالوقوف على الطلل لأن طبيعة حياته المشردة ، وتنقله المستمر طالبا للأمن ، وتلهفه لتذوق طعم الراحة ، وترقبه الواعي خشية الوقوع في شباك المطاردين ، كان يحول دون الاهتمام بالبناء الشعري ،

(٢٨) القطعة رقم (١٣) .
(٢٩) القطعة رقم (٢٨) .

فالشاعر يقول شعره تلبية لنداء الحاجة الملحة ، واستجابة لدواعي الظرف الحياتي الذي يتملكه لحظة قول الشعر . وهو لم يجد الفرصة الكافية لوضع التوطئة الشعرية التي تعارف عليها الشعراء ليدخلوا إلى غرضهم الشعري ، وهي طبيعة شعرية مألوفة عند هؤلاء الشعراء، وهو شاعر لم يستخدم التراكيب التي ألفها الشعراء التقليديون ، لأن الشعر عنده أصبح حاجة ، يعبر فيها عن نفسه ، ويستبطن في أبياته دواخلها الحزينة وأحاسيسها المذعورة، ولهذا كان بعيداً عن القالب الشعري الجامد ، وبعيداً عن العبارة الأدبية الجاهزة ، ولكننا نجده شاعراً ملتزماً بالبحور المألوفة وان كان البحر الطويل هو البحر الغالب على شعره.

لقد استطعت أن أجمع له حوالي مائة وسبعين بيتاً من الشعر توزعت بين ثلاثين قطعة وبيت ، وهي مجموعة قليلة ولكنها كانت اشارات توشك ان تكون واضحة في تحديد معالم حياته ، أما المراجع التي عرضت له فهي تكتفي بسرد ما يحدد عصره فهو شاعر اسلامي ، ولكنها تغفل عن محيطه القريب ، وعائلته التي ينتمي اليها ، وحياته الأولى ، ولكنها وكما اسلفت تبدأ من ارتكابه للجناية التي غيرت سلوكه فأصبح طريداً . ثم تنتقل إلى الحديث عن حياته المشردة وما يصادفه فيها من مصاحبة الغول والذئب ، وما يخبر في شعره عن مرافقة السعلاة ومباتة الذئاب والأفاعي أو مصاحبة الوحوش ، واستئناسه بها . وتكتفي بسرد الأبيات التي تدلل فيها عن كل ظاهرة من هذه الظواهر . وقد استطعت أن أهتدي إلى أنه اموي وانه يفخر بانتمائه إلى قومه ويبدي ضروبا من الشجاعة ويعتد بهذه الضروب التي يتحدث عنها(٣٠) ..

تَعُود منْ آبائه فَتَكاتِهم
واطْعَامهم في كُل غبراء شَامل

وهو يحدد قدرته على القتال وشجاعته منذ ان كان ابن عشرين وقد أكد ذلك في قوله(٣١)

فما زلت مذ كنت ابن عشرين حجة
أخا الحَرب مجنَّياً علي وجَانيَا

وينفرد صاحب منتهى الطلب بثلاث قصائد وقطعة واحدة وردت في بعض المصادر بعض أبياتها ولكنها لم ترد كاملة إلا فيه وهي تشكل أكثر من ثلث الشعر الذي عثرت عليه . أما الجاحظ فيعد المرجع الثاني الذي يمدنا بشعر هذا الشاعر فقد ضم كتابه الحيوان

---

(٣٠) القطعة رقم (٢٠) .

(٣١) القطعة رقم (٢٨) .

ما يقارب ثلث المقدار الذي عثرت عليه موزعاً بين أجزائه الثلاثة الثالث والخامس والسادس وينفرد في البيان والتبيين ببيتين لم أجدهما في مصدر آخر . وينفرد ياقوت في بلدانه باثني عشر بيتاً ، أما ابن قتيبة فيذكر اثنين وعشرين بيتاً وصاحب مجموعة المعاني ينيف على العشرين وأقل منه البحتري في حماسته وهي أبيات تذكر في مراجع مختلفة وقد حاولت ان اثبت بعض روايات الاختلاف في هوامش الأبيات ، ولم احاول شرح مفرداتها لسهولة ألفاظه ..

ان طبيعة البحث العلمي تفرض علي أن أشكر الأستاذ محمد جبار المعيبد الذي قدم لي ما توفر له من أشعار عبيد لأنه كان مهتما بشعر اللصوص فله أكرم الشكر وأجزل الثواب ، كما اقدم شكري للأخ صالح محمد خلف الذي كان يبحث معي في بطون المصادر لاقتناص أبياته والاهتداء إلى مواضع شعره فله شكري وامتناني . وأدعو الله العلي القدير أن يوفق العاملين لخدمة التراث ففي احيائه احياء للامة وفي نشره خدمة للأجيال وصلة بالماضي وامتداد للمستقبل .

(١)

قال عبيد بن ايوب احد لصوص بني العنبر بن عمرو بن تميم .

(من الطويل)

١ ـ لقد أوقع البقال بالفقي وقعة
سيرجع ان ثابت اليه جلائبه

٢ ـ فإن يك ظني صادق بابن هانيء
وأيامئذ ترحل لحرب نجائبه

٣ ـ أيا مسلم لاخير في العيش او يكن
لقُرّان يوم لاتوارى كواكبه

(٢)

وقال المبرد : انشدني رجل من بني العنبر ، اعرابي فصيح ، لعبيد بن ايوب العنبري .

---

١ ـ في مروج الذهب ١٢٧/٢ رأيت مارأت عيني
٢ ـ في مروج الذهب ١٣٧/٢ أبيت بسعلاة

(من الطويل)

١ ـ كأني وليلى لم يكن حل أهلنا
بواد خصيب والسلام رطاب

(٣)

وقد فرق بين الغول والسعلاة حيث يقول :

(من الطويل)

١ ـ وساخرة مني ولو أن عينها
رأيت ما ألاقيه من الهول جنت

٢ ـ ازل وسعلاة وغول بقفرة
اذا الليل وارى الجن فيه أرنت

(٤)

كان عبيد بن ايوب العنبري يتحدث الى امرأة من بني ضبة يقال لها بثينة فضرباه ابنا حبيب الضبيان فقال :

(من الطويل)

١ ـ بأي فتى يا ابني حبيب بللتما
اذا ثار يوماً للغبار عمود

٢ ـ بمنخرق السربال كالسيدلايني
يقاد لحرب أو تراه يقود

٣ ـ فلولا رجال يامنيع رأيتهم
لهم خلق عند الجوار حميد

٤ ـ لنالكم مني نكال وغارة
لها ذنبٌ لم تدركوه بعيدُ

٥ ـ أقل بنو الانسان حين عدوتم
على من يثير الجن وهي هجود (١)

٦ ـ أيا أبرقي مغنى بثينـة أسعدا
فتى مقصدا بالشوق فهو عميـد

٧ ـ ليـالي منا زائـر متـهـالك
وآخر مشهور ففيـه صدود

٨ ـ على أنه مهدي السلام وزائر
إذا لم يكن ممن يخاف شهود

٩ ـ وقد كان في مغنى بثينة لو بدت
عيون مهاً تبدو لنـا وخـدود

(٥)

وقال عبيد بن أيوب بن ضرار العنبري

(من الطويل)

١ ـ ولو لم يقنع عند أيمـات خاله
لعـض به ماه الذبـاب حـديد

(٦)

وقال عبيد بن أيوب :

(من الطويل)

١ ـ سأبكي حصينا مـا تغنى حمائم
وأبكي حصيناً والحمائم هجـدُ

٢ ـ لقد هدموا قدرا جماعا وجفنة
بواري سديف الشول كانت تشيد

---

(١) اقل بنو انسان : أي اقل بنو آدم إذا صنعتم بنا ماصنعتم :

٥ ـ في زجر النابح /١٠١ اقل بنو الانسان حتى عمدتم إلى من يثير

٧ ـ في مصارع العشاق ٢٠٤/١ وآخر مشهور كواه صدود

٩ ـ في مصارع العشاق ١/ ٢٠٤ .. بثينة لورنت ...

٣ — وقد عاش محمودا واصبح فقده
على الأقربين والعدى وهو أنكد

(٧)

وقال عبيد بن أيوب :

(من الوافر)

ظللت وناقتي نضوي فلاة
كفرخ الضب لا يبغي ورودا

(٨)

وقال ابو المطراب عبيد بن ايوب العنبرى :

(من الوافر)

١ — وحالفت الوحوش وحالفتني
بقرب عهودهن و بالبعاد

٢ — وأمسى الذئب يرصدني مخشا
لخفة ضربتي ولضعف آدي

٣ — وغولا قفرة ذكر وأنثى
كأن عليهما قطع البجاد (١)

(١) جعل في الغيلان الذكر والانثى مع العلم أن أكثر كلام الشعراء كان يجري على أنه انثى .

(٩)

(من الطويل)

١ — ألا ليت شعري هل تغير بعدنا
عن العهد قارات الظليف الفوارد

٢ — وهل رام عن عهدي وديك مكانه
إلى حيث يقضي سيل ذات المساجد

١ — في مروج الذهب ٢/ ١٣٦ وحالفني الوحوش على الوفاء وتحت عهودهن .
٣ — في مروج الذهب ١٣٦/٢ وغولا قفرة ذكراً وانثى . .

(١٠)

وقال عبيد بن ايوب العنبري ، وهو من اللصوص :

(من الطويل)

١ ـ أراني وذئب القفر خدنين بعـــدما
تدانى كلانـــــا يشمئز ويذعــرُ

٢ ـ اذا ماعوى جاوبت ســـجع عوائه
بترنيم عـــزون يمــوت وينشـــر

٣ ـ تذللته حتى دنـــــا وألفتــــه
وأمكنني لو أنني كنـــــت أغـدر

٤ ـ ولكنني لم يأتمني صـــــاحـــب
فيرتـــاب بي مـــادام لايتغير

٥ ـ فلله در الغـــــول أي رفيقـــة
لصاحب قفــــر ، خائف ، يتقتر

٦ ـ تغنت بلحن بعد لحن وأوقــــدت
حوالي نيرانـا تبـــوخ وتزهـر(١)

٧ ـ أنست بها لما بـدت وألفتهـــا
وحتى دنت والله بالغيب أبصـــر

٨ ـ فلما رأت ألا أهـــال وأننـــي
وقور إذا طـــار الجنـــان المطير

---

(١) تذكر الاعراب أن الغول توقد ناراً بالليل للعبث والتخييل واضلال السابلة .

---

١ ـ في الحماسة البصرية ٢٩٨/٢ . . بدأنا كلانا
٣ ـ في الحماسة البصرية ٢٩٩/٢ تذللته لما عوى
٥ ـ في حيوان الجاحظ ١٢٣/٥ وفي ديوان المعاني ١١٣/١ خائف متقفر ، ومتقتر في الحيوان ٢٥١/٦ ، وفي الشعر والشعراء / ٦٨٨ ، وفي شرح نهج البلاغة ٤٤٦/٤ خائف يتستر ، وفي مروج الذهب ١٣٧/٢ حالف وهو معبر وهو وهم .
٦ ـ ورد في بعض المصادر .. أرنت بلحن وفي مروج الذهب ٢ /١٣٧ . تلوح وتزهر .
وفي اللسان (لحن) انتني بلحن
٨ ـ في اللسان (لحن ..) شجاع إذا هز الجبان

٩ ـ دنت بعد ذاك الـــروع حتّى ألفتها
وصافيتها والله بالغيب أخبــر

١٠ ـ ألم ترني حالفت صفراء نبعـــة
ترن اذا ما رعتها وتزمجر

١١ ـ تزمجر غيري أحرقوهـا بضرة
فباتت لها تحت الخباء تذمر

١٢ ـ لها فتية ماضون حيث رمت بهم
شرابهم غال من الجوف أحمر

١٣ ـ اذا افتقرت راشتهم بغناهـم
عطاء لهم حتى صفا مايكدر

١٤ ـ ألم خيال من أميمـة طارق
وقد تليت من آخر الليل غبر

١٥ ـ فيا فرحا للمدلج الزائر الذي
أتاني في ريطاته يتبختر

١٦ ـ فشرت وقلبي مقصد للذي به
وعيني احيانا تجم فتغمر

١٧ ـ إلى ناعج أما أعالي عظامه
فشم وسفلاها على الارض تمهر

١٨ ـ فقلت له قولا وحادثت شده
بأعواد ميس نقشهن محبر

١٩ ـ أيا جملي ان أنت زرت بلادهـــا
برحلي وأجلادي فأنت محرر

٢٠ ـ وهل جمل مجتاب ما حال دونها
من الارض أو ريح تروح وتبكر

٢١ – وكيف ترجيها وقد حال دونها
من الارض مخشي التنائف مذعـــــر

٢٢ – وأنت طريد مستسر بقفرة
مرارا واحيانا تصب فتظهر

٢٣ – فياليت شعري هل يعودن مربع
وقيظ بأكناف الظليف ومحضر

٢٤ – أقاتلتي بطالة عامرية
بأردانها مسك ذكي وعنبر

(١١)

وقال عبيد بن ايوب :

(من الطويل)

١ – لقد خفت حتى خلت أن ليس ناظر
إلى أحد غيري فكدت أطير

٢ – وليس فم الا بسري محـــدث
وليس يـــد الا الي تشـــير

(١٢)

قال عبيد بن أيوب اللص :

(من الطويل)

١ – لعمرك اني يوم أقــــواع زلفـــة
على ماأرى حلف القنـــا لوقور

٢ – أرى صارما في كف اشمط ثائر
طوى سره في الصدر فهو ضميـــر

(١٣)

وقال عبيد بن أيوب : (من البسيط)

١ – ليت الـذي سخــرت مني ومن جملي
ذاقت كما ذقت من خوف وأسفار

٢ ــ ومن طلاب وطلاب ذوي حنــق
يرمون نحوي من غيظ بأبصار

٣ ــ أما تريني وسربالي يطير كما
طارت عقيقة قرم غير خوار

٤ ــ ان يقتلوني فآجال الكماة كما
خبرت قتل وما بالقتل من عار

٥ ــ وان نجوت لوقت غيره فعمى
وكل نفس الى وقت ومقدار

٦ ــ يارب قد حلف الاعداء واجتهدوا
ايمانهم أنني من ساكني النار

٧ ــ ايحلفون على عمياء ويحهم
ماعلمهم بعظيم العفو غفار

٨ ــ اني لارجو من الرحمن مغفرة
ومنة من قوام الدين جبار

٩ ــ وما أخاف هلاكا بين عفوهما
وما يفوتهما المستوهل الشاري

١٠ــ اليهما منهما أنجو على وجل
كما نجا خائف خاش لآثاري

١١ ــ أنا الغلام عتيق الله مبتهل
بتوبة بعد احلاء وامرار

١٢ ــ خليت بابات جهل كنت أتبعها
كما يودع سفر عرصة الدار

١٣ ــ اني لاعلم اني سوف يتركني
صحبي رهينة ترب بين أحجار

١٤ ــ فردا برابية أو وسط مقبرة
تسفي علي رياح البارح الذاري

(١٤)

قال الجاحظ في الحيوان ١٦٥/٦ : قال عبيد بن ايوب وقد كان جوالا في مجهول الارض لما اشتد خوفه ، وطال تردده وأبعد في الهرب . وقال صاحب منتهى الطلب في الورقة /١١٥ ب : قال عبيد بن ايوب العنبري وهو من اللصوص : وقال بعد انتهاء الابيات كتب هذه القطعة لحسنها ولم تدخل في الاخبار .

(من الطويل)

١ – لقد خفت حتى لو تمر حمامة
لقلت عدو أو طليعة معشر

٢ – وخفت خليلي ذا الصفاء ورابني
وقيل فلان أو فلانة فاحذر

٣ – فأصبحت كالوحشي يتبع ماخلا
ويترك مأنوس البلاد المدعثر

٤ – اذا قيل خير ، قلت : هذي خديعة
وان قيل شر قلت : حق فشمر

---

١ – في حيوان الجاحظ ٢٤١/٥ وتطير . حمامة .
٢ – في حيوان الجاحظ ٢٤١/٥ وقلت فلانا ، وفي حماسة البحتري ٢٦٠ .. وقالوا فلان .. ، وفي مجموعة المعاني / ٧٧ فقال فلان ..
٣ – في حماسة البحتري /٢٦١ وفي مجموعة المعاني / ٧٧ ويترك موطوء البلاد . :
٤ – في حيوان الجاحظ ٢٤١/٥ فإن قيل . . قلت هذا ... قلت حقاً فشمر ، وفي حماسة البحتري /٢٦١ فمن قال خيراً .. ومن قال شراً قلت نصح فشمر ، وفي مجموعة المعاني /٧٧ فمن قال خيراً ومن قال شراً قلت ويك فشمر .

(١٥)

ومما قال عبيد بن أيوب :

(من الطويل)

١ – علام ترى ليلى تعذب بالمنى
أخا قفرة قد كاد بالغول يأنسُ

---

١ – في حيوان الجاحظ ١٦٨/٦ ..اخا قفرات كان بالذئب يأنس

٢ ـ وأضحى صديقُ الذئب بعد عداوة
وبغض وربته القفار الامالس
٣ ـ تقدد عنه واستطار قميصه
وقد يقمع الهندي والجفنُ دارس
٤ ـ يظل وما يبدو لشيء نهاره
ولكنما ينباع والليل دامس (١)
٥ ـ فليس بجنّي فيُعرَف شكلهُ
ولا أنَسِي تحتويه المجالس

(١٦)

وجاء في هامش الابدال لابي الطيب اللغوي ٢ / ٣٨٥ :
في كتاب الطير لابي حاتم رحمه الله : الرُّهْدُن والرُّهدُل والجمع الرهادن والرهادل : طائر في خلقة القنبرة ، أعظم منها وأضخم رأساً ، وقد قيل الرهدون ، وقال عبيد بن أيوب في رهدون كان لابنته فسرق .

(من الطويل)

١ ـ تبكي على الرُّهدون قد حال دونه
من القوم محني الشراسيف هبْلعُ

(١٧)

وقال عبيد بن أيوب العنبري في ذكر اليربوع :

(من الطويل)

١ ـ حملت عليها ما لو أن حمامة
تُحمّلُهُ طارت به في ا لجفاجف (٢)

---

(١) ينباع : ينطلق .
(٢) الجفاجف : جمع جفجف وهو الغليظ من الأرض .

---

٢ ـ في حيوان الجاحظ ٦/١٦٨ ، ٢٣٦
وصار خليل الغول بعد عداوة صفيا وربته القفار البسابس وفي شرح نهج البلاغة ٤٤٦ .
وصار خليل الغول بعد عرارة صفيا وربته القفار البسابس وقد أصاب عرارة التحريف
٤ ـ في حيوان الجاحظ ٦ / ٢٣٦..
يظل ولا يبدو .. ولكنه .
٥ ـ في حيوان الجاحظ ٦ / ٢٣٦ ..فليس .. فيعرف نجله ..

٢ – نطوعاً وانساعاً واشلاء مدنف
بري جسمه طول السرى في المخاوف (١)
٣ – فرحنا كما راحت قطاة تنورت
لأزغب ملقى بين غبر صفاصف
٤ – ترى الطير واليربوع يبحثن وطأها
وينقرن وطء المنسم المتقاذف (٢)

(١٨)

وقال عبيد بن أيوب :

(من الطويل)

١ – كأن لم أقد – سبحانك الله – فتية
لنادفع ضيماً ، أو لوصل نواصله
٢ – على علسيات كأن هيويها
هزيّ القطا الكدري نشت ثمائله(٣)
٣ – وفارقتهم والدهر موقف فرقة
عواقبه دار البلى واوائله
٤ – وأصبحت مثل السهم في قعر جعبة
نضياً فضى قد طال فيها قلاقله
٥ – وأصبحت ترميني العدى عن جماعة
على ذاك رام من بدت لي مقاتله

---

(١) علق ابن قتيبة على بيته هذا بقوله :وهو القائل في نحول جسمه .
(٢) يعني أنهما يبحثان في أثر خفها ملجأ يلجآن اليه . أما لشدة الحر ،وأما لغير ذلك .
(٣) العلسيات : ابل تنسب الى بني علس وهم بطن من بطون بني سعد .

---

٢ – في الشعر والشعراء ٤٦٠، ٦٧٠
رحيلا واقطاعا واعظم وامق برى جسمه
وفي رواية اضر به .
وفي الرسالة الموضحة /١٢٧ قطوعا وانساعا واعظم ناحل
اضر به طول الهوى والمخاوف

٦ — فمنهم عدو لي مخال مكاشح
وآخر لي تحت العضاة حبائله

٧ — وعادية تعدو علي كثيبة
لها سلف لا يندر القتل قاتله (١)

٨ — فناشدتهم بالله حتى أظلني
من الموت ظل قد علتني عوامله

٩ — فلما التقينا لم يزل من عديدهم
صريح هواء للتراب جحافله

١٠ — ولو كنت لأأخشى سوى فرد معشر
لقر فؤادي واطمأنت بلابله

١١ — وسرت باوطاني وصرت كأنني
كصاحب ثقل حط عنه مثاقله

١٢ — ألم ترني حالفت صفراء نبعة
لها ربذي لم تشلم معابله

١٣ — وطال احتضاني للسيف حتى كأنه
يناط بجلدي جفنه وحمائله

١٤ — أخو قفرات حالف الجن وانتحى
عن الأنس حتى قد تقضت وسائله

---

(١) كثيبة : قريبة .

---

١٢ — في الوحشيات ٣٠ والكامل ١ / ٢٩٥ .. لم تفلل معابله وفي مجموعة المعاني/٢٧
واسمر الا ما تجلل عامله

١٣ — في الوحشيات / ٣٠ والكامل ٢٩٥/١ ومجموعة المعاني /٣٧ والاشباه والنظائر
١ / ١١٩ كأنما يلاط بكشحي جفنه وحمائله

١٤ — في الوحشيات / ٣٠ اخو فاوات
وفي الحيوان ٦ / ٢٣٥ الجن وانتقى من الانس
وفي الكامل ١ / ٢٩٥ ومجموعة المعاني / ٣٧ اخو فاوات صاحب الجن
وفي الأشباه والنظائر ١ / ١١٩ اخو فلوات صاحب الجن وانتأى

١٥ ـ لـه نسب الانسي يعرف نجله
وللجن منه خلقـه وشـمـائلـه

١٦ ـ وجربت قلبي فهو ماض مشيع
قليل لخلان الصفـاء غـوائـلـه

١٧ ـ وسَـاخـرةٍ مني ولكـن تبينت
شمائل بسام عجال رواحـلـه

١٨ ـ قليـل رقاد للعين تراك بلـدة
إلى جوز أُخرى لا تبن منـازله

١٩ ـ على مثل جفن السيف يرفع آلهُ
مصاصات عتق وهو طاو ثمائله (١)

٢٠ ـ وواد مخوف لاتسار فجـاجه
بـركب ولا تمشي لديه اراحله (٢)

٢١ ـ به الأسد والاسباد من علقت به
فقد ثكلته عنـد ذاك ثـواكـلـه

٢٢ ـ تباشرن بي لما برزت لـعـادة
تعودتها والعـاد جـم خـوابـلـه

٢٣ ـ فقلت تنكبن الطريق لمختـط
أخي شقة غول على من ينازلـه

٢٤ ـ فكلمت من لم يـدر مـا عربية
ومن عاش في لم الانيس اشابله (٣)

---

(١) المصاص : الخالص من كل شيء .
(٢) اراحل : جمع رحل ، وهو جمع لم أجده في لسان العرب
(٣) اشابل : جمع شبل وهو جمع لم أجده في لسان العرب .

---

١٥ ـ في الوحشيات /٣٠ والكامل ١ /٢٩٥ والأشباه والنظائر ١ /١١٩ ومجموعة المعاني /٣٧ يعرف نجره ...

٢٥ ـ فلما التقينا خام منهـن خـائم
وآخر ذو طير تحوم حواجـلـه

٢٦ ـ فما رمت جوف الغيل حتى الفته
واعجبني اسرابـه ومـداخـلـه

٢٧ ـ فإني وبغضي الانس من بعد حبها
ونأيي ممن كنت ما أن أزايـلـه

٢٨ ـ لكالصقر جلى بعدما صاد قنية
قديرا ومشويا ترف خرادلـه (١)

٢٩ ـ أهابوا بـه فازداد بعداً وهاجه
على النأي يوماً طل دجن ووابله (٢)

٣٠ ـ أزاهدة في الاخـلاء ان رأت
فتى مطردا قد اسلمته تبائله (٣)

٣١ ـ وقد تزهد الفتيان في السيف لم تكن
كهاما ولم تعمل بغش صياقـلـه

٣٢ ـ فلا تعترض في الأمر تُكفي شؤونه
ولا تنصحن إلا لمن هـو قابـلـه

---

(١) وقوله كالصقر جلى ، تأويل التجلي أن يكون يحسن شيئاً فيتشوق اليه ،وقوله قديراً ، هو ما يطبخ في القدر ، وقوله خراداله يعني قطعه .

(٢) أهابوا به : دعوة

(٣) التبل : العداوة .

---

٢٧ ـ في الوحشيات /٣٠ اني .. من بعد حبهم وصبري عمن وفي الكامل ١/ ٢٩٥
فاني وتركي الانس من بعد حبهم وصبري عمن

٢٨ ـ في الوحشيات / ٣٠ والكامل ١ / ٢٩٥ .. قديرا ومشويا عبيطا

٢٩ ـ في الوحشيات / ٣٠ على النأي منه صوت رعد ووابله
وفي الكامل ١ / ٢٩٥ بعدا وصده عن القرب منهم ضوء برق ووابله

٣٣ ــ ولا تخذل المولى إذا مـا ملمة
ألمت ونازل في الوغى من ينازله

٣٤ ــ ولا تحرم المرء الكـريم فإنـه
أخوك ولا تدري لعلك سـائلـه

---

٣٤ ــ في حماسة ابي تمام (التبريزي) ٣ / ٩١ . ولا تحرم المولى الكريم ..

(١٩)

قال عبيد بن أيوب يذكر الفرود .

(من الطويل)

١ ــ ولو أن قارات حوالي جلاجل
يسمين سلمى والفـرود وحومـلا

٢ ــ يوازن ما بي من هوى وصبابة
لكان الذي ألقى من الشـوق أثقلا

(٢٠)

ومما ذكر فيه الغيلان قول عبيد بن أيوب :

(من الطويل)

١ ــ تقول وقد ألممت بالانس لمة
مخضبة الاطراف خرس الخلاخل

٢ ــ أهذا خليل الغول والذئب والذي
يهيم بربات الحجال الـكواهـل

٣ ــ رأت خلق الادراس أشعث شاحبا
على الجدب بساما كريم الشمائل

---

١ ــ في الحماسة البصرية ١ / ١١٠ ألممت بالجن لمة .

٢ ــ في حيوان الجاحظ ٦ /٢٥١ ، وفي الشعر والشعراء / ٦٦٩ وشرح نهج البلاغة ٤٤٦/٤ الحجال الهراكل ، وفي الحماسة البصرية ١ /١١٠ أهذا خدين الذئب الحجال البحادل وفي مجموعة المعاني / ٩٠ الحجال البحادل

٣ ــ في المختار من شعر بشار / ٣٢ ، وفي الحماسة البصرية ١ / ١١٠ ، وشرح نهج البلاغة ٤٤٦/٤ ومجموعة المعاني /٩٠ خلق الدرسين أسود شاحبا من القوم بساما ..

٤ – تعود من آبائه فتكاتهم
واطعامهم في كل غبراء شامل
٥ – إذا صاد صيداً لفه بضرامه
وشيكا ولم ينظر لنصب المراجل
٦ – ونهسا كنهس الصقر ثم مراسه
بكفيه رأس الشيخة المتمايل
٧ – إذا ما أراد الله ذل قبيلة
رماها بتشتيت الهوى والتخاذل
٨ – وأول عجز القوم عما ينوبهم
تدافعهم عنه وطول للتواكل
٩ – وأول خبث الماء خبث ترابه
وأول لؤم القوم لؤم الحلائل
١٠ – فلم يسحب المنديل بين جماعة
ولا فاردا مذ صاح بين القوابل

---

٤ – في الحماسة البصرية ١١٠/١ .. في كل غبراء ماحل وفي شرح نهج البلاغة ٤٤٦/٤ ومجموعة المعاني في كل اغبر شامل .
٥ – في الحماسة البصرية ١١٠/١ وشرح نهج البلاغة ٤٤٦/٤ ومجموعة المعاني /٩٠.. لغلي المراجل
٦ – في مجموعة المعاني / ٩٠.. الشحمة المتمايل
٩ – في حيوان الجاحظ ١٣٥/٥.. وأول خبث البخل .. وفي المستطرف ٢١٨/٢ – واول خبث القوم خبث المناكح

(٢١)

(من الطويل)

١ – لقد خفت حتى كل نجوى سمعتها
أرى أنني من ذكرها بسبيل

---

١ – في المختار من شعر بشار ٩٠
نجوى رأيتها أرى انني من أمرها بسبيل

٢ — وحتى لويت السر من كل صاحب
وأخفيته من دون كل خليل

(٢٢)

وقال عبيد بن غاضرة العنبري (١) :

(من الطويل)

١ — إنا وإن كنا أمنتر قومنا
وكان لنا فيهم مقام مقدم

٢ — لنصفح عن أشياء منهم تريبنا
ونصدف عن ذي الجهل منهم ونحلم

٣ — ونمنح منهم معشرا يحسدوننا
هني عطاء ليس فيه تندم

٤ — ونكلؤهم با لغيب منا حفيظة
وأكبادنا وجدا عليهم تضرم

٥ — فليس بمحمود لدى الناس من جزى
بسيء ما يأتي المسيء الملوم

٦ — سأحمل عن قومي جميع كلومهم
وأدفع عنهم كل غرم وأغرم

---

(١) انفرد صاحب لباب الآداب بهذه الأبيات وبهذه النسبة وانني أرجح انها لعبيد ابن ايوب العنبري وربما أصاب التحريف الاسم فجاء على هذه الهيئة ، لأن الشاعر لم يعرف بهذا الاسم ولم أجد (غاضرة) اسما يضاف اليه . والذي حملني على ذلك أيضا انني لم أجد شاعراً بهذا الاسم كما ان طبيعة الأبيات ، والروح التي اتصفت بها ربما تكون قريبة من الروح الشعرية التي عرف بها الشاعر . ولعل أحد الباحثين يجد لها تخريجا آخر .

(٢٣)

قال عبيد بن أيوب .

(من الطويل)

١ – تبكي على الدنيا سفاها وقد نرى
بعينيك إن لم يبق إلا ذميمها

٢ – ألا انما الدنيا كنهى قرارة
تسامى قليلا ثم هبت سمومها

(٢٤)

قال عبيد بن أيوب العنبري :

(من الطويل)

١ – ويوم كتنور الاماء سجرنه
حملن عليه الجزل حتى تأجما (١)

٢ – رميت بنفسي في أجيج سمومه
وبالعنس حتى جاش منسمها دما

---

١ – يقال تأجم النهار تأجما : اشتد حره .وتأجمت النار : ذكت مثال تأججت وان لها لاجيما واجيجا .

---

١ – في مجموعة المعاني / ٧٦ والقينَ فيه الجزل حتى تضرما
٢ – في مجموعة المعاني / ٧٦ وبالعنس حتى ضبب

(٢٥)

وأنشد أبو عبيدة اعبيد العنبري ، وهو احد اللصوص :

(من البسيط)

١ – يارب عفوك عن ذي توبة وجل
كأنه من حذار الناس مجنون

٢ – قد كان قدم أعمالا مقاربة
أيام ليس له عقل ولا دين

(٢٦)

قال عبيد بن أيوب اللص :

(من البسيط)

١ ـ انظر فرنخ جزاك الله صالحة
رأد الضحى اليوم هل ترتاد أظعانا

٢ ـ يعلون من عالج رملا ويعسفه
أخو رماد بها قد طال ما كانا

٣ ـ إذا حبا عقد نكبن أصعبه
واجتبن منه جماهيرا وغيطانا

(٢٧)

قال عبيد بن ايوب :

(من الطويل)

١ ـ ويارب الا تعف عني تلقني
من النار في بعكوكها المتداني (١)

١ ـ بعكوكة الشيء : وسطه .

(٢٨)

وقال في هذا الباب في كلمة له ،وهذا أولها (١):

(من الطويل)

١ ـ أذقني طعم الأمن أوسل حقيقة
علي فإن قامت ففصل بنانيا

١ ـ قدم صاحب العقد الفريد للبيتين الأول والثاني بقوله : وقال عبيد بن أيوب وكان يطلبه الحجاج لجناية جناها فهرب منه وكتب اليه .

١ ـ في العقد الفريد ١٦٢/٢ طعم النوم

٢ ــ خلعت فؤادي فاستطير فاصبحت
ترامى بي البيد القفار ترامـيـا
٣ ــ كأني وآجال الظبـاء بقـفـرة
لنا نسب نرعاه أصبح دانـيـا
٤ ــ رأين ضئيل الشخص يظهر مرة
ويخفى مرارا ضامر الجسم عاريا
٥ ــ فأجفلن نفرا ثم قلن ابن بلدة
قليل الأذى أمسى ولكن مصافيا
٦ ــ ألا ياظباء الوحش لاتشهرنني
واخفينني إذ كنت فيكن خافيـا
٧ ــ أكلت عروق الشري معكن والتوى
بحلقي نور القفر حتى ورانـيـا
٨ ــ وقد لقيت مني السباع بليـــة
وقد لاقت الغيلان مني الدواهيا
٩ ــ ومنهن قد لاقيت ذاك فلم أكن
جبانا إذا هول الجبان اعترانيا
١٠ ــ أذقت المنايا بعضهـن باسهمي
وقددن لحمي وامتشقن ردائيـا

---

٢ ــ في العقد الفريد ٢ / ١٦٢ فاستطار فاضبحت .. ترامى به
٤ ــ في الشعر والشعراء / ٦٦٩ رأين ضرير الشخص يظهر تارة ناحل الجسم .
٦ ــ في الشعر والشعراء / ٦٦٩ .. الوحش لاتشمتن بي
وفي مجموعة المعاني / ١٣١ ألاياظباء الرمل أحسن صحبتي إن كان يخفي مكانيا .
٧ ــ في الشعر والشعراء / ٦٦٩ بحلقي نور الفقد
والسابع في مجموعة المعاني / ١٣١ بحلقي نور النقد
٨ ــ في شرح نهج البلاغة ٤٤٦/٤ وفي مجموعة المعاني / ١٣١ .. فقد لاقت الغزلان مني بلية .

١١ ـ أبيت ضجيع الاسود الجون في الهوى
كثيراً وأثناء الحشاش وساديـا
١٢ ـ إذا هجن بي في جحرهن اكتنفنني
فليت سليمان بن وبر يـرانـيا
١٣ ـ فمازلت مذ كنت ابن عشرين حجة
أخـا الحرب مجنيا علي وجانـيا

١١ ـ في مجموعة المعاني/١٣١ وبت ضجيع الاسود الفرد بالغضا فليت سليمان بن قبريرانيا

(٢٩)

وقال عبيد بن أيوب يرثي ابن عم له :

(من الطويل)

١ ـ وغبت فلم أشهد ولو كنت شاهداً
لخفف عني من أجيج فـؤاديـا

مانسب لعبيد ولغيره من الشعراء

(١)

وقال عبيد بن أيوب بن ضرار العنبري من مخضرمي الدولتين :

(من الوافر)

١ ـ كأن بلاد الله وهي عريضـة
على الخائف المطرود كفة حابـل
٢ ـ يؤتي انيه إن كـل ثـنـيـة
تطلعها ترمى الـيـه بـقـاتـل

(٢)

وقال :

(من الكامل)

١ ـ حمراء تامكة السنام كـأنها
جمل بهودج أهلـه مظعـون
٢ ـ جادت بها عند الوداع يمينه
كلتا يدي عمر الغـداة يمـين

٣ ـ تـالله أعطى مثلهـا في مـثلـه
الا كريم الخيم أو مجنـون

---

٣ ـ في الحيوان ٣ /١٠٧ .. ما أن يجود بمثلها .. وفي الصناعتين /٣٨٠ وفي الرسالة الموضحة / ٣٨ ما كان يعطي مثلها في مثله ..

تخريج الأبيات

(١)

الأبيات (١ ـ ٣) في بلدان ياقوت ٩٠٦/٣ .

(٢)

البيت في الكامل المبرد / ٥٥٠ .

(٣)

البيتان في حيوان الجاحظ ١٦٠/٦ ومروج الذهب ١٣٧/٢ مع اختلاف في الرواية.

(٤)

الأبيات (١، ٢، ٥، ٦،) في السمط ١ / ٣٨٤ لابي المطراب العنبري ، والأبيات (٣، ٤، ٥) في حيوان الجاحظ ١٦٨/٦ ، والأبيات (٦، ٧، ٨، ٩،) في أمالي القالي ١ / ١٤٠ ونسبت لابي المطرز العنبري ومصارع العشاق ١/ ٢٠٤ لابي المطراب العنبري .

وقال الميمني في هامش السمط ٣٨٣/١ : هذه الكنية مصحفة في الأمالي بأبي المطرز وفي الخزانة ٢١٣/٣ والحيوان ٤٨/٦ بأبي المضراب ، وأبو المطراد كذا وقع في الحيوان ٤٢/٥ و٤٦ وفيه في ١٥٣/٤ والمروج بهامش النفح ٤٣/٢ أبو المطراب على ما صوبه البكري وكذا في مصارع العشاق /٢٠٤ .. فظهر أن الكنية تصحفت على القالي أو على مستلمي أماليه ،وفي نسخة باريس لابي المطراد . والخامس في زجر النابح /١٠١ .

(٥)

البيت في أساس البلاغة (م و هـ) / ٩٢١ .

(٦)

الأبيات (١ ـ ٣) في الأشباه والنظائر للخالديين ٣٣٤/٢ .

(٧)

البيت في حيوان الجاحظ ١٢٨/٦ .

(٨)

الأبيات (١ ـ ٣)في حيوان الجاحظ ٦ / ١٥٩ والبيتان الأول والثالث في مروج الذهب ١٣٦/٢ والثالث في شرح نهج البلاغة ٤٤٦/٤ .

(٩)

البيتان في بلدان ياقوت ٣/ ٥٨٠ .

(١٠)

الأبيات (١ ـ ٢٤)في منتهى الطلب الورقة ١١٦ آ ، والابيات (١ ـ ٧) في الحماسة البصرية ٣٩٨/٢ ـ ٣٩٩ والأبيات (٥،٦،٨) في اللسان (لحن) باختلاف الترتيب . والبيتان الخامس والسادس في حيوان الجاحظ ٤٨٣/٤ ،١٢٣/٥ ، والشعر والشعراء ٦٦٨/ وسمط اللآلي ٣٨٤/١ ومروج الذهب ١٣٧/٢ ونسب إلى عبيد بن الابرص سهوا في محاضرات الادباء ٣٦٧/٢ وشرح نهج البلاغة ٤ / ٤٤٦ والخامس في حيوان الجاحظ ٢٥١/٦ وديوان المعاني ١/ ١١٣ .

(١١)

البيتان في حماسة البحتري / ٤١٢ ومجموعة المعاني / ٧٧ .

(١٢)

البيتان في بلدان ياقوت ٢ / ٩٣٩

(١٣)

الأبيات (١ ـ ١٤) في منتهى الطلب الورقة /١١٧ أو البيتان (٦، ٧) في البيان والتبيين ٤ /٦٢ .ونسبا لاعرابي وفي روايتهما اختلاف ونسبا لعبيد بن أيوب في الفسر ١ /١٢٠ والحماسة البصرية ٤٣٠/٢ وفي الوفيات ١ / ٣٤٦ نسبهما خطأ لعبيد بن سفيان العكلي وهما في مجموعة المعاني / ١٥٢ منسوبان لعبيد بن أيوب .

(١٤)

الأبيات (١ ـ ٤)في حيوان الجاحظ ٦ / ١٦٥ وقد اختلط معهما بيتان آخران من القطعة رقم (١٠) والابيات في حماسة البحتري (شيخو) ٢٦٠ ـ ٢٦١ وقدم الرابع على الثالث

وفي الحماسة البصرية ١/١١١ ومنتهى الطلب الورقة /١١٥ ب ومجموعة المعاني / ٧٧ وعدا الثالث في حيوان الجاحظ ٥ / ٢٤١ والأول بلا عزو في محاضرات الادباء ٢/ ١٠٧ .

(١٥)

الأبيات (١ ـ ٥) في حماسة البحتري / ٤١١ ونسبها لعبيد بن ربيعة التميمي ثم قال : وتروى لعبيد بن أيوب اللص .والبيتان (١، ٢) في حيوان الجاحظ ٦ /١٦٨ ،والأول في شرح نهج البلاغة ٤ /٤٤٦ والابيات (٢، ٤، ٥) في الحيوان ٦ / ٢٣٦ .

(١٦)

للبيت في كتاب الطير لابي حاتم ونقله الدكتور عزة حسن في هامش الابدال ٢ /٣٨٥.

(١٧)

الابيات (١ ـ ٤) في حيوان الجاحظ ٦ /٣٩٥ ـ ٣٩٦ نسبت لعبيد بن أيوب والبيتان (١، ٢) في الشعر والشعراء / ٤٦٠ ، ٦٧٠ ونسبا لعبيد بن أيوب وكذلك هما في المعاني الكبير /٦٥٤ وفي الرسالة الموضحة /١٢٦ نسبا لكثير وصوب نسبتهما إلى عبيد بن ايوب المحقق في فهرس أبيات الشواهد / ٢٧٥ .

(١٨)

الأبيات (١ ـ ٣٤) عدا البيتين (١٤ ـ ١٥) في منتهى الطلب الورقة / ١١٦ ـ ١١٧أ. والأبيات (١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ٢٧، ٢٨، ٢٩،) في الوحشيات / ٣٠ ونسبها لبعض السعديين سعد هوازن ، ثم قال : هي لعبيد بن أيوب .وفي الكامل ١/٢٩٥ والأبيات (١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦) في مجموعة المعاني/ ٣٧ ونسبها إلى بعض لصوص بني سعد ، ثم قال : وتروى لعبيد بن أيوب العنبري

والبيت (١٢) في المخصص ٦ / ٤٥ واللسان (ربذ) ١ / ١١٩.

والابيات (١٣، ١٤، ١٥ ،)في الأشباه والنظائر ١ /١١٩ ونسبت إلى بعض لصوص العرب وفي الحماسة البصرية ١ / ٣٦ نسبت إلى عبيد بن أيوب بن ضرار العنبري والبيتان (١٤، ١٥) في حيوان الجاحظ ٦ /٢٣٥ ـ ٢٣٦ ،وديوان المعاني ١ /١١٣ بلا عزو ،والبيت (١٤) في محاضرات الادباء ٢ /٣٧١

والابيات (٣٢، ٣٣، ٣٤،) في حماسة أبي تمام/ التبريزي ٣ / ٩١ والتذكرة السعدية /٢٧٧ ومجموعة المعاني / ١٤ ونسبت إلى عبيد بن أيوب العنبي وهو وهم .

والبيتان (٣٢، ٣٣) في حماسة أبي تمام / المرزوقي / ١١٥٧ بلا عزو.

(١٩)

البيتان في بلدان ياقوت ٣ /٨٨٦ وفي مراصد الاطلاع ٣ / ١٠٣٢ .

(٢٠)

الأبيات (١ ــ ٨)في الحماسة البصرية ١/١١٠ والابيات (١ ــ ١٠) عدا السابع والثامن والتاسع في حيوان الجاحظ ٦ /١٦٧ ــ ١٦٨ والشعر والشعراء / ٦٦٩ ــ ٦٧٠ والابيات (١،٢،٣،.٤،٥،٦) في شرح نهج البلاغة ٤ / ٤٤٦ ومجموعة المعاني / ٩٠.
والبيت الثاني في حيوان الجاحظ٦ /٢٥١،والثالث والرابع في المختارمن شعر بشار / ٣٢ والابيات (٧،٨،٩) في مجموعة المعاني/ ٢٦ ،والبيتان (٧،٨) بلا عزو في أشباه الخالديين ١ /١٠٨ والسابع في محاضرات الادباء ١ /٢٢٥ والتاسع في حيوان الجاحظ ٥ / ١٣٨ والمستطرف ٢ / ٢١٨ .

(٢١)

البيتان (١ ،٢) بلا عزو في حماسة البحتري /٤١٢ بتحقيق كمال مصطفى والأول وحده في المختار من شعر بشار /٩ ونسب لعبيد بن أيوب العنبري .

(٢٢)

الأبيات (١ــ ٦) في لباب الآداب / ٣٢٤ ــ ٣٢٥

(٢٣)

البيتان في مجموعة المعاني / ٤ .

(٢٤)

البيتان في اللسان (اجم) ومجموعة المعاني / ٧٦ .

(٢٥)

البيتان في البيان والتبيين ٤ / ٦٢ وفي الحيوان ٣/١٠٦ بيتان عجز الثاني منهما قريب من عجز البيت الأول ونسبا للاشهب بن رميلة ،وفي الحيوان ٦/٢٤٦ نسبب الثاني من البيتين المذكورين في الحيوان ٣/١٠٦ إلى أبي تمام .

(٢٦)

الأبيات (١ ــ ٣) في بلدان ياقوت ٣ / ٥٩١ .

(٢٧)

البيت في مقاييس اللغة ١ /٢٦٤.

(٢٨)

الأبيات (١ – ١٣) في حيوان الجاحظ ٦ / ١٦٥ – ١٦٧، والأبيات (١ – ١٠) في الشعر والشعراء /٦٦٩ ، والبيتان (١ – ٢) في العقد الفريد ١٦٢/٢ والابيات (٦،٧،٨،١١) في مجموعة المعاني / ١٣١ ، والثامن في شرح نهج البلاغة ٤ /٤٤٦ .

(٢٩)

البيت في مقاييس اللغة ١ /٩.

تخريج الأبيات التي نسبت لعبيد ولغيره من الشعراء

(١)

اختلف في نسبة هذين البيتين ، فنسبا إلى مجموعة من الشعراء في بعض المصادر ولم ينسبا في بعضها الآخر ، واختلف في روايتهما اختلافاً كثيراً. وقد وجدت أن نسبتها إلى عبيد بن أيوب فيه نصيب من الصحة ، لأن الشاعر عودنا على الخوف ، وتصور له بأشكال كثيرة ، ويكاد يكون من الشعراء القلائل الذين ملأ الخوف قلوبهم فحاولوا تصويره ، وتمكن منهم فأبدعوا تجسيده . وقد مرت صور تمثل النموذج الواضح لهذه المشاعر. فلا غرابة بعد ذلك في نسبة هذه الأبيات له . ومع هذا فانني ساشير إلى المواضع التي اختلفت في نسبتهما وقد أطلعني الأستاذ محمد جبار المعيبد على حماسة الظرفاء قبل انتهاء طبعها فافدت من المراجع المذكورة في ذلك (حماسة الظرفاء – رقم القطعة ٤٩ ، الباب الأول) وقد نسبا فيها إلى بعض الأعراب ، وفي كامل المبرد ٣/ ١٣١ والتشبيهات/٢٤٥ والأغاني١٣/ ١٦٢ (دار الكتب) والمختار من شعر بشار/ ٩ وتهذيب ابن عساكر ٢/ ٣٣٦ ومختار الأغاني ٥/ ١٣٠ نسبا لعبدالله بن حجاج الثعلبي .

ونسبا لعبيد بن أيوب في الحماسة البصرية ١/ ٢٩ ولعبيد أو الطرماح في مجموعة المعاني /١٣٨، وللطرماح في ديوانه/ ٥٨١ . وللقتال في حماسة البحتري/ ٢٦٠ (شيخو) وعنها في ديوانه/ ٩٩ ولرزين العروضي في معجم الأدباء ١١/ ١٣٩ وبلا عزو في الحيوان ٥/ ٢٤٠ والأول بلا عزو في الحيوان ٤٣٢/٦ وفي تفسير غريب القرآن/ ١١٢ وفي محاضرات الأدباء ١١٧/٢ نسب إلى لبيد وعنها في ديوانه/ ٣٦٥ .

(٢)

الأبيات (١ ــ ٣) بلا عزو في الوحشيات /٢٦٨ وفي الحيوان ٣/١٠٧ نسبت إلى آخر وكذلك كانت النسبة في ٦/ ٢٤٥ من الحيوان ، ونسبت إلى عبيد بن أيوب العنبري في أخبار أبي تمام/ ٣٣ . ونسبت في نوادر الهجري(نقلت ذلك من هامش الوحشيات/٢٦٨) (مخطوط) ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ لحميد الجمال الهلالي يمدح عمر بن ليث ، أحد بني جحش بن كعب ابن عميرة بن خفاف . وتنظر شروح المتنبي (الواحدي) و(العكبري) .

والثالث نسب إلى عبيد بن أيوب العنبري أحد اللصوص في الرسالة الموضحة / ٣٨ وبلا عزو في الصناعتين /٣٨٠ .

مراجع التحقيق

الأبشيهي : شهاب الدين محمد بن أحمد (ت : ٨٥٠هـ)

١ ـ المستطرف في كل فن مستظرف . الاستقامة القاهرة ـ ١٣٧٩ .

الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي (ت ـ ٣٥٦هـ)

٢ ـ الأغاني (دار الكتب) .

البحتري : أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (ت ـ ٢٨٤هـ)

٣ ـ الحماسة (حسب ما تذكر في الهامش)

البصري : صدرالدين بن أبي الفرج بن الحسين (ت ـ ٦٥٩هـ)

٤ ـ الحماسة البصرية ـ اعتنى بنشرها الدكتور مختار الدين أحمد ـ حيدر آباد ـ ١٣٨٣ ـ ١٩٦٤ .

البغدادي : عبدالقادر بن عمر (ت ـ ١٠٩٣هـ)

٥ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـ بولاق ١٢٩٩ .

البكري : أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز (ت ـ ٤٨٧هـ)

٦ ـ سمط اللآلي ـ تحقيق عبدالعزيز الميمني. مطبعة لجنة التأليف ـ ١٣٥٤ ـ ١٩٣٦ القاهرة .

أبو تمام : حبيب بن أوس الطائي (ت ـ ٢٣١)

٧ ـ الحماسة ـ شرح المرزوقي (ت ـ ٤٢١) نشره أحمد أمين وعبدالسلام هارون . مطبعة لجنة التأليف ـ القاهرة ـ ١٣٧١ ـ ١٩٥١ .

٨ ـ الحماسة ـ شرح التبريزي (ت ـ ٥٠٢) بولاق ـ ١٢٩٦ .

٩ ـ الوحشيات (الحماسة الصغرى) تحقيق عبد العزيز الميمني . وزاد في حواشيها محمود احمد شاكر .. دار المعارف ـ ١٩٦٣ ـ القاهرة .

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ـ ٢٥٥هـ)

١٠ ـ الحيوان ـ تحقيق عبدالسلام هارون . القاهرة ـ ١٩٣٨ ـ ١٩٥٠ .

١١ ـ البيان والتبيين ـ تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ـ ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ .

الحاتمي : أبو علي محمد بن الحسن (ت ـ ٣٨٨)
١٢ ـ الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب .تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم . دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥ .
ابن أبي الحديد : عزالدين أبو حامد بن عبدالحميد المدائني (ت ـ ٦٥٥هـ)
١٣ ـ شرح نهج البلاغة ـ مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر ـ ١٣٢٩ .
الخالديان : أبو بكر محمد بن هاشم (ت ـ ٣٨٠) وأبو عثمان سعيد بن هاشم (ت ـ ٣٩١)
١٤ ـ الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ـ تحقيق الدكتور محمد يوسف . مطبعة لجنة التأليف ـ القاهرة ـ ١٩٥٨ ـ ١٩٦٥ .
١٥ ـ المختار من شعر بشار ـ علق عليه وصححه محمد بدرالدين العلوي ـ مطبعة الاعتماد ١٣٥٣ ـ ١٩٣٤
الراغب الأصفهاني : حسين بن محمد (ت٥٠٢هـ) .
١٦ ـ محاضرات الأدباء ـ ١٣٢٦ ـ الشرقية .
الزمخشري : جارالله محمود بن عمر (ت ـ ٥٣٨)
١٧ ـ أساس البلاغة ـ دار الكتب ـ ١٣٤١ .
السجستاني : أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان (ت ـ ٢٥٠هـ)
١٨ ـ كتاب الطير ..
السراج : أبو محمد جعفر بن احمد بن الحسين (ت ٥٠٠)
١٩ ـ مصارع العشاق ـ الجوائب ـ ١٣٠١ .
ابن سيده : أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت ـ ٤٥٨)
٢٠ ـ المخصص ـ الأميرية ـ بولاق ـ ١٣٢٠ .
الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله (ت ـ ٣٣٥) المكتب التجاري ـ بيروت .
٢١ ـ أخبار أبي تمام ـ تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام .
الطرماح : الطرماح بن حكيم (ت ـ حوالي ١٢٥)
٢٢ ـ الديوان ـ تحقيق عزة حسن ـ دمشق ـ أحياء التراث ـ ١٩٦٨ .
ابن عبد ربه : أبو عمر شهاب الدين احمد بن محمد الأندلسي (ت ـ ٣٢٨هـ)
٢٣ ـ العقد الفريد ـ لجنة التأليف ـ القاهرة ـ ١٩٥٦ .

العبدلكاني : (ت ـ ٤٣١)

٢٤ ـ حماسة الظرفاء في أشعار المحدثين والقدماء (مخطوطة الأستاذ محمد جبار المعيبد) اطلعني عليها وهي في مرحلتها الأخيرة من الطباعة .

العبيدي : محمد بن عبدالرحمن بن عبدالمجيد (كان حياً إلى سنة ٨٠٣هـ)

٢٥ ـ التذكرة السعدية ـ الجزء الأول . تحقيق الأستاذ عبدالله الجبوري . بغداد ـ ١٩٧٢ .

العسكري : أبو هلال : الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد (ت ٣٩٥)

٢٦ ـ كتاب الصناعتين . ـ تحقيق البجاوي وابي الفضل البابي الحلبي ـ القاهرة ـ ١٩٧١ .

٢٧ ـ ديوان المعاني ـ القاهرة ـ ١٣٥٢ .

ابن أبي عون : ابراهيم بن المنجم الأنباري (ت ـ ٣٢٢هـ)

٢٨ ـ التشبيهات ـ تحقيق محمد عبدالمعيد خان كمبردج ـ ١٩٥٠ .

ابن فارس : أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ـ ٣٩٥)

٢٩ ـ مقاييس اللغة ـ تحقيق عبدالسلام هارون القاهرة ـ ١٣٦٦ ـ ١٣٧١ .

القالي : أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ـ ٣٥٦)

٣٠ ـ الامالي والذيل ـ دار الكتب . القاهرة ـ ١٣٤٤ ـ ١٩٢٦ .

ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ـ ٢٧٦)

٣١ ـ الشعر والشعراء ـ تعليق نجم وعباس . دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٦٤ .

ابن مبارك : محمد بن المبارك بن محمد بن محمد بن ميمون (من رجال القرن السادس الهجري)

٣٢ ـ منتهى الطلب من أشعار العرب . نسخة مصورة عن مخطوطة مكتبة لالللي باستانبول رقمها ١٩٤١ .

المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد الازدي (ت ـ ٢٨٥)

٣٣ ـ الكامل ـ تحقيق زكي مبارك واحمد شاكر الحلبي ـ القاهرة ـ ١٣٥٦ .

المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ـ ٣٤٦هـ)

٣٤ ـ مروج الذهب ـ يوسف اسعد داغر ، دار الاندلس ـ بيروت ـ ١٩٧٣ ـ ١٣٩٣ .

ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت ـ ٧١١)

٣٥ ـ لسان العرب ـ المطبعة الأميرية ـ بولاق ـ ١٣٠١ .

٣٦ ـ مختار الأغاني : الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ البابي الحلبي ـ القاهرة .

ابن منقذ : اسامة (ت ـ ٥٨٤)

٣٧ ـ لباب الآداب .

ياقوت : ابن عبدالله الرومي الحموي (ت ـ ٦٢٦)

٣٨ ـ معجم البلدان ـ تحقيق فيستنفيلد ـ لايبزك ١٨٦٦ ـ ١٨٧٠ .

أَلخَطيمُ ٱلمحرزيُّ

هو الخطيم بن نويرة العكلي من بني عبشمس ، ويغلب عليه المحرزي ، من لصوص العرب وشعرائهم . ويكتفي ياقوت في بلدانه وهو يستشهد بأبيات من شعره بتسميته بالخطيم العكلي (١) . وينعته في مواضع أخرى بالخطيم اللص (٢) أو الخطيم المحرزي (٣) . ويكتفي صاحب الحماسة بالخطيم (٤) وهو يورد له ثلاثة أبيات من لاميته . ويورد له صاحب الحماسة البصرية أبياتاً من لاميته ويقدم لها بقوله : وقال الخطيم أحد بني عبد شمس ثم المحرزي أحد اللصوص (٥) ويكتفي صاحب منتهى الطلب وهو يورد أكبر مجموعة شعرية له وهو يقدم لبعض قصائده بقوله : وقال الخطيم المحرزي ، من بني عبشمس ، وهو من اللصوص (٦) .

إن هذه المقدمات التي قُدم بها شعره لاتخرج عن هذه التسميات ، ولاتحدد لنا أكثر من دائرة اسمه ولقبه وحرفته التي عرف بها وقبيلته التي ينتمي إليها .

وعكل التي ينتمي إليها الشاعر هي عكل بن أد ، وقد ظهرت إلى بلاد نجد وصحاريها فحلت منازل بكر وتغلب ، التي كانوا ينزلونها في الحرب التي كانت بينهم ، ثم مضت حتى خالطت أطراف هجر ، ونزلت مابين اليمامة وهجر(٧) .

وفي شعر الخطيم إشارات كثيرة إلى مواضع في الدهناء (٨) ، ويبدو أن حركته كانت في اطار هذه المواضع ، أو حنينه كان يطوف به حول هذه الأمكنة ، لأن أخباره تحدثنا بأنه سجن بنجران ، وان مكوثه في هذا السجن قد امتد وطال حتى أوشك اليأس أن يتسرب إلى نفسه ، فخابت آمال العودة في نفسه ومات رجاء الرجعة إلى بلاده :

---

(١) ياقوت .معجم البلدان ٣٤٤/٢ ، ٢٩٩/٣ ، ٧٣٦/١، ٧٣٠/٣، ٧٠٣/١ .

(٢) ياقوت . معجم البلدان ٤٤٣/٤ .

(٣) ياقوت . معجم البلدان ٨٥٦/٢.

(٤) أبو تمام .الحماسة ١٨١٥/٤ ويسميه « حطيم » وهو تحريف لأن الهامش يذكر أنه عند التبريزي الخطيم .

(٥) البصري . الحماسة البصرية ٣٥٩/٢ .

(٦) ابن مبارك .منتهى الطلب من أشعار العرب الورقة /١٢١ .

(٧) البكري . معجم ما استعجم ٨٨/١.

(٨) ياقوت .معجم البلدان ٣٤٤/٢، ٢٩٩/٣، ٤٤٣/٤، ٥٧٠ .

أتيح لذي بث طريد تعوده

هموم إذا مابات طارقها يسري

بنجران يقري الهم كل غريبة

بعيدة شأو الكلم باقية الاثر

يمثلها ذو حاجة عرضت له

كئيب يؤس بين قرنة و القهر

فقال وما يرجو إلى الأهل ردة

ولا ان يرى تلك البلاد يد الدهر

وتأخذ عكل امتدادات مختلفة في تطور الأحداث القبلية ، لأنها تشكل نقطة كبيرة ومجالا رحباً من مجالات القدرة على تقديم مجموعة كبيرة من الشعراء اللصوص الذين عرفوا بانتمائهم لعكل أمثال السمهري العكلي وجحدر العكلي وغيرهما ممن عرف بهذه النسبة وشعر بهذه المهنة . ولابد أن تختفي وراء هذه الظاهرة مجموعة من الأسباب التي دفعت أبناء هذه القبيلة إلى إتخاذ هذا السلوك والاندفاع وراء هذه الحرفة ، حتى أصبحوا من نزلاء السجون ، وهواة التشرد ، وجماعات المغتربين . ولعل دراسة مفصلة لأحوال هذه القبيلة ، ولأحوال هؤلاء الشعراء . تكشف عن النوازع الحقيقية التي كانت تختفي وراء هذه الحركة الواسعة .

ومن الجائز أن يكون لموقع مساكن «ممرز» وهي قريبة من قوافل التجار ، قد جعلت هذه القوافل في متناول أيديهم. فكانوا يجدون فيها متاعاً كثيراً ، وربحاً وفيراً ، وزادا يسدون به غائلة الجوع ، فيكفيهم مؤونة الفاقة والحاجة . إلى جانب معرفتهم العريقة بمسالك الطرق ، ومخابيء الأودية التي تخفيهم عن أنظار السلطة ، وتجعلهم في حرز عن العقاب. مما يقوي فيهم النزعة الراغبة إلى سلوك هذا المسلك . وربما تصاحب هذه العوامل عوامل أخرى يبرز فيها العامل الاقتصادي بشكل واضح ، وتتمثل عناصره بقدرة شامخة فيضاف هذا العامل إلى العوامل المتقدمة لتأخذ نمطاً حياتياً بارزاً في حياة هذه القبيلة ، لتمسح عنها وجه كآبتها ، ويدفع عنها ذل حرمانها .

ان هذه العوامل مجتمعة أو منفردة . لايمكن أن تنفصل عن العوامل الأخرى التي تدخل في اطار الطموح السياسي ، أو النزوع القبلي ،أو الشعور بالحرمان مما يجب أن تكون فيه هذه القبيلة .. هذه العوامل كلها أوبعضها قد تدفع بصورة فردية أو جماعية لتجد في نفوس هؤلاء هوى يحملهم هذا المحمل ويدفعهم إلى هذا السلوك .

وكما أخذت «عُكْل» هذا الامتداد البارز في هذا الجانب ، فهناك جانب آخر كانت عُكْل فيه بين ظاهرتين من ظواهر التضاد المخالفة . فالجاحظ يذكر أن في عكل من الشرف والفضل ماليس في ثور (٩) . ولكنه يورد بعد هذا التقديم لعكل مجموعة من الابيات الشعرية،وفي مواضع مختلفة تحط من قيمة عكل،وتضعها في موضع يناقض الموضع الذي وضعوا فيه .

فهو عندما يستشهد بأبيات لخلف الأحمر في هجاء قوم ، نجد الشاعر في «عكل» صورة من صور الهجاء البارزة فيقول (١٠) :

اناسٌ تائهونَ لَهُم رُواءٌ
تغيمُ سَمَاؤهُم مِن غير وبْل

إذا انتسبوا ففَرعٌ مِن قريش
ولكن الفعَالَ فعَالُ عُكل

وخلف في بيته الثاني يريد بعكل الغباوة وقلة الفهم ، حتى يقال لكل من فيه غفلة ويستحمق عُكلي (١١) . ومما يؤكد هذه الصفة ان كثيراً من الشعراء استشهدوا بهم في هذا الموضع . وقد اورد الجاحظ شعراً في العنكبوت للحمداني وفيه يقول (١٢) :

يزهدني في ود هارون أنه
غذته بأطباء معلنة عُكلُ

كأن قفا هارون اذ قام مدبرا
قفا عنكبوت سل من دبرها غزل

واقترنت عكل بالشؤم عند شاعر آخر فقال (١٣) :

ولدت بحادي النجم تسعى بسعيه
كما ولدت بالنحس ديانها عكل

---

(٩) ــ الجاحظ . الحيوان ١ / ٣٦١.

(١٠)ــ الحيوان ٥/ ٢٨٥.

(١١)ــ ابن منظور . لسان العرب (عكل).

(١٢)ــ الحيوان ٥/ ٤١٠ .

(١٣) الحيوان ٦/٩٤ .

ان هذا التضاد الذي يجمع بين الشرف والفضل اللذين عرفت بهما هذه القبيلة وهو فيها أكثر من غيرها . وبين هذه الغباوة وقلة الفهم ، والنحس والشؤم التي رميت بها ، تمثل ظاهرة من الظواهر التي ساهمت الى حد كبير في هذا الوضوح الذي عرفت به ، باعتبارها مستودعاً ثرا من المستودعات التي قدمت هذه المجموعة الكبيرة من الشعراء الذين لونت حياتهم بهذا اللون الذي لانستطيع ان نحدد طبيعته أو نقرر تأكيده . لان امثال هذه الدراسة توجب التمرد في بحث القبيلة وحركتها وموقعها واتصالها بالقبائل الاخرى وعلاقتها بالدولة ووضعها الاقتصادي وهي دراسة لاأجد مجالا لها في هذا المكان الذي يعرض لحياة شاعر واحد من شعرائها .

ان دراسة اولية لما عثرنا عليه من أبيات يمكن ان تضع خطوطاً كبيرة ، واشارات مركزة لاهم الاحداث التي كانت تعتري حياة هذا الشاعر ، فهومسجون في سجن نجران ، يستعطف قومه ، وفي هذا الاستعطاف لمحات تومض بالتخلي الذي ارتسمت أمارته على أبناء قبيلته ، وطلبت منه الفدية والرهينة فلم يجد أحدا يعطي من ماله مايعيد اليه حريته ويجعله في عداد الطلقاء من الناس . وهو في هذا الموقف يتحدث بمشاعر رقيقة ويستعطف بأسلوب تترقرق فيه الانسانية الضائعة في نفسه فيقول :

بني محرز هل فيكم ابن حمية

يقوم ولو كان القيام على جمر

بما يؤمن المولى وما يرأب الثأى

وخير الموالي من يريش ولا يبري

كما أنا لو كان المشرد منكم

لأبليت نجحا أو لقيت على عذر

لاعطيت من مالي وأهلي رهينة

ولاضاق بالاصلاح مالي ولا صدري

وهو رجل له منزلته في قومه ، لانه عندما يخاطب قومه يخاطبهم بايمان ، ويتحدث معهم بصراحة متناهية ، فهم – اذا لم يحاولوا انقاذه – سيجهدون أنفسهم في سبيل الحصول على خليفة يحل محله ، اذا نابتهم نائبة ونزلت بهم جسيمات الامور .

بني محرز من تجعلون خليفتي

اذا نابكم يوماً جسيماً من الامر

بني محرز كنتم وما قد علمتم

كفادية خرقاء عيت وما تدري

ان الاخبار التي بين أيدينا لاتكشف عن النشأة الاولى لحياة هذا الشاعر ، ولا تحدد من المعالم مايعطي لهذه الشخصية بعدها الحقيقي أو القريب من الحقيقي لان اخباره نادرة ، وحياته غير معروفة ، ومن الطبيعي ان تكون حياته وحياة غيره من الشعراء اللصوص غير معروفة لانها حياة تشرد ، يسودها القلق ، ويغلب عليها الضياع ويملأ ظواهرها البؤس ، ومثل هذه الحياة لاتتوفر لها القدرة على الوقوف للمجابهة ، ولاتتوفر لها الامكانية لتأخذ مكانها الادبي الا اذا توفر لها من يهتم بابراز مظاهرها أو يجمع شعر شعرائها أو يتحدث عن البناء الشعري الذي طبع به هذا الشعر . أو ينتفع منها في تحديد دراسة معينة (١٤) .

وشعراء اللصوص شعراء احاطت بهم ظروف معينة اونت شعرهم بألوان خاصة ،وميزته بميزات لها طابع معين . ودفعتهم إلى انتهاج منهج شعري تألق فيه اسلوب واضح ،واستخدمت فيه عبارات محددة ، واختيرت له ألفاظ ومعان تحمل التأثر الحقيقي لهم ، وبناء شعري له قواعد واصول ثابتة ، وتدخلت في شعرهم نوازع انسانية واخلاقية واضحة يغلب عليها طابع الخوف والذعر ، ويتجلى في معانيها الشعور بالاغتراب القبلي و المحلي والنفسي وترتسم في صياغته النوازع الصادقة في كل مايدعو إلى الحنين أو يتصل به .

والشعراء اللصوص لاينسون — وهم في غمرة أحاسيس الالتصاق الوجداني كبرياءهم وأباءهم والتزامهم الاخلاقي بما يحقق لهم الاندماج أو التوافق مع المجموعة التي يشعرون بانتمائهم اليها قبليا أو يخضعون لها اجتماعيا ... فكانت صور الكرم وهو يصل إلى أبعد مراحله ، والشجاعة وهي تتسع لاكبر مساحة من الاقدام ، والتضحية والايثار وهو يأخذ أعمق بعد من أبعاد شموخه وتعاليه .. هذه المعاني ، وما يدور فيها كانت تأخذ صورتها اللامعة في شعرهم ، وتملأ حقولا كبيرة من حقول تحركهم عاطفة وانطلاقا وقدرة .

وعلى الرغم من هذه المقاطع القليلة التي تمدنا بها المظان القديمة أو تجود بها كتب المجاميع ، الا اننا نستطيع ان نتلمس ان تيارات شعرية لها اصولها الشامخة تأخذ مجراها وانسيابها

---

(١٤) تشير المصادر إلى أن الجاحظ صنع كتاب اللصوص ،الحيوان ١٥٦/٢ وصنع السكري أشعار اللصوص.معجم الادباء ٣٠٧/٦ ولم تصل الينا .

وتحديها في شعر هذه الجماعة بحيث تطغى على كل شعر وتبرز في سياق كل ظاهرة آدبية بروزا يعطيها القدرة على الصمود ، ويمنحها الافضلية في الثبات والالتزام .

في اخبار الخطيم تبرز مجموعة من الاسماء التي تكاد تكون اخبارها غير متميزة الا بعض الاعلام التي استطعنا من خلالها ان نحدد فترته التي عاش فيها ، لان الكتب لا تحدد لنا اية علامة من علامات حياته .. ولولا قصائده التي يستعطف بها سليمان بن عبدالملك (امتدت خلافته بين سنتي ٩٦ ـ ٩٩) لما استطعنا ان نعلم الزمن الذي عاشه هذا الشاعر ولا الفترة التي انحصرت فيها حياته . ويعرض في استعطافه هذا إلى يزيد بن المهلب الذي استجار بسليمان بن عبدالملك . فأجاره (١٥) . ويتخذ منه اسبقية محمودة في الاستجارة . وهي ابيات تومي بما كان يتصف به هذا الخليفة من التزام .

أعذني عياذا ياسليمان أنني
أتيتُك لما لم أجد عنكَ مقعدا
لتؤمنني خوف الذي أنا خائف
وتبلعني ريقي وتنظرني غدا
فرارا اليك من وراني ورَهبة
وكُنْتُ أحقَ الناسِ ان انعمَدا
وأنتَ امرؤ عوّدت نفسكَ عادة
وكُلُ امريء جار على ما تعوّدا

ويتضح تأثر المتنبي الشاعر بالبيت الاخير تأثراً واضحاً في بيته المشهور .. لكل امريء من دهره ما تعودا .

تعودت ألاّ تسلم الدهر خائفا
أتاكَ ومن أمنته أمن الردى
أجرت يزيد بن المهلب بعدما
تبين من باب المنية موردا

(١٥) في خبر طويل يورده الطبري في تأريخه ٦/٤٤٨ يذكر أنه في سنة تسعين هرب يزيد بن المهلب واخوته الذين كانوا معه في السجن مع آخرين غيرهم ، فلحقوا بسليمان بن عبدالملك مستجيرين به من الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك .فأمنهم وأجارهم .

فَفَرجْتَ عَنه بَعدَمَا ضَاقَ أمره
عَليهِ وقد كَانَ الشَريد المطْرَدَا

سنَنت لاهلِ العَدلِ في الارض سنة
فَعَارَ بلاءُ الصادق مِنْكَ وأنجَـدا

وأنتَ المصفى كل امْرِكَ طَيِّب
وأنتَ ابن خير الناسِ إلا محمَــدَا

وأنتَ فى أهل الجزيرة كُلهَــا
فَعالاً وأخلاقاً وأسْمَحهم يَــدَا

ونفس الشاعر في هذه القصيدة نفس أصيل ، وتمكنه في ابياتها تمكن شاعر مقتدر ، ورقته في اظهار عاطفته رقة اصيلة .. استطاع من خلال ذلك ان يقدم صفحة متكاملة من الاستجارة ليأمن على نفسه ، ويبعد الرهبة عنها ، ويتمتع بما يتمتع به الآخرون .

والخطيم المحرزي شاعر كونته البيئة الشعرية العربية الكبيرة التي حفل بها العصر الاموي، عصر الزهو الادبي ، الذي تسامت فيه الاصالة العربية شموخاً واتساقاً ولابد ان تمتد إلى شعره ملامح التأثر الذي بسط رقعته على كثير من الشعراء فتأخذ مكانها المباشر او غير المباشر في سياق قصيده الشعري على الرغم من المحاولات الكثيرة التي برزت في هذا الشعر لاخراجه عن الدائرة التي كانت تدور فيها القصيدة التقليدية .. لان امثال هذه الملامح لايمكن ان تختفي مادامت اصولها قد وجدت مجالاً في أي بعد من ابعاد البناء الذي امتلك ناصية الشعر في المراحل الاولى.. ففي حديثة عن نفسه وعما يعتريه من شحوب يعرض لذكر مجموعة من أسماء النساء مثل (أمامة) (١٦) والحارثية (١٧) وعزة (١٨) وأم مالك(١٩) وهي اسماء غير حقيقية وانما هي رموز اراد من خلالها ان يتحدث عن خصائص وصمات لازمته ، وهي محاولة من محاولات الشعراء القدامى في تجريد صورة المرأة تجريداً واضحاً ، واظهارها بالمظهر الساخر من شحوبه ، وتقدد قميصه ليتخذ هذا المنفذ مجالاً يشير فيه إلى حبه الصادق ، ووفائه المخلص

---

(١٦) تنظر قصيدته الدالية البيت الثالث .
(١٧) تنظر قصيدته الدالية البيت السادس .
(١٨) تنظر قصيدته الدالية البيت السابع .
(١٩) البيت / ٣٠ .

وانصرافه الكلي وجرأته وقدرته ، ونقمته التي لم تترك له أحداً من الاصدقاء (٢٠) :

وقائلة يَوماً وقد جئتُ زائراً
رأيتُ الخطيم بَعدَنا قد تَخَدّدا

أمَا ان شَيبي لا يَقوم بِه فَتى
إذا حَضر الشح اللئيم الضفنّددا (٢١)

فَلا تَسخَري مِني أمامَةَ ان بدا
شحوبي ولا أن القَميصَ تَقَدّدا

ان نزعة الاعتزاز والاباء والتفاخر بالمجد نزعة اصيلة عند هؤلاء الذين حاولوا ان يثبتوا وجودهم الحقيقي من خلالها ، ويؤكدوا التزامهم المطلق بها . فتناثرت صور هذا الاعتزاز في ابياتهم من اباء للضيم واكرام للضيف واطعام للجائع ودفاع عن حق القبيلة حتى اصبحت هذه النزعة طاغية . فاتخذها الخطيم مطاعاً من مطالع شعره ، ليوفق بين غرضين استحكما في نفسه وعرضا له او اضطر إلى ان يعرض لهما فهو مسجون يلاقي في سجنه الحرمان والغربة والوحدة ، ولابد ان يستعطف قومه لعلهم يخفون انجدته ، ويسرعون لانقاذه وهو أبي يرفض الاستعطاف ، ويرفض التذلل . ولا بد ان تتصارع هذه النزعات في نفسه ، وتتنازع عوامل الاندفاع في حياته ، ولكنه مضطر إلى ان يعلن غربته القاتلة وقد تصورت له دواعي الشؤم مجسدة ، تكشف له عن النأي الطويل بعد ان مرت عائف الطير سانحة ، وشرها ما كانت – في عرفه – سانحة وقد مرت بفكره الذكريات التي لاينساها . ومن الطبيعي الا تكون منسية ، لان الذكريات اقترنت بعيون التي عز لقاؤها وهي تعيد السلام بعد ان طلبت منه ألاتكون الرحلة بعيدة . وقد حالت بعينها عبرة حائرة .. وهي محاولة أخرى من محاولات الحوار التي أدخلها الشاعر في قصيدته ليعطيها بعداً جديداً ، ويحرك موضوعاتها تحريكاً يدخل على القصيدة عنصر التجديد . ولتترك للشاعر مجالا واسعاً للحركة تمكنه من التعبير عن المدلولات الواقعية التي تجد نفسها قادرة على السيطرة عليه .

(٢٠) ينظر كتاب دراسات في الشعر الجاهلي للمحقق ففيه دراسة مفصلة عن الحوار في القصيدة الجاهلية ، ويمكن اعتبار هذه الظاهرة عند الشاعر امتدادا لوجودها عند الشعراء الجاهلين .

(٢١) الضفندد : الرجل إذا كان مع الحمق كثرة لحم وثقل .

أما الهموم التي شغلت حياة هذه الفئة ، فهي هموم لها مدلولها النفسي والاجتماعي والوجداني . وقد أخذت عليهم جوانب محسوسة من حياتهم . وأعاروها قدراً كبيراً من مشاغلهم ، لأنها تنبعث عند كل ظاهرة يلتقون بها . وتكبرني ظل كل دائرة يشعرون بضيقها عليهم . ولاأجد نفسي مبالغاً إذا قلت أن همومهم كانت هموماً لها معاييرها الخاصة التي لاتشاكل هموم الآخرين باتصالها المستمر وامتدادها الذي لاينتهي ، وخضوعها لأجوائهم النفسية الخانقة . حتى أصبح لهم في حياتهم لوناً مغايراً ومنزعاً غير مألوف بالنسبة لهموم الآخرين .

لقد اقترن الهم عند هؤلاء الشعراء بتحرقهم نحو الأرض والوطن . وتحرقهم هذا مشوب بالألم ومصحوب بالمشاعر التي تلمس عند كل الشعراء المرتبطين بالأرض ، المشدودين بعوامل الالتصاق الوجداني بكل مايدعو إلى الارتباط والتفاعل . فالأرض ليست مطلقة في وجدانهم ، وهي ليست مجردة تضم أحجاراً أو كثبان رمل ترسم على صفحاتها الرياح أشكالاً هندسية متناسقة أو مضطربة .. أو كومة تلال متباعدة حرمتها الطبيعة حتى من أبسط مظاهر الخضرة .. الأرض عندهم بضعة من النفس تعيش فيها الذكريات والآمال ، ويعيش فيها الزمن الذي يقدسه العربي ، لأنه ملكه الذي لايتجرد عنه ، وحقه الذي يحرص عليه اشد الحرص . إن الربط بين الأرض والزمن والحياة معادلة متكاملة في حياة العربي . أخذت زواياها الحقيقية في وجدانه صورة براقة . ووجدت أشكالها الإنسانية ملمحاً مشرقاً في التعبير عن نفسه . فاتحدت الأبعاد والأشكال في نفسه مشاعر استطاع أن يحيكها قصيداً تتعالى فيه أحاسيسه التي تبرز هذا الارتباط . وما صورة البيت الشعري الذي حرص عليه الشعراء — وشاعرنا منهم — إلا نموذج من تلك النماذج التي تظهر قوة الشد التي ملكت على الشاعر بواعث الالتصاق فرددها بكل كبرياء وعبر عنها بكل طلاقة ..

«ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة»

فالليلة التي تمناها الخطيم هي الليلة التي تمناها كل الشعراء ، وهي الليلة التي ظلت مشدودة في سوادها ونجومها وهدوئها وصفائها وروعتها ، وظلت آمالهم الكبار معلقة في كل حركة من حركاتها توسموا فيها الشبح الزائر ، والظل الحائر ، والنفس التائهة ، والهمسة الموحية . والصمت المعبر . فعاشت في نفوسهم طويلة طول الأمد ، بعيدة بعد الراحة التي ينشدونها . حلوة حلاوة الاستقرار الذي راودهم وهم في رحاب الأرض العريضة التي تواثب فيها القلق وارتمى في جنباتها الخوف . وظلت هذه الليلة التي تمنى أن يبيت فيها صورة معبرة عن الطموح النفسي ، والنزاع الوجداني الذي استحكمت أصوله في نفوس هؤلاء الشعراء غربة وحنيناً وتوجعاً .

ألا ليتَ شِعري هــل أبيتن ليلة

بأعلى بُلّيٍّ ذي السلام ِ وذي السدرِ

وهل أهبطن روضَ القطا غير خائف

وهــل أصبحن الدهــرَ وسط بني صخر

وهـل أسمعنْ يوماً بكاء حمامة

تنادي حماماً في ذرى نضب خضر

وهل أرين يوماً جيادي أقودها

بذاتِ الشقوق أو بانفاثها العفر

لقد كان يحز في نفسه ألا تسمع صرخته أو يفك أسره ، وهو يعاني الغربة والتشرد ويندب قومه بصيحات تتفجر فيها آهات التوجع . وتتعالى عواطف الارتباط القبلي التي كان يشعر بها وهو في حيرته الضائعة ، وغربته المؤلمة . يقف عند هذه الظاهرة يستصرخ ويدعو . . ثم يضع نفسه موضع المستصرخ الذي دعي . فتتألق خصائله الأصيلة ، وتتوقد في نفسه نوازع الإندفاع الحقيقي فيكون بين إثنتين ، إما نجاحاً يعيد إليهم مكانتهم المرموقة ، أو الموت الذي يجد فيه العذر . وتلك هي فلسفة هؤلاء الناس . وهي الفلسفة التي تجلت عند الشنفرى وتابط شراً وعروة وكل قافلة الصعاليك واللصوص الذين تحملوا تبعات الالتزام ، وأخذوا على أنفسهم كل ماخذ يحقق التتابع الصائب لقدرة التعامل ، ويفرد الصورة الواضحة لما أدرك من معطيات متفاعلة مع كل نزعة خيرة متمثلة في سلوكهم .. فهي فئة عشقت الحياة ، وعشقت الحرية ، وعرفت السر الذي يقف خلف كل عتبة من عتبات الدنيا .

إن تأثر هذه المجموعة من الشعراء بأفكار خاصة أو معان معينة لم يقف عند هذا الحد ، وإنما هو تأثيرشامل يتوزع في إطارين متكاملين ، إطار المضمون الذي يحمل الفكر ، وإطار الشكل الذي يعبر عن ذلك الفكر .. فالصعاليك ــ كما هو معروف ــ وقفوا عند حديث حيوانات معينة لازمتهم في أوصافهم واستشهاداتهم . وخاصة تلك التي تكنس القبور وتولع بالتفتيش عن الجثث . وإشارة الخطيم إلى الوحش التي تكنس القبور هي إشارة أخرى من إشارات التأثر ... وهذه الوحوش على الرغم من صفتها الملازمة هذه فهي لاتستطيع أن تبعد بينه وبين قومه حتى إذا أبعدت بين قبره وقبورهم ، فهو منهم روحاً والتصاقاً ، وهم منه أصولا وقبيلة ، تشد بينهم الأواصر ، وتربط بين مصالحهم دواعي الحياة . . فهو

الذي أنهى عنهم الظلم ، ودافع عنهم باليدين والنحر ، وأجهده التعب إذا خصم أدل عليهم ، فلم يتركه إلا وشد له أزره بسنان استعد له ، ولسان لم يصبه العي ولا الهذر ..

بني محرز أن تكنسَ الوحش بينكم
وبيني وتبعد من قُبورِكم قبري
فقد كنتُ أنهي عنكم كل ظالم
وأدفعُ عنكم باليدينِ وبالنحرِ
معى إذا خصمٌ أدل عليكُم
بني محرز يوماً شددتُ لهُ أزري
بحدِ سنانٍ يستعدُ لمثلهِ
ورقم لسان لا عيٌ ولا هذرِ

إن التصاقهم بالأرض والوطن ، كان التصاقاً حقيقياً ، لأنهم وجدوا في الأرض طيبا ، ولمسوا بين وديانها عطاء ، فنما حبها نماء إنسانياً خالصاً ، وتجسدت ألوانه تجسداً حياً ، وأصبح عليهم عزيزاً ، لايقوم مقامه شيء . فوديانه التي نشأ فيها ومواضعه التي ترعرع في جنباتها أحب إليه من أية أرض أخرى .

أواعسُ من بَرتٍ من الارضِ طيب
وأودِيَةٍ يَنْبِتْنَ سَدرا وغَرقَدا
أحَبُ الينَا مِن قُرى الشام منزلا
وأجْبَالهَا لَو كان أن أتَوَدّدا

لم تحل طبيعة الشعراء اللصوص المتشردة وتفردهم المؤلم دون مراعاة عواطفهم التي كانت تنساب رقيقة صافية خالصة ، تدفعهم اليها الملاحة والنقاء ، ويحملهم عليها الخفر والخصائص البدنية التي احبوها ، ووجدوا فيها مدعاة للاعجاب والهوى ..

وهواهم اصيل مثل طباعهم ، تمتد جذوره امتداد الزمن ، وترعى اصوله رعاية الصدق الذي عرفوا به . ولهذا كان هيامهم هياماً لايعرف احداً ، ولا ينتهي عند الزمن ، فالخطيم يهيم بذكر حبيبته ما يحيا ، وإذا انتهى هام بها الصدا .. وهي صورة فريدة من صور الاخلاص التي ترسخت حدودها عند هؤلاء الشعراء ، وصورة من صور الوفاء التي التزموا بها التزاماً

مطلقاً لايعرف الانقطاع ولايعرف الفناء . فألفناء عنده قائم ، يجدده الصدى ، تجدد الذكريات ، ويجدده الاخلاص القادر على استيعاب المعنى الاصيل لهذا الوفاء .

يَهِيمُ فُؤادي مَا حَيِيتُ بِذِكرِها
ولَو أنَني قَدمتُ هَامِ بها الصَدا

ان الينابيع الصافية للحب العذري الصادق تفجرت في نفس شاعرنا اخلاصاً وصدقاً وعاطفة وأخذت شكلاً من اشكال الحب الذي عرف في هذا العصر ، واتسعت آفاقه عند كثير من الشعراء العذريين . والحب عند الخطيم حب أصيل تجلت حقائقه مشاعر وجدانية تتسق مع ما عرف به من رقة وعاطفة ..

فَلا والذي مَن شَاءَ أغوى فلم يكن
لَهُ مرشِدٌ يَوما ومَن شَاءَ أرشدا

يمينُ بَلاءٍ ما عَلِمتُ بِسَيءٍ
عَلَيها وَإن قَالَ الحسود فأجْهدا

واني لمشتاقُ إلى الله أشتَكي
غَليل فؤاد قد يَبيتُ مسهَدا

ومَا لامَني في حُبِ عَزة لائِم
من الناسِ إلا كَان عِندي من العدا

ولا قَال لي أحسَنتَ إلا حَمَدته
بما قال لي ثم اتخذت له يدا

فَلو كنتُ مَشغوفاً بِعزة مثل مَا
شَغِفَت بها مَا لمتني يَا ابن اربَدا (٢٢)

ورحلة الشاعر رحلة طويلة ، لانها لاتنتهي ، وغربته بعيدة لانها لاتتوقف عند حد. ولهذا كانت ناقته اذا وثبت من مبرك غادرت به دما من خف راعف ، وهي ناقة قوية تقوى على قطع المفاوز ، مريعة لايجهدها الكلال الذي تحدث عنه في شعره . وقد قدم الشاعر مجموعة من الصور التي أكد فيها هذه المعاني وهي صور تنصب على وصف الراحلة

(٢٢) ابن أربد علم ورد في شعره ويبدو أن الشاعر قد اتخذه رمزاً للعاذلين.

دون ان يعرض انما في اوصافه ما كان يقف عنده الشعراء التقليديون من لوحات ، فقد عودنا اولئك الشعراء على الالتزام بذكر الالواح متسلسلة حتى يصلوا إلى لوحة الصيد التي تعتبر المركز الموجه لابراز قدرة الناقة على الاستمرار او الانتهاء .. ويمثل لبيد والنابغة وزهير هذا الاتجاه بصورة واضحة .. ان لوحة الناقة عند الخطيم لوحة مفردة لها خصائصها وميادينها وقد اصبحت بعض اجزائها صورة بارعة من الصور التي يستشهد بها اصحاب الاساليب (٢٣) .

مصادر شعره :

يُعد كتاب منتهى الطلب من اشعار العرب ، المصدر الاول من مصادر شعر الخطيم لانه قدم لنا اكثر من مائة وخمسين بيتاً وهذا العدد من الابيات يشكل الجزء الاعظم من شعره ، لان ما توفر لدينا من ابيات لايزيد على هذا العدد بأكثر من خمسة عشر بيتاً فقط ولم تكن هذه الظاهرة غريبة بالنسبة لمنتهى الطلب لانه يعد اضخم مجموع شعري في الادب العربي ، واكبر ذخيرة من ذخائر التراث التي احتفظت بهذا القدر العظيم من الشعر . ففيه الف واحدى وخمسون قصيدة وتسع وعشرون مقطوعة ، عدد ابياتها تسع وثلاثون الفاً وتسع مائة وتسعون بيتاً من الشعر ، وعدد الشعراء الذين اختار لهم مائتان واربعة ومتون شاعراً ، وعدد قصائدهم الف واحدى وخمسون قصيدة ، والذي يتأمل في هذا العدد يجد مدى العدد الضخم من الشعر والشعراء إذا قيس بما هو موجود في كتب المجاميع الشعرية الاخرى امثال المفضليات والاصمعيات والاختيارين .

وأهمية منتهى الطلب لاتقتصر على الكمية الشعرية التي احتواها ، او العدد الهائل من الشعراء ، وانما يعود إلى ما احتواه من شعر خلت منه دواوين الشعراء المطبوعة أو من شعراء لم تذكر لهم كتب الادب إلا الابيات القليلة ، او شعراء لم نجد لهم في هذه المصادر ما يعين على استجلاء شخصيتهم ، او الكشف عن قدرتهم من خلال الابيات المفردة المتناثرة في هذه المصادر .

---

(٢٣) ينظر التشبيهات لابن أبي عون / ٦٧ وديوان المعاني ١١٩/٢ ومجموعة المعاني / ١٨٣ وحماسة ابن الشجري / ٧٠٢ وقد نسب البيت خطأ في التشبيهات لابن الخطيم وقيل أنه الخطيم الخزرجي وهو خطأ أيضاً فهو الخطيم المحرزي . أما أبو هلال فنسبه إلى ابن الخطيم وهو خطأ أيضاً وقد حقق النسبة الدكتور ناصر الدين الأسد في ديوان قيس بن الخطيم فصوب أوهام المتقدمين ، ينظر الديوان / ١٦٧ .

ومنتهى الطلب هذا — كما يقول جامعه — « كتاب جمعت فيه الف قصيدة اخترتها وجعلته عشرة أجزاء . وضمنت كل جزء منها مائة قصيدة وكتبت شرح بعض غريبها في جانب الاوراق ، وأدخلت فيها قصائد المفضليات وقصائد الاصمعي التي اختارها ونقائض جرير والفرزدق والقصائد الذي ذكرها ابو بكر بن دريد في كتاب له سماه الشوارد وخير قصائد هذيل والذين ذكرهم ابن سلام الجمحي في كتاب الطبقات ، ولم اخل بذكر احد من شعراء الجاهلية والاسلاميين الذين يستشهد بشعرهم إلا من لم اقف على مجموع شعره ولم أره في خزانة وقف ولا غيرها (٢٤) .

وقد وصل من هذه الاجزاء العشرة ثلاثة اجزاء ، وأخيراً عثر على المجلد الثالث في مكتبة ييل (Yale) في الولايات المتحدة ، ويعكف على دراسته الباحث العراقي الدكتور محمد باقر علوان ، وقد صور لي منه اشعار بعض الشعراء الذين اوشك ان انتهى من تحقيق دواوينهم فله شكري .

وفي العثور على المجلد الثالث يكون ما وصل الينا من الكتاب قرابة النصف ولعل الايام تسعفنا في العثور على القسم الآخر الذي سيقدم للدارسين أكبر مادة شعرية .

يقع شعر الخطيم في الاوراق (١٢١ — ١٢٥) من منتهى الطلب من نسخة (لالهلي) ورقمها ١٩٤١ ومصورتها في معهد أحياء المخطوطات (جامعة الدول العربية) وهي ثلاث قصائد الاولى في ثلاثة وستين بيتاً ، والثانية في ستين بيتاً والثالثة في ستة وعشرين بيتاً (٢٥) .

ويعد بلدان ياقوت المصدر الثاني من مصادر شعر الخطيم ، فقد استشهد له بخمسة أبيات من القصيدة الاولى ، وبسبعة أبيات من الثانية ، وانفرد بايراد خمسة أبيات من غير قصائد منتهى الطلب . استشهد بها في مواضع متباعدة وانفرد أبو زيد الانصاري في نوادره بايراد

(٢٤) محمد بن مبارك بن محمد بن محمد بن ميمون . منتهى الطلب . الورقة / ٦ نسخة مصورة في مكتبتي .

(٢٥) من الجائز أن يكون جامع منتهى الطلب قد اعتمد في أشعار الخطيم كتاب أشعار اللصوص للسكري ، لأنه أورد مجموعة من أشعار اللصوص أمثال عبيد بن أيوب والسمهري اللص وجحدر بن معاوية اللص والقتال وفي حديثه عن عبيد الله بن الحر قال : « وجعله السكري من اللصوص ولم يكن لصا .. وهي عبارة توحي بالاعتماد على الكتاب المذكور ولكنه لم يدخله ضمن المجاميع التي أحصاها في مقدمته ..

بيتين ، تابعه في ايرادها الخالديان في الاشباه والنظائر ، ونسباهما للمرار بن بديل العبشمي وتتوزع مراجع شعره – وهي قليلة – بين مجموعة المعاني الذي استشهد له في موضعين وكتاب التشبيهات الذي استشهد له في موضع واحد ومثله ابو هلال العسكري في ديوان المعاني ، وابن الشجري في الحماسة ، والراغب في المحاضرات .

أما حماسة ابي تمام فقد احتوت قطعة واحدة نسبت سهواً في شرح المرزوقي إلى الخطيم وصححت نسبتها في شرح المرزوقي ، وبزيادة بيتين اوردها البصري في حماسته .

ان انهاء دراسة الخطيم المحرزي ومحاولة جمع ما توفر من شعره تمثل الحلقة الثالثة في مجال المحاولة التي ابذلها في جمع شعر اللصوص الذي يمثل جانباً انسانياً مهماً من جوانب الشعر العربي . بعد ان جمعت شعر مالك بن الريب وعبيد بن ايوب ، وسوف احاول ان شاء الله – ان اضيف إلى هؤلاء مجموعة اخرى من الشعراء لعل في توفير شعرهم ما يعيد على الدارسين بالنفع .

ولا يفوتني في الختام – وانا انهي هذه الدراسة – من تقديم شكري إلى الاخ الكريم الاستاذ محمد جبار المعيبد الذي قدم لي قائمة بما توفر لديه من مواضع شعر الشاعر فله شكري والسلام .

قال صاحب منتهى الطلب في اشعار العرب الورقة ١٢١

(١)

وقال الخطيم المحرزي من بني عبشمس وهو من اللصوص يستعطف قومه وهو مسجون بنجران (١) .

(من الطويل)

١ — أبت لي سعد أن أضام ومالك
وحي الرباب والقبائل من عمرو

٢ — وان ادع في القيسية الشم تأتني
قروم تسامى كلهم باذخ القدر

٢ — وان تلق ندماني يخبرك أنني
ضعيف وكاء الكيس لم أغذ بالفقر

٤ — وتشهد لي العوذ المطافيل أنني
أبو الضيف اقري حين لا أحد يقري

٥ — فلولا قريش سلكها ما تعرضت
لي الجن بله الانس قد علمت قدري

٦ — وما ابن مراس حين جئت مطرداً
بذي علة دوني ولا حاقد الصدر

٧ — عشية اعطاني سلاحي وناقتي
وسيفي جدى من فضل ذي نائل غمر

٨ — خليلي الفتى العكلى لم أر مثله
تحلب كفاه الندى شائع القدر

---

(١) — في هامش المخطوطة تعليق يقول : وبنو محرز بطن من عكل . ونجران هذه هي نجران اليمن .

٩ – كأن سهيلا ناره حين أوقدت
بعلياء لاتخفى على أحد يسرى

١٠ – وتيهاء مكثال اذا الليل جنها
تزمل فيها المدلجون على حذر

١١ – بعيدة عين الماء تركض بالضحى
كركضك بالخيل المقربة الشقر

١٢ – فلاة يخاف الركب ان ينطقوا بها
حذار الردى فيها مهولة قفر

١٣ – مريع بها قول الضعيف الا أسقني
اذا خب رقراق الضحى خبب المهر

١٤ – سمت لي بالبين اليماني صبابة
وانت بعيد قد نأيت عن المصر

١٥ – أتيح لذي بث طريد تعوده
هموم اذا ما بات طارقها يسري

١٦ – بنجران يقري الهم كل غريبة
بعيدة شأو الكلم باقية الاثر

١٧ – يمثلها ذو حاجة عرضت لـه
كئيب يؤسي بين قرنة والفهر (٢)

١٨ – فقال وما يرجو إلى الاهل ردة
ولا أن يرى تلك البلاد يد الدهر

١٩ – لعمرك اني يوم نعف سويقـة
لمعترف بالبين محتسب الصبر

(٢) في الهامش تعليق يقول : موضعان ولم أجدهما في بلدان ياقوت ولا معجم ما استعجم وإنما وجدت « فرنة » .

٢٠ ــ غداة جرت طير الفراق وأنبات
بنأي طويل من سليمى وبالهجر

٢١ ــ ومرت فلم يزجر لها الطير عائف
تمر لها من دون أطلالها تجري

٢٢ ــ سنيحا وشر الطير ماكان سانحا
بشؤمي يديه والشواجح في الفجر

٢٣ ــ فما أنس ملْ أشياء لاانس طائعا
وان اشقذتني الحرب الا على ذكر

٢٤ ــ عيوف الذي قالت : تعز وقد رأت
عصى البين شقت واختلافا من الهجر

٢٥ ــ عليك السلام فارتحل غير باعد
وما البعد الا في التنائي وفي الهجر

٢٦ ــ وعفت لجفن العين جائل عبرة
كما ارفض نجم من جمان ومن شذر

٢٧ ــ تهلل منها واكف مطرت به
جموم بملء الشأن مائحة القطر

٢٨ ــ وقالت تعلم ان عندي معشرا
يرونك ثأرا أو قريبا من الثار

٢٩ ــ فقلت لها اني ستبلغ مدتي
إلى قدر مابعده لي من قدر

٣٠ ــ ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بأعلى بلي ذي السلام وذي السدر

٣١ ــ وهل اهبطن روض للقطا غير خائف
وهل اصبحن الدهر وسط بني صخر

٣٢ – وهل اسمعن يوما بكاء حمامة
تنادي حماما في ذرى تنضب خضر

٣٣ – وهل أرين يوما جيادي أقودها
بذات الشقوق أو بأنقائها للعفر

٣٤ – وهل تقطعن الخرق بي عيدهية
نجاة من العيدي تمرح للزجر

٣٥ – طوت لقحا مثل السرار ونشرت
بأصهب خطار كخافية النسر

٣٦ – هبوع اذا ماالريم لاذ من الظلي
بأول فيء واستكن من الهجر (١)

٣٧ – وباشر معمور الكناس بكفه
الى أن يكون الظل أقصر من شبر

٣٨ – وقد ضمرت حتى كأن وضينها
وشاح عروس جال منها على خصر

٣٩ – حديثة عهد بالصعوبة ديثت
ببعض الركوب لاعوان ولا بكر

٤٠ – تخال بها غبَّ السرى عجرفية
على مالقين من كلال ومن حسر

٤١ – ولو مرَّ ميلٌ بعد ميلٍ وأصبحت
عتاق المطايا قد تغادرن بالفتر

٤٢ – وهل أرين بين الخفيرة والحمى
حمى النهر او يوماً بأكثبة الشعر

---

(٣) في الهامش تعليق يقول : الهاجرة .

م/١٧/ش

٤٣ ـ جميع بني عمي الكرام واخوتي
وذلك عصر قد مضى قبل ذا العصر

٤٤ ـ اخلائي لم يشمت بنا ذو شناءة
ولم تضطرب مني الكشوح على غمر

٤٥ ـ ولا منهم حتى دعتنا غواتنا
الى غاية كانت بأمثالنا تزري

٤٦ ـ أتيناهم اذ أسلمتهم حلومهم
فكنا سواءً في الملامة والعذر

٤٧ ـ فلأياً بلأيٍ مانزعنا وقبله
مددنا عنان الغي متسقاً يجري

٤٨ ـ فكنا لاقوام عظاتٍ وقُطعت
وسائل قربى من حميم ومن صهر

٤٩ ـ لحى الله من يلحى على الحلم بعدما
دعتنا رجال للفخار وللعقر

٥٠ ـ وجاءوا جميعاً حاشدين نفيرهم
الى غاية مابعدها ثمَّ من أمر

٥١ ـ وقلت لهم ان ترجعوا بعد هذه
جميعاً فما أمي بأم بني بدر

٥٢ ـ قدحنا فأورينا على عظم ساقنا
فهل بعد كسر الساق للعظم من جبر

٥٣ ـ بني محرز هل فيكم ابن حمية
يقوم ولو كان القيام على جمر

٥٤ ـ بما يؤمن المولى وما يرأب الثأى
وخير الموالي من يريش ولا يبري

٥٥ ـ كما انا لو كان المشرد منكم
لأبليت نُجحاً أو لقيت على عذر

٥٦ ـ لأعطيت من مالي وأهلي رهينة
ولا ضاق بالاصلاح مالي ولاصدري

٥٧ ـ بني محرز من تجعلون خليفتي
اذا نابكم يوماً جسيماً من الأمر

٥٨ ـ بني محرز كنتم وما قد علمتم
كفارية خرقاء عيت بما تفري

٥٩ ـ رأت خللا ماكله سدُ خَرزها
وأثأى عليها الخرز من حيث لاتدري

٦٠ ـ بني محرز ان تكنس الوحش بينكم
وبيني وتبعد من قبوركم قبري

٦١ ـ فقد كنت أنهي عنكم كل ظالم
وأدفع عنكم باليدين وبالنحر

٦٢ ـ مُعنىً اذا خصم ألد عليكم
بني محرز يوماً شددت له أزري

٦٣ ـ بحدّ سنانٍ يستعد لمثله
ورقم لسانٍ لاعييٍ ولا هذر

هوامش القطعة الاولى

٢ ـ في حماسة ابن الشجرى ١ / ٩٣ .. قروم تسامى كلها ...
٣ ـ في محاضرات الادباء ١ / ٣٦٢ وكاء لكيس لم أعد منه بالفقر
٤ ـ في حماسة ابن الشجري ١ / ٩٤. وتشهد لي العود .وهو تصحيف .
٣٢ ـ في بلدان ياقوت ١ / ٧٣٦ في ذرى قصب خضر .
٣٤ ـ في بلدان ياقوت ١ / ٧٣٦ وهل يقطعن
تجاه من العبدي تمرج للزجر
والعجز كله محرف .
٤٢ ـ في بلدان ياقوت ٢ /٣٤٤ ، ٣ /٢٩٩ حمى النير يوما أو باكثبة الشعر.
٤٣ ـ في بلدان ياقوت ٢ /٣٤٤ جميع بني عمرو ..

(٢)

قال صاحب منتهى الطلب في أشعار العرب الورقة / ١٢٣ .
وقال الخطيم أيضاً لسليمان بن عبدالملك وقد استجار به :

(من الطويل)

١ — وقـائلة يوماً وقد جئت زائرا
رأيـت الخطيم بعـدنا قد تخـددا

٢ — أمـا ان شيبي لايقـوم به فتى
اذا حضر الشـح اللئيم الضفنـددا

٣ — فـلا تسخري مني أمامـة ان بدا
شـحوبي ولا ان القميـص تقددا

٤ — فاني بأرض لايرى المرء قربهـا
صديقاً ولا تحلي بهـا العين مرقـدا

٥ — اذا نام أصحابي بها الليل كـلـه
أبت لاتذوق النـوم حتى ترى غدا

٦ — أتَذكَر عَهْد الحارثية بَعْدما
نـأيت فـلا تسطـيع ان تَتَعَهدا

٧ — لَعَمرك ما أحببت عزة عن صبا
صبته ولا تسـبي فُؤادي تَعَمـدا

٨ — ولكـني أبْصرْت منها مَلاحَة
ووجها نَقياً لونُه غـير انـكَـدا

٩ — من الخفرات البيض خمصانة الحشا
ثقال الخطا تـكسو الفَريد المُقَلَـدا

---

١ — قال المفضل بن سلمة في الفاخر / ٢٩٧ وهو يقدم للبيت : قال الخطيم بن المحرزي يصف غديرا شبه مشي المرأة به .

١٠ ــ فقد حلّيت عيني بها وهَوِيتها
هوى عرض مازال مذ كنت أمردا

١١ ــ كأن من البردي ريّان ناعماً
بحيث ترى منها سواراً ومعضدا

١٢ ــ تهادى كعوم الرك كعكعة الصبا
بأبطح سهل حين تمشي تأودا (١)

١٣ ــ يهيمُ فؤادي ما حييتُ بذكرها
ولو انّني قدمت هام بها الصدا

١٤ ــ لها مقلتا مكحولة أم جؤذر
تراعي مهاً أضحى جميعاً وفردا

١٥ ــ وأظمى نقياً لم تفلل غروبه
كنور أقاح فوقَ اطرافه الندى

١٦ ــ لدى ديم جادت وهبت له الصبا
تلقين أياماً من الدّهر أسعدا

١٧ ــ فلا والذي من شاء اغوى فلم يكن
لهُ مرشد يوماً ومن شاء أرشدا

١٨ ــ يمين بلاء ما علمت بسيء
عليها وان قالَ الحسود فأجهدا

١٩ ــ وإني لمشتاق إلى الله أشتكي
غليل فؤاد قد يبيتُ مسهدا

٢٠ ــ وما لامني في حب عزّة لائم
من الناس إلا كان عندي من العدا

٢١ ــ ولا قال لي احسنت إلا حمدته
بما قالَ لي ثم اتخذت له يدا

(١) قال المفضل بن سلمة في الفاخر / ٢٩٧ : وهو يقدم للبيت
قال الخطيم بن نويرة المحرزي يصف غديراً شبه مشي المرأة به .

٢٢ ـ فلو كنتُ مَشْغوفاً بعزة مثل ما
شَغفت بها ما لمتَـني يـا ابن أربدا

٢٣ ـ إذن لازدهاك الشوق حتى ترى الصبا
مِن الجَهلِ في أدنى المعيشة أحْمدا

٢٤ ـ وَما لمتني في حُبِها بَل عَذرتَنِي
فَأصبَحتَ من وجد بعزة مَقصَدا

٢٥ ـ لَيالِيَ اهْلانَا جَميعاً وَعَيْشنَا
رَبيعُ وشعْبَا الحيْ لم يتَبَدّدا

٢٦ ـ لهَا بينَ ذي قَار فَرمل مخفَق
من القَف أو من رَملَة حين اربدا

٢٧ ـ أواعس في بَرث من الارض طَيب
وأودِيَة ينْبِتن سدرا وغرقَدا

٢٨ ـ أحَبْ اليْنَا من قُرى الشَامِ مَنْزلا
وأجْبَالهَا لَو كان ان أتَسودَدا

٢٩ ـ أعُوذُ بربي أن أرى الشَام بَعْدَها
وعَمْانَ مَا غَنّى الحَمَام وغَردا

٣٠ ـ فَذاك الذي استَنْكَرتُ يَا أم مَالك
وأصبحتُ منْهُ شَاحب اللَون أسودا

٣١ ـ واني لماضي الهَم لَو تَعلَمينه
وركَابُ أهَوال يخافُ بها الرَدى

٣٢ ـ وَمسعَر حَرب كنْتُ ممن أشبها
إذا ما الجبان النكس هَاب وعَرّدا

---

٢٦ ـ في بلدان ياقوت ٤/٤٤٣ او من رملة حين ابردا

٢٨ ـ في بلدان ياقوت ٤/٤٤٣ واجبالها لو كان انأى تودد

٣٠ ـ في بلدان ياقوت ٣/٧٢٠ فاصبحت منه

٣١ ـ في بلدان ياقوت ٣/٧٢٠ واني لماضي العزم ..

٣٣ – وازداد في رغم العدو لَجاجَةً
وأمكن من رأسِ العدو المهندا
٣٤ – ويعجبُني نص القلاص على الوَجَا
وان سرنَ شهرا بعدَ شهر مطرَّدا
٣٥ – عَواسِنُ خرق مالهن تَثية
إذا ملنَ في سُهب تعرفنَ قرددا
٣٦ – يخضن بأيديهن بيداً عريضة
وليلاً كأثناء الرويزي أسودَا
٣٧ – إذا مال جُل الليل أو طرّق الكرى
أثرن قطاً من آخر الليل هجدا
٣٨ – ورحلي على هوجاء حرف شَمْلة
ذمُولُ إذا التاثُ المطيُّ وهوَّدا
٣٩ – موثقة الانساءِ مضبورة القرى
تسُوم بهاد في القلادة أقودا
٤٠ – على مرسات الجندل الصم رفعت
بهنَّ كما رفعتَ ظلا ممددا
٤١ – لها عجزٌ تمتْ ورجلُ قبيضة
تشُل يداً ما الخطو فيها بأحردا
٤٢ – بها أثرُ في موضع النسع لاحب
ومصدر فضل النسع من حيث أوردا
٤٣ – جرى النسعُ منصباً من الرحل واردا
فلما مضى من خلفه الرحل أصعدا
٤٤ – إلى كاهل منها إذا شد فوقه
بأحبُلهِ الميسُ العلافيُّ أوفدا
٤٥ – كأن أمام الرحل منها وخلفه
صفيحا لدى صفقي قراها مسندا

٤٦ ــ سفينة برٌّ تحت أودع لا تني
براكبهَا تجتَاب سهبًا عَمَــرِدا

٤٧ ــ إذا امتد أثناء للزمَام ازدهت به
كمَا يزدهي الذعر الظليم الخفيددا

٤٨ ــ تذاءَبُ أحيَانا مراحاً وحدَّةً
زهتها فَمَا بَالَيْت إلا تزبّــدا

٤٩ ــ بذي شقة جواب أرض تقاذفت
به سَار حتى غَار ثمت أنجـــدا

٥٠ ــ اعذْني عيَاذاً يَاسليْمَان انني
أتيتك لمَا لم أجـد عنْك مُقْعَدَا

٥١ ــ لتؤمنني خوف الذي أنَا خَائف
وتبلغني ريقي وتنظرني غَـــد ا

٥٢ ــ فرارا اليْك من ورائي ورهبْة
وكُنْت أحَق الناس أنْ أتعَمَدا

٥٣ ــ وانْت امرؤ عودت نفسك عادة
وكُل امرىءٍ جَارٍ عَلَى مَا تعَودا

٥٤ ــ تعَودت ألا تُسلمَ الدهرَ خائفا
أتَاك ومنْ أمنَته أمن الـــردى

٥٥ ــ أجرت يَزيد بن المهَلب بعدما
تبين من بَاب المنيَة مَــوردا

٥٦ ــ ففرجت عنْه بَعْدمَا ضاق أمره
عليْه وقَد كَان الشريدَ المطـردا

٥٧ ــ سننت لأهل الأرض في العدل سنة
فغار بلاءُ الصدق منك وانجـدَا

٥٨ ــ وانْت المُصفّى كل امرك طيب
وانت ابن خير الناس إلا محمّدا

٥٩ ــ وانْت فتى أهل الجزيرة كلهَا
فعَالا واخلاقا واسمحهم يَــد ا

٦٠ ــ وأنت من الأعياص في فرع نبعةٍ
لهَا نَاضر يهتَز مجدا وسُــؤددا

(٣)

قال صاحب منتهى الطلب في أشعار العرب الورقة / ١٢٤ .
وقال ايضا :

(من الطويل)

١ — نزلنا بمخشي الردى آجن الصَّري
تنَاذره الركبَان حدب المُغلّـــل

٢ — غشاشاً (حلا) حتى روين وعلّقوا
أداوى سقَوا فيهَا ولمّا تبلّــل(١)

٣ — واشعث راض في الحياة بصحبتي
وان متُّ آسى فعل خرق شمردل

٤ — تبدل بالنُّعمَى بئيساً وشَقّـــهُ
مخاوف تزري بالغَريو المُغَفّــل

٥ — طَريدِ مَطَا حتّى كأن ثيابه
عَلى جلد مسجُون وان لم يكبـل

٦ — دنَا لي فأعداني وقَال وقد بَدت
شَواهد مشهُور أغَرَّ محجّــل

٧ — وقَال وقَد مَالت به نشوة الكرى
نعَاساً ومن يعلق سرى الليل يكسل

٨ — أنخ نعط أنضاء النعاس دواءها
قليلا ورفه عَن قلائص كلّــل

٩ — فقلت له كيف الاناخة بعدَمَا
حدَا الليل عريَان الطريقَة منجلي

(١) كذا في المخطوطة ولعل تحريفا أو تصحيفا اعترى اللفظة .

٤ — في الحماسة البصرية ٢/٣٦٠ .. تبدل بالغمى . وهو تحريف
٨ — في الحماسة البصرية ٢/٣٦٠ انج تعط .. عن قلائص ذبل وفي حماسة ابي تمام (المرزوقي) ٤/١٨١٤ قلائص ذبل

١٠ ـ ألا نرهب الاعداء أن يمحلوا بنا
أو البعث من ذاك الأمير الموكل

١١ ـ واشعث قد ألقى الوسادة فانطوى
إلى دف منجاة الذراعين عيهل

١٢ ـ وقد ضمرت حتى كأن وضينها
وشاح بكفي ناهدٍ لم تسربل

١٣ ـ وهن يقطعن اللغام كأنه
سبائخ من قطن بأذرع غزل

١٤ ـ فألقى بثنييه على شرخ رحلها
أخو قفرات ثم قال لها حل

١٥ ـ إذا وثبت من مبرك غادرت به
دماً من اظلّ راعفٍ لم ينعّل

١٦ ـ ألم تعلمي يا عمرك الله أنني
أضمن سيفي حقّ ضيفي ومرجلي

١٧ ـ إذا الشول راحت وهي حدب ظهورها
يسفن مقذّى مقرمٍ لم يجزّلِ

١٨ ـ فأجلت وقد أمكنته من عقيرة
تخيرتها سمنى أيانق بزّل

١٩ ـ أفزّ نساً من بعد ساق أثرّها
لعاب الفرند الخالص المتنخل

٢٠ ـ ولست بقوال إذا قال صاحبي
أفعل لك الخير مرني أنت ماشئت

٢١ ـ ولكنني أقضي له فأريحه
ببزلاء تنجيه من الشك فيصل

---

٢٠ ـ في أساس البلاغة/١٩ ألم تر أني لا أقول لصاحب إذ قال مرني

٢١ ـ في أساس البلاغة/١٩ ولكنني أفري له

٢٢ ـ وداعٍ دعا والليل من دون صوته
بهيم كلون السندس المتجلل

٢٣ ـ دعا دعوة عبد العزيز وعرقلا
وما خير هيجا لا تحش بعرقل

٢٤ ـ ألا أيها الغادي لغير طريقه
تناه ولما تعي بالمتنزلِ

٢٥ ـ ولما أقل فاها لفيك فإنما
ختلت رقيب الوحش غير مختل

٢٦ ـ لعمرك أن المستثير عداوتي
لكالمتبغّي الشكل من غير مشكل

قال الخطيم العكلي :

(٤)

(من الطويل)

١ ـ بني ظالم انْ تظْلُمُوني فإنني
إلى صالِحَ الأقْوامِ غير بغيْض

٢ ـ بني ظالم انْ تمنعوا فضل مابكم
فإنّ بِساطي في البِلادِ عريض(١)

٣ ـ فإن « المعا » لم تسكنوا الدهر عزة
به العلجان المرءُ غير أريض (٢)

(٥)

قال الخطيم العكلي اللص :

(من الطويل)

١ ـ أمن عهد ذي عهد بحومانة اللوى
ومن طلل عاف ببرقة عاذب

(١) في البيت أقواء .

(٢) يوم المعا من أيام العرب قتل فيه عبدالله بن الرائش الكلبي .

٢ ـ ومصرع خيم في مقام ومنتـأى
ورمد كسحق المرنباني كاتب (١)

(٦)

وقال القالي : وأنشدنا أبو محلم الخطيم بن نويرة العكلي :

(من الطويل)

١ ـ ألا يالقومي للشباب الذي مضى
حميدا واخدان الصبا والكـواعب

٢ ـ وللعُصر الخالي وللعيش بهجة
وللقلب إذ يهوى هوى ابنة ناشب

٣ ـ وجاراتها اللاتي كأن عيونـها
عيون المها يفقهننا بالحواجب (٢)

٤ ـ حديثا مسـدى من نسيج ينرنه
من الود قـد يلحمنه بـا لمعـاتب

(٧)

قال الخطيم بن محرز أحد بني عبد شمس وادرك الاسلام :

(من الطويل)

١ ـ أبـا قَطَري لا تصارع فانني
أرى قِرنك الأعلى وايـاك أسفلا

٢ ـ أراك إذا ناوأت قِرنا سبقتـه
إلى الأرض واستسلمت للموت أولا (٣)

---

(١) المرنباني : الفرو وجاود الثعالب ،وكائب أراد كائب اللو ن .
(٢) جاء بعد البيت .قال أبو الحسن الأخفش : معناه يقبضنها .
(٣) وذكر الأنصاري بعد البيتين فقال :ورواه أبو العباس محمد بن يزيد : واستبسلت.

تخريج القصائد

(١)

الابيات (١ ـ ٦٣) في منتهى الطلب في أشعار العرب الورقة / ١٢١ ـ ١٢٢ . والابيات (١، ٢، ٤) في حماسة ابن الشجري ١ / ٩٣ ـ ٩٤ . والبيت الثالث في محاضرات الادباء ١/٣٦٢ والتاسع في مجموعة المعاني /١٥٠ والابيات (٣٠ ـ ٣٤) في بلدان ياقوت ١/ ٦٩ والبيت (٣١) في بلدان ياقوت ٢ / ٨٥٦ والابيات (٣٨، ٣٩، ٤٠) في مجموعة المعاني / ١٨٣ والبيت (٣٨) في تشبيهات ابن أبي عون / ٦٧ وقد نسب خطأ إلى ابن الخطيم وتابعه في هذه النسبة العسكري في ديوان المعاني ٢ / ١١٩ ونسبه في حماسة ابن الشجري / ٧٠٢ إلى الخطيم الحرزي وهو تحريف المحرزي . (ووهم محققا الحماسة في هامش البيت حيث ذكر سمط اللالي / ٤٠ والصحيح) : ان اشارة إلى الابيات وردت في الذيل / ٤٠) .والبيتان(٤٢، ٤٣) في بلدان ياقوت ٣٤٤/٢ ، والبيت (٤٢) في بلدان ياقوت ٣ /٢٩٩ .

(٢)

الابيات (١ ـ ٦٠) في منتهى الطلب في اشعار العرب الورقة / ١٢٣ . والبيت (١٢) في الفاخر / ٢٩٧ ، والابيات (٢٦، ٢٧، ٢٨) في بلدان ياقوت ٤٤٣/٤ ، والبيت (٢٧) في بلدان ياقوت ١/٧٠٣ والابيات (٢٩، /٣٠، ٣١) في بلدان ياقوت ٧٢٠/٣ .

(٣)

الابيا (١ ـ ٢٦) في منتهى الطلب في أشعار العرب الورقة / ٤٩ . و لابيات (٣، ٤، ٧، ٨، ٩) في الحماسة البصرية ٢ / ٣٥٩ ـ ٣٦٠ ووهم صاحب الحماسة البصرية فادخل بيتين مختلفين وزنا وشكلا في آخر الابيات . واعتبرهما من أبيات القصيدة وهما غير مذكورين في ابيات القطعة . والابيات (٧،٨،٩) في حماسة أبي تمام / المرزوقي ١٨١٤/٤ ونسبت إلى حطيم وهو تصحيف ، والبيتان (٢٠، ٢١) في أساس البلاغة / ١٩ ونسبا لبعض فتاكم .

(٤)

الابيات (١ ـ ٣) في بلدان ياقوت ٥٧٠/٤ .

(٥)

البيتان في بلدان ياقوت ٥٨٤/١ .

(٦)

الابيات في ديل الامالي ٨٣ .

(٧)

البيتان نسبا للخطيم المحرري في نوادر أبي زيد / ١١٥ ونسبا في أشباه الخالدين١ /٢٦٥ للموار بن بُديل العبشمي .

مراجع تحقيق الشعر

البكري : أبو عبدالله بن عبدالعزيز (ت – ٤٨٧هـ) .

١ – سمط اللآلي – تحقيق عبدالعزيز الميمني – مطبعة لجنة التأليف – القاهرة – ١٣٥٤ – ١٩٣٦

أبو تمام : حبيب بن أوس الطائي (ت – ٢٣١ هـ) .

٢ – الحماسة – شرح المرزوقي (ت – ٤٢١) نشره أحمدأمين وعبدالسلام هارون – مطبعة لجنة التأليف – القاهرة ١٣٧١ – ١٩٥١ .

الخالديان : أبوبكر محمدبن هاشم (ت – ٣٨٠) وأبوعثمان سعيد بن هاشم (ت – ٣٩١)

٣ – الاشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين – تحقيق الدكتور محمد يوسف – مطبعة لجنة التأليف – القاهرة – ١٩٥٨ – ١٩٦٥

الراغب الاصفهاني : حسين بن محمد (ت – ٥٠٢هـ) .

٤ – محاضرات الادباء – طبعة قديمة – ١٢٨٧ هـ .

الزمخشري : جارالله محمود بن عمر (ت – ٥٣٨) .

٥ – أساس البلاغة – دار الكتب – ١٣٤١ .

أبو زيد الانصاري : سعيد بن أوس بن ثابت (ت – ٢١٥ هـ) .

٦ – النوادر في اللغة . دار الكتاب العربي – بيروت – ١٣٨٧ – ١٩٦٧ .

ابن الشجري : هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني (ت – ٥٤٢) .

٧ – الحماسة الشجرية – تحقيق عبدالمعين الملوحي وأسماء الحمصي . منشورات وزارة الثقافة – دمشق – ١٩٧٠ .

العسكري : أبو هلال : الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد (ت – ٣٩٥)

٨ – ديوان المعاني – القاهرة – ١٣٥٢ .

ابن أبي عون: ابراهيم بن المنجم الانباري (ت ـ ٣٢٢) .

٩ ـ التشبيهات ـ تحقيق محمد عبدالمعيد خان ـ كمبردج ـ ١٩٥٠ .

القالي : أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ـ ٣٥٦)

١٠ ـ الامالي والذيل ـ دار الكتب ـ القاهرة ـ ١٣٤٤ .

ابن مبارك: محمد بن مبارك بن محمد بن محمد بن ميمون (من رجال القرن السادس الهجري)

١١ ـ منتهى الطلب من أشعار العرب ـ نسخة مصورة من مخطوطة مكتبة السليمانية باستانبول .

مجهول : مؤلف مجهول .

١٢ ـ مجموعة المعاني . القسطنطينية ـ الجوائب . ١٣٠١ هـ .

المفضل بن سلمة ـ أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (ت ـ ٢٩١) .

١٣ ـ الفاخر ـ تحقيق عبدالعليم الطحاوي ـ دار أحياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ١٣٨٠ ـ ١٩٦٠

ياقوت : ابن عبدالله الرومي (ت ـ ٦٢٦) .

١٤ ـ معجم البلدان ـ تحقيق فيستنفيلد ـ لايبزك ـ ١٨٦٦ ـ ١٨٧٠ .



العُدَيْلُ بنُ الفَرْخِ العِجْلِيُّ

في حياة العُديل بن الفرخ اسمان يأخذان باكثر اخباره ، ويدوران في أهم حوادثه التي مَرّ بها ،ويتصلان أحياناً للعلاقة التي تشد بينهما في بعض الروايات.وهذان الاسمان هما دابغ والحجاج .

ودابغ هذا كان عبداً لعمرو وهو ابن عم العُديل ، تزوج بنت عم للشاعر بغير أمره فغضب هو واخوته ،ورصدوه ليضربوه ،فخرج عمرو ومعه هذا العبد ، فوثب العُديل واخوته ،فاخذوا سيوفهم ، فانطلقوا حتى لقوا عَمْراً فلما رآهم ذُعر منهم وناشدهم فأبوا ،فحمل عليه سَوادة فضرب عمراً ضربةً بالسيف ، وضرب به عمرو فقطع رجله فقال سوادة :

الا من يشتري رجلاً برجل
تأبى للقيام فلا تَقُومُ

وقال عمرو لدابغ : اضرب وانتَ حرّ ، فحمل دابغ ،فقتل منهم رجلا وحمل عمرو فقتل آخر ،وقد أولاهم ،فقتلا منهم أربعة،وضرب العُديل على رأسه ثم تفرقوا وهربَ دابغ .

ولكن الأمر لم ينته إلى هذا الحد ، وإنما يأخذ وضعاً جديداً ، وتسير الأحداث سيرة أخرى حتى تكتمل الصورة ، فيخرج العُديل حاجاً ، ويعلم أن دابغاً هو الآخر قد خرج حاجّاً ، فيجعل العُديل عليه الرصد ،ويقتفي أثره ،وينطلق يتبعه حتى يلحق به ، وفي غمرة استعانة يطلبها العديل،يستجيب لها دابغ يهوي الشاعر بالسيف على دابغ فيشفي له غليله ثم يركب راحلته فينجو،ولكن مولى دابغ يستعدي على العُديل الحجاج بن يوسف فيطالبه بالقود ،فهرب العُديل إلى بلد الروم ، ويلجأ إلى قيصر فيأمنه،وفي هذه الصورة تتحول القضية مباشرة إلى خصومة بين العُديل والحجاج ، لأن تصور الشاعر كان في غير محله وهو يُحس بأن الأرض الواسعة، والجبال الممتدة ،والصحاري المقفرة ستظل مانعاً بينه وبين الحجاج ، وقد تجلت هذه الحقيقة في أبياته :

أخوف بالحجاج حتى كأنما
يُحَرّك عظم في الفؤاد مهيض

ودون يد الحجاج من أن تنالني
بساط لأيدي الناعجات عـريـض

مهامه أشباه كـأن سرابـهـا
ملاءٌ بأيدي الراحضات رحيض

ولكن هذه المشاعر التي تملكت الشاعر ، والامان الذي تصوره لم يكتب له الاستمرار لأن الحجاج ابلغ بالشعر ، وكان صورة تحمل جوانب التحدي . وقولا تتعالى فيه اصوات الانفلات من عقوبة القانون فكتب – كما تقول الروايات – الى قيصر ، كلمته المعروفة: لتبعثن به أو لاغزينك جيشاً يكون اوله عندك وآخره عندي (١) · ولابد لنا ونحن نقرأ الخبر ، وندرس الاسباب التي من اجلها كان هذا الخبر . لا بد لنا من التريث في تصديقه تصديقاً كاملاً ، أو الايمان بقبوله قبولا مطلقاً ، لأنه ليس من السهل ان يتسرع الحجاج مثل هذا التسرع فيكتب هذا الكتاب ، ولم تكن القضية التي يغضب من اجلها قضية مصيرية حتى يأتي الرد على هذه الصورة .

ان الموضوع لابد ان يكون قد أصابه شيء من المبالغة ، وان القضية قد وضعت في قالب آخر ، ولكن الغرض الذي يفسر هذه المبالغة لايخرج عن الاطار الذي يريد أن يظهر قدرة الحجاج او بطشه او يربط بين مايقال عنه او يشاع عن جبروته ، وهي صورة ظلت كتب التاريخ والادب تدور في مجالها ، وقد احيطت اخبار هذا الرجل بهالة من التخويف ، ولا يمكن معرفة المدى الذي ظلت فيه اخباره الحقيقية على حقيقتها ، ولعلّ الصورة التي يقدمها الشاعر لهذا الرجل تكشف كثيراً من الجوانب التي اطمستها اقوال الجانب الآخر ، التي اضيفت اليه . فهو شاعر عاش الغربة جراء مطاردة الحجاج له ، وظل يعيش حياته طريد الهم ، وشريد التفرق . ومع هذا فإن الصورة التي يقدمها – وهي صورة تقترن بالخوف – توحي بما كان يتصف به من صفات ، وهي جانب يجب ان يأخذ بعده عند المؤرخين الذين يكتبون عن الرجل ، او يؤرخون الى فترته التي احاطت بها كثير من الاخبار التي تحتاج الى التمحيص والتدقيق ، وربما كان هذا الجانب هو التفسير الحقيقي للتناقض المذكور في اخبار الحجاج ، ولعلّ رجال التاريخ اقدر على تمييز ماوقع فيها وما لم يقع ..

---

١ – أبو الفرج : الأغاني ٢٢ / ٣٣٠

إن هذا التساؤل الذي ترك بصماته واضحة على حياته ، وجعل هذه الحياة ضرباً من التشرد لاينحصر في مسألة دابغ وديته ، لكن ابا الفرج يقدم لنا سبباً آخر يجعله من اسباب هذا التشرد ، وهو ان العديل بن الفرخ خرج يريد الحجاج فلما صار ببابه حجبه الحاجب فوثب عليه العديل وقال : انه لن يدخل على الامير بعد رجالات قريش أكبر مني ، ولا أولى بهذا الباب ، فنازعه الحاجب الكلام فاحفظه ، وانصرف العُديل عن باب الحجاج إلى يزيد بن المهلب ،فلما دخل عليه انشأ يقول : (١)

لئن ارتجَ الحجاج بالبخل بابه
فبابُ الفتى الأزديّ بالعُرف يفتح

فتىً لا يبالي الدهر ما قلّ ماله
إذا جعلت أيدي المكارم تسنح

يداه يدُ بالعرف تنهب ما حوت
وأخرى على الأعداء تسطو وتجرح

الخ . . .

ان الحقيقة التي تبدو من خلال هذين النصين ان العُديل قد هرب من الحجاج،وقد تكون أسباب الهرب ماذكره أبو الفرج أو أسباب أخرى لم تحدد فالجاحظ يروي خبراً عن أبي عبيدة يقول فيه : كان بين الحجاج وبين العُديل بن فرخ العجلي بعض الأمر فتوعده الحجاج . . وعبارة بعض الأمر كبيرة وتطوي في محتواها مدلولات واسعة ولكنها توحي بان الأمر له علاقة مباشرة بهما .. (٢) ويؤكد هذه العلاقة ابن قتيبة في معرض حديثه عن العديل فيقول : وكان هجا الحجاج فطلبه ، فهرب إلى قيصر ملك الروم (٣) ولكن الخبر الأكيد هو أن الشاعر هرب ،وان الحجاج لجّ في طلبه واعراض هذه الاحداث تتضح من خلال الحالة النفسية التي كان يعانيها الشاعر ،فالأرض لفظته ، ونبا به كلّ مكان هرب اليه ،وبدأ حب الحياة يجد صورته في نفسه احساساً بالالتصاق بها وتعلقاً بأهدابها ،فعندما أتى بكر بن وائل وهم يومئذ بادون شكا اليهم أمره وقال لهم :أنا مقتول ،أفتسلموني ،هكذا وأنتم أعزّ العرب؟ قالوا لاوالله ... فيقيم فيهم وتجتمع وجوه بكر بن وائل إلى الحجاج ويجمعون على أن يقولوا أنهم جنوا جناية لايغفر مثلها (٤) .

(١) أبو الفرج : الأغاني ٢٢ / ٣٣٠

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ١ / ٣٦٧

(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء / ٣٢٥

(٤) أبو الفرج : الأغاني ٢٢ / ٣٣١ – ٣٣٢

ان هذا الاجماع الذي يذكره أبو الفرج ، وهذا الخبر الذي يرويه من أن وجوه بكر كلها تذهب إلى الحجاج لتعترف له بالجناية ،وتطلب منه الحكم . يمكن أن يقدم علامة أخرى من العلامات المضيئة التي تكشف عن الذنب الذي ارتكبه ، وهو حتماً لم يكن قتل دابغاً ، لأن دامغاً لايشكل مثل هذه الخطورة التي تحمل وجوه بكر للاعتذار وتحملهم على أن يضعوا أنفسهم موضع الاتهام وفاءً لحق اللجوء أو اكراماً للشكوى التي شكاها العُديل لهم بعد أن ضاقت به الأرض ونبا به كل مكان .

ومابالنا نذهب هذه المذاهب في تحديد صرامة العقوبة،واجوبة الحجاج في كل خبر تحدد لنا عظم الجناية ففي الأولى يذكره ببيته القائل : ودون يد الحجاج من أن تنالني...

فقال العُديل: لم أقل هذا أيها الامير ولكني قلت : (١)

إذا ذكر الحجاج أضمرتُ خيفة
لها بينَ احناء الضلوعِ نفيض

فتبسم الحجاج ؛وقال : أولى لك . وعفا عنه وفرض له .

وتذهب بعض الروايات إلى أبعد من هذا في مطاردة الحجاج له ، فقد ذكر أبو الفرج : ان العديل قال لرجل من موالي الحجاج كان وجهه في جيش إلى بني عجل يطلب العديل حين هرب منه ،فلم يقدر عليه .فاستاق ابله ،واحرق بيته، وسلب امرأته وبناته واخذ جلهن(٢) .

ولعل الخبر الذي يأتي عرضاً في حديث أبي الفرج عنه يكشف عن دافع آخر من دوافع مطالبة الحجاج له، لأن الأبيات التي قالها العديل عندما قدم الحجاج العراق فسرها بأنها تحريض أهل العراق عليه وعندما علم الشاعر بهذا التفسير ، وأدرك الغرض الذي طواه في نفسه من وراء هذه الأبيات فهرب ، فجدّ الحجاج في طلبه حتى ضاقت عليه الأرض ، فأتى واسطاً وتنكر واخذ رقعته بيده ودخل على الحجاج في أصحاب المظالم ،فلما وقف بين يديه أنشأ يقول :

هأنذا ضاقت بي الأرضُ كلها
اليك وقدْ حوّلْتُ كلّ مكان

فلو كنتُ في ثهلان أو شعبتي أجا
لخلتُكَ إلا أن تُصدّ تراني

---

(١) أبو الفرج : الأغاني ٢٢ / ٢٣١

(٢) أبو الفرج : الأغاني ٢٢ / ٣٣٦

فقال له الحجاج : العديل أنت ؟ قال نعم ، أيها الأمير ، فلوى قضيب خيزران كان في يده في عنقه ،وجعل يقول : ابه

بساط لأيدي الناعجات عريض

فقال : لابساط إلا عفوك ، قال : اذهب حيث شئت

قد تكون الصورة البارزة في حياته نابعة من هذا المحور الذي أصبح اطاره يضم مجموعة المشاعر الخائفة ، والأحاسيس القلقة وهو يتحرك متنكراً ، أو يتنقل مذعوراً ، او يحتمي شاكياً ، حتى اصبحت طابعاً متميزاً لحياته ، وقيل انه كان لايحُلُّ ببلدة إلا ريع لأثر يراه من آثار الحجاج فيهرب حتى أبعد ، فقد انصرف عن باب الحجاج إلى يزيد بن المهلب (١) مرة ، وأتى بكر بن وائل فشكا اليهم امره ثانية (٢) ولجأ إلى عفير بن جبير بن هلال ثالثة (٣) ، وأتى واسطاً وتنكّر رابعة (٤) . وهو في كل مرة يذوق لوعة التشرد ، ويتجرع غصص المطاردة والغربة .

ان قصائده أو مقطعاته التي ذكرفيها الحجاج كانت تنم عن المنزلة الكبيرة التي كانت تحتلها شخصيته في نفس الشاعر ، ولم تكن شخصية الحجاج وحدها قد اخذت هذه المكانة وانما كانت منزلة محمد بن الحجاج قد اخذت بُعداً آخر في حياة الشاعر ، فمحمد في مفهوم الشاعر يقع في أرومة ثقيف ، وهو ابيض مثل السيف ، جادت به غرّاء منجبة ، من فرع سعد لها مجد وتكريم ،نواله جزيل، يهب المائة من الاشباه والجرد ، ويتبعها البيض الرعابيم، ويرى الشاعر ان البخل عنده مذموم ، وهو الذي بسط لسان الشاعر بعد غصته ، وهو الذي جبر جناحه بعد ان هضم ومجموعة من الصفات التي كانت تجد مكانتها في عصره ، ويحمد بهاالناس إذا ذكرت مقرونة باسمائهم .

وكانت تندُّ من خلال شعره اشارات توحي بالاعتذار ، وتذكرنا بمقولات النابغة، حتى كأنَّ الصورة كانت تتكرر عند كليهما ، والعديل يؤكد هذا في شعره فيقول (٥)

---

(١) أبو الفرج : الأغاني ٢٢ / ٣٣٠

(٢) أبو الفرج : : الأغاني ٢٢ / ٣٣١

(٣) أبو الفرج : آلأغاني ٢٢ / ٣٣٨

(٤) أبو الفرج : الأغاني ٢٢ / ٣٤١

(٥) القطعة رقم / ١٤

وانَّ لِساني عنكم قد علمتم
لعَفٌّ واني دونكم لعَضوض

واني لما حمّلتم من مُلمة
تضيقُ بها اعطانكم لنهوض

يخشونني الحجاجُ حتى كأنما
يحرّكُ عظم في الفؤاد مهيضُ

إذا ذكرَ الحجاجُ اضمرت خيفةً
إلى القلب حتى في الفؤاد مضيضُ

وقد اخذ حديث الوشاة مكانه في نفسه وشعره ، لان هذه الاحاديث ظلت تحددُ حركته ، وظلت تعمل عملها في توجيه حياته ، وكان يعاني منها معاناة مؤلمة ، ويشعر بما جرّته عليه من تشرّد (١) .

وقدْ قيلَ حتى ما أبَالي حديثَهُ
اقاويلُ مينٍ باطلٌ وظنُونُ

اقاويلُ اقوامٍ وقالةُ نِسوَة
يقلْنَ ولما يأتهنَّ يقين

فإن الذي حُدِّثتُ رقى حديثَهُ
عدو لحبل المسلمين لعين

ان انتساب العُديل إلى بكر بن وائل زوده بطاقة وفيرة من الفخر وقدم له ثروة من العطاء الذي يستطيع بواسطته ان يفخر ، وقد ظلت بكر انشودة وطنية من اناشيد الاعتزاز في شعره ، ولحناً حماسياً من الحان الفخر ، وقد ظلت ايامهم خالدة في سجل فخره يستلّ منها روائع الانتصار .. (٢)

على الصيد من بكر ذوي التاج إنهم
كرامُ القرى حشدٌ إذا السّرح اجدبا

إذا قطر آفاق السماءِ رأيتَهُ
من المحلِ بحمرّ الجوانب أصهبا

(١) القطعة رقم /٢٨
(٢) القطعة رقم /٢

وجدتُ الجفَان الروح حَول بيوتهم

لمنْ باتَ في ناديهم ان يُحجَّبا

وهي ابيات طويلة فيها يعدد مناقبهم ويشيد بمآثرهم ..

هذه الخطوات المتباعدة من حياته ، وهذه الاشارات التي تحدد صلاته بمعاصريه — على الرغم من الخوف الذي استحوذ عليه ، والهلع الذي استبدَّ به — تضع لنا مجموعة من المؤشرات التي توحي بأنفة الشاعر ، وبإبائه المستمر وهو يعاني الملاحقات والمطاردات التي تعرض اليها . وهذا جانب آخر لابد ان تأخذ دراسته جانباً آخر من جوانب حياة هذا الشاعر .

والعديل كما ينسبه ابو الفرج هو العديل بن الفرخ بن معن بن الاسود بن عمرو بن عوف بن ربيعة بن جابر بن ثعلبة بن سُمى بن الحارث — وهو العكابة — ابن ربيعة بن عجْل بن لُجيم بن صعْب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دُعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار .

وقد اكد نسبته إلى نزار في اكثر من موضع حيثُ قال (١) :

كلانا يُنادي يانزارُ وبيننا

قناً من قنا الخطي أو من قنا الهند

وقال في ابيات اخرى (٢) :

وإذا سألتَ ابني نزار بيننا

مجدي ومنزلتي من ابني وائل

حدبتْ بنو بكر عليَّ وفيهم

كُلُّ المكارم والعديد الكامل

ويذكر في ابيات اخرى لجيماً فيقول (٣) :

إن الفوارس منْ لجيم لم يزل

فيهم مهابة كلِّ ابيض فاعل

---

(١) — القطعة رقم/٦

(٢) — القطعة رقم/٢٢

(٣) — القطعة رقم/٢٢

وكان يؤكد في كثير من قصائده ما كانت تعانيه قبيلته من تمزق ، وكأنه كان يجد في فخره – وهو يستمده من مآثر قبيلته – مايخفف من غلواء التمزق ، وما يحسُ به من ضعف بعد ان ضيّعت قبيلته بطونها ، وتشتت ابناؤها ، ويحاول ان يوصي هذه البطون بالوحدة والوفاق ، ويدُلل على ذلك بكثير من الحجج ، فهم كثرة على الرغم من تباعدهم ، وهم كنف الارض لوتزعزع ما بين الجنوب الى السد ، فأبوه عند الحفاظ ابوهم ، وخاله خالهم ، وجده جدهم ، وكان يستل – وهو في غمرة هذا الحديث – من تاريخه امجاد الفخر ، ويجد فيها مجالاً رحيباً من مجالات الاعتزاز عندما يعود إلى ذي قار ، فيجد فيها صورة الوحدة والانتصار ، ويجد في نموذجها المثل الاعلى ، في التوافق ووحدة الكلمة من جل الوقوف بوجه الغزاة الذين حاولو! ان يجدوا لهم مواضع اقدام فوق الارض العربية (١)

مَا اوقـد الناس مِن نار لمكـرَمة
إلاّ اصطلينـا وكُـنا موقدي النـار

وما يَعُدّون مِن يَوم سَمعَتْ به
لّلناسِ افضَـل من يوم بـذي قار

ويقول في قصيدة أُخرى (٢)

وكم من رئيس قد غزانـا فـلم يؤبْ
إلى قـومه إلا طليقـاً مُسيّبا

أتـاهـم بلا نهب وأسلمَ جـيشه
أسيراً مُـهاناً أو قتيلاً مُلحـبـا

ونحن عبأنا يـومَ حِـنـوِ قـراقرٍ
لحلبةِ كسـرى والذي كـان أشبا

ويذكر ذلك في ثانية فيقول (٣) :

نَـحُـلّ على الثغـر عـنـدَ الحـروب
فـننكي العـدوّ ونحـوي الغنـم

لـنـا سُـرة الأرض لـو تـعـلمـون
ونـارُ المـلوك وارض النعـم

---

(١) القطعة رقم/١٢
(٢) القطعة رقم/٢
(٣) القطعة رقم/٢٤

نفينا القبائل عن حرّها
بارعنَ ذي غاية كالأجم
وملك اقمنا لهُ رأسهُ
وإن كان من قبلناً لم يَقُمْ

وهو يفخر بنفسه بشكل يوحي بانه أكرم شاعرٍ في بني بكر بن وائل نسباً عماً وخالاً (١).

اني لا كرمُ شاعرٍ في وائل
عمّاً اغرّ إذا نُسبْتُ وخالاً
وأباً به أعلو وتعرف غرّتي
ضخم الدسيعة سيداً مفضالاً
فإذا افتخرت فخرتُ غير مغرّبٍ
بالاكرمين الأكثرين رجالاً

ومما يؤكد هذه الحقيقة قول أبي الفرج في خبر له عن الفرزدق وهو يُسأل عن شاعر بكر ابن وائل فيقول : أميم بن عجل يعني العديل بن الفرخ (٢) على أن هذا الفخر الذي يقدمه هو فخر تقليدي يقف فيه عند جوانب النسب والاعتزاز القبلي والكثرة ،وذكر الامام وهي الصورة المألوفة عند شعراء الفخر ،على أن هذه الصور التي يقدمها في فخره يمكن الانتفاع منها في تسجيل حوادث التاريخ وذكر الأيام وتحديد أخبارها وخاصة التي جرت بين أبناء قومه وبين أسد ويربوع ودارم .لانه اعتاد على ذكر الرجال الذين لاقتهم قبيلته أمثال زيد الفوارس ،وما استحوذت عليه من سبي وأموال .

أما جانب السيادة فهو جانب آخر كان يجد له موضعاً في حديثه عن الانتصار الحربي وكانت هذه المعاني تتناثر في قصائده .حتى أوشكت ان تصبح طابعاً عاماً(٣)

حدبتْ بنو بكر عليّ وفيهم
كُل المكارم والعديدُ الكامل
خطروا ورائي بالقنا وتجمعت
منهم قبائلَ أردفَت بقبائل

(١) القطعة رقم/٢١
(٢) أبو الفرج : الأغاني ٣٤٠/٢٢
(٣) القطعة رقم/٢٢

إن الفوارس من لجيم لم يزل
فيهم مهابة كلّ أبيض فاعل
متعمم بالتاج يسجد حوله
من أهل هوذة للمكارم حامل

الخ .

وفي قصيدة أُخرى يقول . (١)

اولئك قومي من يقسهم بقومه
يُلاق وُعُوراً دونهم إذْ تذبذبا
لنا عددُ أربى على عدد الحصى
ومجدٌ تلاد لم يكن متأشبا
لنا باذخُ نالَ السماء فرُوعُه
جسيم أبت أركانُهُ ان تصوبا
وأنا أحقّ الناس بالباع والندى
واكثره قوماً إذا عُدّ مُصعبا
وأكثره بيتاً طويلاً عماده
واكثرهم بدءً إذا هزّ محربا

ولعلّ الإباء كان يشكل ظاهرة أُخرى من الظواهر التي عرف بها الشاعر ،فإباؤه أن تتزوج بنت عمه ابن‌عمه بغير أمره ،وغضبه ورصده له تمثل المؤشر الأول في سلوك الاباء الذي امتدّ عنده ،وعُرف به طوال حياته ،وعندما استعدى مولى‌دابغ الحجاج عليه وطالبه بالقود فيه بعد قتله هرب العديل إلى بلد الروم ،ولجأ إلى قيصر حتى لايقع تحت طائلة العقاب الذي شعر بانه في غير حق ،ولم يكتف بهذا الموقف وانما حاول ان يتطاول على الحجاج وبان يده سوف لن تناله لبعده ،وأمان موقعه ويذكر لنا أبو الفرج حادثة أُخرى تمثل اسلوب الشاعر في الاباء عندما خرج العديل يريد الحجاج ، ولما صار ببابه حجبه الحاجب فوثب عليه العديل وقال : انه لن تدخل على الأمير بعد رجالات قريش أكبر مني ولا أولى بهذا الباب ، فنازعه الحاجب الكلام ،فاحفظه ،وانصرف العديل عن باب الحجاج إلى يزيد بن‌المهلب.. (٢)

---

(١) القطعة رقم/٢

(٢) أبو الفرج . الأغاني ٢٢/٣٣٠

أما حادثة هربه وذهابه إلى بكر بن وائل ، وشكايته اليهم امره فتدلل هي الأخرى على اعتزازه الكريم وأنفته الأصيلة وهويقول لهم : أنا مقتول ، أفتسلموني هكذا وانتم أعزّ العرب ؟ (١) انها كلمة تكشف عن الروح العالية التي كانت تساور هذا الشاعر وهو في أرض عزّ فيها النصير ،ولفظته كلّ بقعة من بقاعها ،ونبا به كلّ مكان هرب اليه .إنهلايريد أن يموت ميتة هينة ،ولايريد أن يستسلم استسلام الخائرين ولكنه حاول أن يحرك دواعي الاعتزاز في نفوس بكر بن وائل . وفي اخبار أبي الفرج حوادث أخرى تؤكد حقيقة هذا الاباء وتؤكد هذه النزعة التي لازمت الشاعر طوال حياته فعانى منها ماعانى وجعلته طريداً لايستقر ،مشرداً لايعرف الأمن والطمأنينة .

إن جانب الإباء الذي ارتدت صورته في حياته بعد أن أصبح غير قادر على المواجهة والاستقرار تعطي شعره صورة من التردد بين الخوف والاقدام ، وتجعله صورة لهاتين الحالتين من التضاد : —

وهو يسلك في قصائده مسالك القدامى في بناء القصيدة من حيث وصف الظعائن ،وشكاية لوعة البين بعد زواج القطين بالأحبة واعراضهن عنه لما رأين الشيب شامله ،ووصف دقيق للراحلة وهي تنفي الحصى عن أظلّها ،قاصدةً الممدوح الذي اضفى عليه الصفات المعروفة من بياض مثل السيف ،وجود كالبحر وانتماء إلى فرع له مجد وتكريم ، وواهب المائةالاشباه والجرد تتبعها ، وهي صورة أخرى من صور الكرم والعطاء التي تقرب إلى حد كبير من صورة النابغة ولعل أوجه الشبه بين لوحته في المديح ،ولوحة النابغة في الغرض نفسه تقدم لنا التأثر الواضح الذي يجمع بين الصورتين في كثير من الصور والأساليب والمعاني .

وقد ظلت قصائده في بنائها تسير وفق هذا المنهج ترتيباً وبناءً وصوراً والواحاً،وتكاد بعض الصور تتكرر في بعض قصائده ،وكأنه كان يجد فيها التزاماً بالشكل المعروف .

وإذا استثنينا مقطعاته التي وجدناها متفرقة ومتناثرة .. فإن قصائده الطوال تشكل وحدة شعرية متلازمة من حيث الالتزام بالمنهج والاتفاق بالتسلسل الموضوعي ،وقد خلت قصائد المديح عنده من لوحات الصيد التي وجدناها عند كثير من الشعراء المتقدمين .

شعره :

العديل شاعرٌ مُقل من شعراء الدولة الأموية (٢) . ولابد لنا ونحن نعالج شاعرية هذا

(١) أبو الفرج . الأغاني ٢٢/٢٣٢

(٢) أبو الفرج . الأغاني ٢٢/٣٢٧

الشاعر من تحديد عبارة مقل التي ترد في اخبار المؤرخين القدامى أو النقاد الذين حاولوا أن يحددوا منازل الشعراء ، فالمقل له في الاعراف النقدية منزلة تختلف عن الشاعر المكثر ، إلى جانب الجودة والمقاييس الأخرى التي تدخل في هذه المقاييس ، وقد اختار له صاحب منتهى الطلب سبع قصائد جاوز عدد أبياتها المائتين ، وانفرد أبو الفرج بمجموعة أُخرى من الأبيات إلى جانب المصادر التي استشهدت ببعض أبياته ويغلب على قصائده الطول إذا قيست بقصائد الشعراء الآخرين : ان هذه اللمحات ترسم لنا الصورة التي يجب أن يقف أمامها الباحث وهو يرى صورة الشاعر تحدد بالمقل ، وتظل هذه العبارة غير محددة الأبعاد بالشكل الدقيق . والعديل شاعر بكر بن وائل كما يقول الفرزدق (١) على انه ضائع الشعر سروق للبيت . وضائع الشعر هذه توحي بدليل آخر يمكن ان يقف مرة اخرى امام عبارة (مقل) ، وفي خبر عن الاصمعي يقول ابو الفرج على لسانه : (٢) دخلتُ على الرشيد يوماً وهو محموم فقال : انشدني يا اصمعي شعراً مليحاً ، فقلت : أرصيناً فحلاً تريده يا امير المؤمنين ام شجياً سهلاً ؟ فقال : بل غزلا بين الفحل والسهل فانشدته للعديل بن الفرخ العجلي

صَحَا من طلاب البيضِ قبل مشيبه

وراجَع غَضَّ الطَرف فَهو خفيضُ

الخ الابيات ..

فقال لي : اعدها ، فما زلتُ أُكررها عليه حتى حفظها . على ان الصورة الشعرية التي تقدمها القصائد التي وقفنا عليها – وهي جزء من شعره ، لاعتقادنا بضياع كثير من هذا الشعر – تؤكد مدلول الشاعرية التي امتاز بها هذا الشاعر وتؤكد القدرة التي يستطيع بواسطتها ان يحقق لمنهجه خطاً واضحاً بين معاصريه من الشعراء ، لان القصائد الطويلة التي قدمها لنا صاحب منتهى الطلب ، وهي اختيارات ، توحي بأن العديل كان يترسم خطى القدامى من الشعراء ترسماً واعياً ، فيأخذ منها مايراه مناسباً ، ويضيف اليه من معطيات عصره ما يكسبها قوة على المعاصرة ، ويجعلها قادرة على إداء المعاني التي كان يستلها من الشعر القديم . . وتظل بقية المصادر مقتصرة على ايراد المقطعات القليلة ، والابيات المفردة ، من خلال الجوانب التي ترى فيها مجالاً للاستشهاد ، او انسجاماً مع الاغراض التي تعالجها هذه المصادر ، وهذا يؤكد لنا ان كتاب منتهى الطلب يُعد المصدر الاساس في بناء شعر العديل .

---

(١) أبو الفرج : الأغاني ٢٢/٣٤٠

(٢) أبو الفرج : الأغاني ٢٢/٣٤٢

أما ديوانه فيبدو ان عوادي الزمن قد عدت عليه مع بقية الدواوين فلم تترك له أثراً.

لم يترك لنا شعر العديل صورة عن حياته الخاصة او حياة اسرته ، وإنما كان جل شعره مخصصاً للفخر بقبيلته والحديث عن واقعه القلق الذي ظل يعانيه طوال حياتـه بسبب الثغرة التي وقعت بينه وبين الحجاج . وإذا قدُر لبعض اخباره التي تتناثر فهي اخبار قصيرة يقف عند بعضها ابو الفرج فيقول : وكان له ثمانية اخوة ، وامهم جميعاً امرأة من بني شيبان ، ومنهم من كان شاعراً فارساً ، اسود وسوادة وشملة — وقيل سلمة — والحارث وكان يقال لامهم درماء (١) وتأتي بعض اخبار الاسود وسوادة في سياق بعض اخباره (٢) أما صلاته فكانت تأتي اخبارها متباعدة ايضاً لانها كانت تمر من خلال مناسبات قصائده فقد اتصل العديل بيزيد بن المهلب (كانت وفاته سنة ١٠٢) فمدحه (٣) ، ومدح عكرمة ابن ربعي ، وحوشب بن يزيد بن رويم الشيباني (عامل الحجاج على الكوفة سنة ٨٤) (٤) واتصل بمالك بن مسمع الجحدري (قتل سنة ١٠٢) (٥) فوصله واقام بالبصرة واستطابها وكان مقيماً عند مالك ..

إن هذه الصلات يمكن ان تحدد لنا عصر الشاعر الذي تحرك فيه ، وهو بداية القرن الثاني ، لاننا لم نستطع الوقوف عند اخبار اخرى تجتاز هذه المرحلة الزمنية او تتخطى عتباتها . ولعل اخباراً اخرى تقدم لنا زمنياً اكثر تحديداً تبرز من خلال الاشعار او المصادر التي يمكن ان يعثر عليها ..

---

(١) أبو الفرج : الأغاني ٣٢٧/٢٢

(٢) أبو الفرج : الأغاني ٣٢٨/٢٢

(٣) أبو الفرج : الأغاني ٣٣٠/٢٢

(٤) أبو الفرج : الأغاني ٣٤٢/٢٢

(٥) أبو الفرج : الأغاني ٣٤٢/٢٢

(١)

قال صاحب ديوان المعاني «وانشدنا للعديل بن الفوخ العجلي (١) (من الكامل)

١ـ هل تقضينَّ لمستهامٍ حاجةً
نيطتْ اليكَ بها حبالُ رجائه

٢ـ أفنى تجلّدَهُ بقاءُ دموعه
وادامَ عبرتهُ فناءُ عزائهِ

(١) البيتان في ديوان المعاني ٣٦/٢

(٢)

وقال العديل ايضاً (من الطويل)

١ ـ أجِدَّكَ لاتنهي وإن كُنتَ أشيْبا
فؤادَكَ ذا الاهواءُ ان يتطرَّبا

٢ ـ وقدْ كان أحياناً إذا اقتادَهُ الهوى
عصا في هواهُ العاذلينَ فاصْحبا

٣ ـ فأصبحتُ ذا صغْو إلى اللهو بعْدَما
وهيَ منك باقي حيْله فتقضيا

٤ـ تمنَّ المنى القلبُ اللّجُوجُ وقد ترى
بِعينك إن لم يتطَلْبِ اللهو مطلبا

٥ ـ وكيفَ طلابُ البيض او تبع الصبا
وقد صرت من شيب تغشاك اشيبا

٦ ـ وكان طُلابُ الغانِيات كأنما
تباعُدهُ منهُنَّ ان يتقرَّبا

٧ ـ على أن من سلمى خيالاً إذا نأتْ
بها الدارُ لو نحلِفْكَ ان يتأوّبا

٨ ـ يُلمُّ فيأتي بِالسّلامِ وَدونها
بِلادُ ترى أعلامها الغُبْر نصّبا

٩ ـ إذا كُلّفتْها العيسُ قطّع بينها
فيافيَ يتركن الأيانق لُغّبا

١٠ ـ تراهُنَّ بعْدَ البُدْنِ من شدة السرى
دَقاماً كأقواس المُعطّفِ شُزّبا

١١ — عرفْتُ لها داراً بمدفعِ داحسٍ
قفاراً عفتْ إلاّ نعاماً وربْرَبا

١٢ — رَعين الندى حتى إذا يبسَ الثرى
وَعفتْ رياح الصيف شرقاً ومغربا

١٣ — ولاحتْ من الصُبح الثريا ولم يجدْ
صدى إبلٍ إلاّ المهايع مشْرَبا

١٤ — دَعتْ بالجمال البُزلِ للظعْن بعدما
تجذَّبَ راعي الابل ما قد تجلّبا (١)

١٥ — لِكُلٍّ سنيد المنكبينَ تخالُهُ
من البُدْن لمّا زال بالحمِلِ أغلبا

١٦ — علندى كأنَّ الحصَّ خالطَ لونهُ
إذا الخطْو عن أعلى صلاه تقوّبا

١٧ — مُنعمةٌ كالريم لم تخْشَ فاقةً
عليها ولم تتْبعْ شقياً مُعذبا

١٨ — رَمتْهُ بسهمِ الجهل فاصطادَ قلبهُ
سليمى وقد مالوا بعزّى وجرّبا

١٩ — فلم أرَ ممن يسكُن المصرَ مثلها
جمالاً ولا اللائي رمين المحصّبا

٢٠ — تُكرّمهُ بالود وهو يشُقّهُ
اليها هوىً مما بدا أو تغيّبا

٢١ — إذا حدّث الركب العجالَ بذكرها
طروقاً وقد ملوا الجبال واطنبا

٢٢ — تهدّ شبابُ بالغواني وانني
لمثن وما أخشى به أن أكذّبا

---

(١) يقال للناقة اذا غرزت وذهب لبنها قد جذبت تجذب جذاباً فهي جاذب ، وتجذب اللبن : اذا شربه .

٢٣ ـ على الصيد من بكر ذوي التاج انهم
كرامُ القرى حُشْدٌ إذا السرح أجدبا
٢٤ ـ إذ قطرُ آفاق السماء رأيتـهُ
من المحل مُحمر الجوانبِ أصهبا
٢٥ ـ وجدتُ الجفان الروح حول بيوتهم
لمن بات في ناديهم أن يُحجّبا
٢٦ ـ مُبرَّزةٌ فيها البوائك كلّما
خلَتْ جفنةٌ عُلت سَديفاً مشطبا
٢٧ ـ اولئك قومي منَ يقسْهُم بقومه
يلاق وعورا دونهم إذ تذبذبا
٢٨ ـ لنا عددُ أربى على عدد الحصى
ومجدٌ تلادٌ لم يكُنْ متأشّبا
٢٩ ـ لنا باذخٌ نال السماءَ فُروُعُه
جسيمٌ أبت أركانُهُ أن تَصَوَّبا
٣٠ ـ فنحنُ حُديّا الجن والانس كلها
فصالاً لمن عَدّ القديم ومحسبا
٣١ ـ وأنا أحق الناس بالباع والندى
وأكثَرهُ قوماً إذا عُدّ مُصْعَبا
٣٢ ـ وأكثره بيتاً طويلاً عمادُهُ
وأكثرهُم بَدْءً إذا هُزّ مِحربا
٣٣ ـ كريماً ترى الأبطال تعلم أنه
أخو نجدة ماضٍ إذا ما تَلَبَّبا
٣٤ ـ منيعاً تفادي الخيلُ منه كأنما
يُحاذِرْنَ وطّاء الفريس مُهَيَّبا
٣٥ ـ غذياً أبا شبلين يشغلُ قِرنَهُ
إذا عضّ لم ينكُلْ حشاها ونيبا

٣٦ ـ بنا يُتّقى الثغْر المخوفُ لقاؤه
إذا ما دعا داعي الصباح وثوّبا

٣٧ ـ وكم من رئيس قد غزانا فلم يؤبْ
إلى قومه إلا طليقاً مُسيّبا

٣٨ ـ اتاهُمْ بلا نهبٍ وأسلمَ جيشهُ
أسيراً مُهاناً أو قتيلاً مُلحّبا

٣٩ ـ ونحن عبأنا يومَ حنْو قراقرٍ
لحلبةِ كسرى والذي كان أشّبا

٤٠ ـ فوارِسَ صدقٍ لايُبالوُن من ثوى
إذا كسفوا يوماً أغرّ مُحبّبا

٤١ ـ على كل شوهاءِ العنان كأنها
عُقابٌ إذا ماالعطفُ منها تحلبّا

٤٢ ـ وأجردَ عُريانٍ كأن لجامه
إذا ما تراقى علقَ جذْعاً مُشذّبا

٤٣ ـ إذا اغتربتْ مِنّا هِجانٌ كريمة
وَجدْتَ ابنها إذْ عدّ خالاً ومُنجبا

٤٤ ـ تمجدُ ما يعلو الرجال وينتمي
إذا قام في يوم الحفيظة مغضبا

٤٥ ـ وان كان من حي كرام أعزّة
وكان خيّارُ الحي منهم مُركبا

٤٦ ـ وكانتْ سراةُ الحيّ تعلمُ أنه
أعزّهُمُ عِزّاً وأكرمهُمْ أبا

الأبيات (١ ـ ٤٦) في منتهى الطلب الورقة / ١٢ ـ ١٣
والبيت (١٤) في اللسان (جذب).

(٣)

قال ابو عمرو ايضاً: قال : العديل لرجل من موالي الحجاج كان وجهه في جيش الى بني عجل يطلب العديل حين هرب منه ، فلم يقدر عليه ، فاستاق ابله ، واحرق بيته ، وسلب امرأته وبناته ، واخذ حُليهن ، فدخل العديل يوماً على الحجاج ومولاه هذا بين يديه واقف فتعلق بثوبه ، واقبل عليه وانشأ يقول :

(من الطويل)

١ — سلبتَ بناتي حَلْيَهنّ فلم تَدعْ
سواراً ولا طوقاً على النحر مذهباً (١)

٢ — وما عزّ في الآذان حتى كأنما
تُعطّل بالبيض الاوانس ربربا

٣ — عواطُل إلا أن ترى نجد ودها
قَسامة عِشق أو بناناً مخضبا

٤ — فككت البرينَ عن حِذال كأنها
بَرَاديّ غيلٍ ماؤه قد تضبّا

٥ — من الدُرّ والياقوت عن كلّ حرة
ترى سمْطَها بين الجمان مثقّبا

٦ — دَعَوْنَ اميرَ المؤمنين فلم يجب
دعاءً ولم يُسمعن أمّا ولا أبا

---

(١) قال ابو الفرج : هكذا في الشعر : سلبت بناتي ، والغناء فيه : سلبت الجواري حليهن

الابيات (١ – ٦) في الاغاني ٢٢ / ٣٣٦ – ٣٣٧

(٤)

خرج العُديل بن الفرخ يريد الحجاج ، فلما صار ببابه حجبه الحاجب ، فوثب عليه العديل ، وقال : انه لن يدخل على الامير بعد رجالات قريش اكبر مني ، ولا اولى بهذا الباب ، فنازعه الحاجب الكلام فأحفظه وانصرف العديل عن باب الحجاج الى يزيد بن المهلب ، فلما دخل اليه أنشأ يقول :

(من الطويل)

١ — لئن ارتجَ الحجاجُ بالنجل بابه
فباب الفتى الأزديّ بالعرُف يفتح

٢ — فتىً لايبالي الدهرَ ماقلَّ مالُـه
إذا جعلتْ أيدي المكـارم تسنح

٣ — يداهُ يدٌ بالعُـرف تنهبُ ماحوت
وأخرى عـلى الاعداء تسطو وتجرح

٤ — إذا ماأتـاه المرملـون تيقّنـوا
بأنَّ الغنى فيهـم وشيكاً سيسرحُ

٥ — أقـام عـلى العافين حُرّاس بابه
ينادونهـم والحُرّ بالحُرُّ يفـــرح

٦ — هلمـوا الى سيـب الامير وعرفه
فإن عطاياه على الناس تنفح

٧ — وليـس كعلجٍ من ثمودَ يكفّـهَ
من الجـود والمعروف حزمٌ مطوحُ

الابيات (١ — ٧) في الاغاني ٢٢ ٣٣٠ — ٣٣١ .

(٥)

قال ابن قتيبة في المعاني الكبير :

انشدني السجستاني عن ابي عبيدة للعُديل : (من الطويل)

١ — ومهـرين كالرمحين تنشق عنهما
عجـاجة نقـع سـاطع فتجـردا

٢ — شجيرين طار الكبو والربو عنهما
إذا الربو في اكفـالهن تصعّـدا (١)

(٦)

وقال العُديل بن الفرْخ العجلي

١ — ألا ياسلمي ذات الدماليج والعقد (من الطويل)
وذات الثنايا الغـرِّ والفاحم الجعد

٢ — وذاتَ اللّثاتِ الحُمِّ والعارض الذي
بـه أبرقَـتْ عمـداً بابيض كالشهد

---

(١) يقال فرس شجير : اي لطيف الشجر ، ليس بمنتفج ولكنه لطيف لاينتفج ولايربو
والكبو هنا : أن لايعرق ، كما تكبوا الركية إذا ذهب ماؤها فلم تبض .
واذا صعد الربو في كفل الفرس ، وذلك من طرل مايعلف سقطت رجلاه فقام .

٣ — كأن ثناياها اغتبقن مُدامةً
ثوتْ حججاً في رأس ذي قنة فرد

٤ — لعمري لقد مرت لي الطير آنفاً
بما لم يكن إذْ مرّت الطيرُ من بد

٥ — ظَلِلتُ أساقي الهمّ اخوتي الأولى
أبو هُمْ أبي عند المزاح وفي الجد

٦ — كلانا ينادي يانزار وبيننا
قناً من قناً الخطيّ .أو من قنا الهند

٧ — قُرُوم تسامى من نزارٍ عليهمُ
مُضاعفةٌ من نسج داودَ والسغد

٨ — إذا ما حملنا حملةً ثبتوا لنا
بمرْهفةٍ تذري السواعد من صعدِ

٩ — وانْ نحن نازلناهُمُ بصوارمٍ
رَدَوْا في سرابيل الحديد كما تردي

١٠ — كفى حزناً ألاّ أزال أرى القنا
يُمجُّ نجيعاً من ذراعي ومن عضدي

١١ — لعمري لئن رُمتُ الخروج عليهم
بقيس على قيس وعوف على سعدِ

١٢ — وضيعتُ عمراً والربابَ ودارماً
وعدْوانَ وَدّ كيف أصبرُ عن ودّ

١٣ — لكنتُ كمهريق الذي في سقائه
لرقراق آل فوق رابية صلْدِ

١٤ — كمرضعة أولاد اخرى وضيّعتْ
بني بطنها هذا الضلالُ عن القصدِ

١٥ — فاوصيكُما ياابني نزارٍ فتابعا
وصيّةَ مُفضى النُصح والصدق والودّ

---

(١٣) في اللسان (هرق) .. وروايته فكنت .. جَلْد

١٦ ـ فلا تَعْلَنْ الحربَ في الهام هامتي
ولاتَرْميا بالنّبْلِ ويحكما بعدي

١٧ ـ أما ترْهبان النار في ابني أبيكما
ولا ترجوان الله في جنّة الخُلْدِ

١٨ ـ فما تُربُ أثرى لو جمعتَ ترابها
باكثَر من ابني نـزارٍ على البعد

١٩ ـ هما كَنَفا الأرض اللّذا لو تزعزعا
تزعزع ما بين الجنوب إلى السُّدّ

٢٠ ـ واني وان عاديتُهمْ وجَفَوْتُهُمْ
لتَألَمُ مما عَضّ أكبادَهم كبدي

٢١ ـ لأنّ أبي عند الحفاظ أبوَهم
وخالُهم خالي وجَدُّهُم جدّي

الأبيات (١ ـ ٢١) في حماسة أبي تمام/٧٢٩ ـ ٧٤٠ وفي الهامش نقلاً عن أبي رياش أنها ليست للعديل ولكنها لابي الأخيل العجلي
والبيت (١٣) في اللسان (هرق)

(٧)

قال أبو الحسن : ولما قتل مصعب خرج رسول فطمٌ إلى مالك بن مسمع وهو بتاج يبشره بمقتلهفقدم وخالد بن عبد الله بالبصرة قد قدمها والياً فجاء يسير حتى أناخ ناقته على بساط خالد فقال العُديل بن الفرخ : (من الطويل)

أنخت على ظهر البساط فلم تسِرْ
على رغم من أمسى عدواً لخالد

البيت في انساب الاشراف ١٦٥/٤

(٨)

أنشد دابغ من شعر العُديل : (من الرجز)

يادارَ سلمى أقفرت من ذي قار
وهل با قفار الديار من عار

وقد كُسِّين عَرقاً مثل القار

يخرجن من تحتِ خلال الأوبار

قوارب الماء سواقي الأبصار

الأشطار الأربعة في الأغاني ٢٢/٣٢٨

والشطران الأول والثاني في الشعر والشعراء / ٣٢٦

(٩)

قال العديل يمدح مالك بن مسمع : (من الطويل)

١ ـ أمن منزلٍ من أم سكن عشيةً
ظلِلتُ به أبكي حزيناً مُفكراً

٢ ـ معي كلّ مسترخي الإزار كأنه
إذا مامشى من جنّ غيل وعبقرا

٣ ـ يُزجّي المطايا لايُبالي كليهما
مُقلّصة خوصاً من الأين ضمرا

٤ ـ إذا ماخشينا من أمير ظُلامةً
دعونا ابا غسان يوماً فعسكرا

٥ ـ ترى الناس افواجاً الى باب داره
اذا شاء جاؤا دارعين وحُسّرا

٦ ـ فما في معدٍ كلّها مثلُ مالك
أغرُّ إذا سامى وأهيب منظرا

٧ ـ بني مسمع لولا الأله وأنتمُ
بني مسمَع لم ينكر الناسُ منكرا

٨ ـ بني مسمعِ انم ذوابةُ وائلٍ
واكرَمُها في أول الدهر جوهرا

الابيات (١ ـ ٥) في الاغاني ٢٢/٣٣٩ـ٣٤٠
والابيات (٤ ـ ٨) عدا الخامس في انساب الاشراف ٥/٢٦٥
والرابع بلا عزو في تاريخ الطبري ٧/٢٨٠ ونسب في كامل ابن الاثير ٤/٨١
والسابع في العمدة ٢/٧٢

قال العديل بن الفرخ العجلي :

(١٠)

١ ـ أفي الحق أن يُعطى الفرزدق حكمه (من الطويل)
وتخرج كفي من نوالكم صفرا

٢ ـ سأهدي الى قيس بن سعد قصيدةً
متى ماتُلاق العظم تَترك به كسرا

٣ ـ أهِمّ فتثنيني أواصرُ بيننا
وأيد حسانُ لم أؤدّ لها شُكرا

الابيات (١ ـ ٣) في الحماسة البصرية ١/٢٥١

(١١)

كان حوشب بن يزيد بن الحويرث بن رُويم الشيباني وعكرمة بن ربعي البكري يتنازعان الشرف ، ويتباريان في اطعام الطعام ونحر الجزُر في عسكر مصعب . وكاد حوشب يغلب عكرمة لسَعة يده ، قال : وقدِمَ عبد العزيز بن يسار مولى بجير قال : وهو زوج أم شُعْبة الفقيه ، بسفائن دقيق ، فاتاه عكرمة فقال له : الله الله فيّ ، قد كادَ حوشب أن يستعليني ويغلبني بما له ، فبعني هذا الدقيق بتأخير ،ولك فيه مثل ثمنه ربحاً فقال :خذه وأعطاه أياه ، فدفعه إلى قومه ،وفرّقه بينهم ،وامرهم بعجنه كله ،فعجنوه كُلّه ، ثم جاء بالعجين كلّه ،فجمعه في هُوّة عظيمة ،وامر به ، فغُطّي بالحشيش ،وجاء برمكة(١) فقربوها إلى فرس حوشب ،حتى طلبها وأفلت ،ثم ركضوها بين يديه وهو يتبعُها ،حتى القوها في ذلك العجين وتبعها الفرس ، حتى تورّطا في العجين وبقيا فيه جميعاً ، وخرج قوم عكرمة يصيحون في العسكر ، يامعشر المسلمين ،ادركوا فرس حوشب ، فقد غرق في خميرة عكرمة ، فخرج الناس تعجباً من ذلك أن تكون خميرةُ يغرق فيها فرس، فلم يبق في العسكر أحد إلا ركب ينظر ،وجاءوا إلى الفرس ـ وهو غريق في العجين ما يبين منه إلا رأسه وعنقه ـ فما أخرج إلا بالعمُدُ والحبال ، وغلب عليه عكرمة ،وافتضح

---

(١) الرمكة : الفرس والبرذونة تتخذ للنسل .

(من الطويل)

حوشب فقال العُديل بن الفرخ يمدحهما ويفخر بهما :

١ – وعكرمةُ الفياض فينا وحوشبُ
هما فتيا الناس اللذا لم يغمّرا

٢ – هما فتيا الناس اللذا لم ينلهما
رئيسٌ ولا الاقيالُ من آل حميرا

الخبر والبيتان في الأغاني ٢٢ / ٣٤١ – ٣٤٢.

(١٢)

(من البسيط)

وقال العُديل بن الفرْخ العجلي :

١ – ما أوقد الناسُ من نار لمكرمة
إلا اصطلينا وكنّا موُقدي النارِ

٢ – وما يَعُدُّون من يوم سمعتَ به
للناسِ أفضلَ من يوم بذي قارِ

٣ – جئنا باسلابهم والخيل عابسةُ
يوم استلبنا لكسرى كُلَّ اسوار

الأبيات في النقائض / ٦٤٦ والشعر والشعراء / ٣٢٦

(١٣)

(من البسيط)

وقال :

١ – أصبحتُ في حلبَر الحجاج منتخباً
كالعير يضرط والمكواة في النار

٢ – صَرْمٌ أغرُّ إذا نالت أظافره
أهل الشناءَة عاموا في الدم الجاري

٣ – قد يضرط العير والمكواة تأخذه
لايضرط العيرُ والمكواة في النار

الأبيات (١ – ٣) في المحاسن والاضداد / ١١٣
والبيتان الأول والثاني في جمهرة الأمثال ٢ / ١١٤

(١٤)

وقال العديل أيضاً

(من الطويل)

١ ــ صحا منْ طلابِ البيضِ قبلَ مَشيبهِ
وواضعِ طرفِ العيْنِ فهو خفيضُ

٢ ــ كأنْ لمْ أكُنْ أرعى الصبّا ويقُودُني
منَ الحيّ أحوى المقلتين غضيضُ

٣ ــ دعاني لَـهُ يَومـاً هَوى فأجابَـهُ
فُؤادٌ إذا يَلْقى المراضَ مَريضُ

٤ ــ لمُستَأْنساتٍ بالحـديث كَـأنّهَـا
تَهلّلُ غُرُّ بَرْقُهُنّ وميـضُ

٥ ــ وإنّ لساني عَنْكُمُ قَدْ عَلمتُمُ
لَعَفٌ وإني دونكُم لَعَضُوضُ

٦ ــ وإنّي لما حَمّلْتُمُ منْ مُلمّة
تَضيقُ بهـا أعْطانُكُمْ لَنَهوض

٧ ــ يُخَشّونَني الحَجّاجَ حتى كَأنّما
يُحرّكُ عَظْمٌ في الفُؤادِ مَضيضُ

٨ ــ إذا ذُكرَ الحجـاجُ أضمَرتُ خيفَةً
إلى القلبِ حتى في الفُؤادِ مضيضُ

٩ ــ ودونَ يدِ الحجّـاجِ منْ أنْ تَنالَني
بسَاطٌ لأيْـدي الناعِجاتِ عريضُ

١٠ ــ مَهامـهُ أشْبـاهٌ كَأنّ سَرَابَهـا
مُـلاءٌ بأيْدي الغاسلاتِ رحيضُ

٧ــ في الأغاني ٣٢٩/٢٢ . أخوف بالحجاج .
٩ــ في كامل المبرد / ٤٤٢ ... بساط لأيدي اليعملات
١٠ــ في الأغاني ٣٢٩/٢٢ ملاء بايدي الراحضات
الأبيات (١ ــ ١٥) في منتهى الطلب الورقة/١١
والأبيات (٧ ، ٩ ، ١٠) في الأغاني ٣٢٩/٢٢
الأبيات (١ ــ ٤) في الأغاني ٣٤٣/٢٢
والبيت (٩) في اللسان (بسط)

١١ ـ إذا كُلِّفَتْهـا العيسُ زَيَّـل بَيْنَهـا
خرابيٌّ يجري آلُهـا وغُمُوضُ

١٢ ـ إذا اسْتَوْقَدَتْ منها الأماعِزُ غادَرَتْ
بهـا جُنْدبَ المَغْراءِ وهو ركوضُ

١٣ ـ قليـلٌ بهـا السّارونَ الا تَعِلّةٌ
مَطيٌّ جَرَتْ أحقابُـهُ وغُروضُ

١٤ ـ إذا قَلَصَتْ خُوصَ العُيُونِ كأنّها
قِـداحٌ نَحاهـا باليدينِ مُفيضُ

١٥ ـ ترى الحُسَرَةَ الوَجْناءَ يضربُ حاذَها
ضئيلٌ كَفَرُّوج الدجاجِ جهيضُ

(١٥)

وقال ايضاً :

(من الطويل)

١ ـ مازال في قيس بن سعـد لجارهم
عـلى عهد ذي الـقرنيـن مُعـط ومانع

٢ ـ هم استنقذوا حسّان قسر وانتمُ
لـئـامُ المـقام والـرمـاحُ شـوارعُ

٣ ـ غـدرتم بـدنيـارٍ وحَسّان غدرة
وبـالـفرخ لمـا جـاءكـم وهـو طالع

٤ ـ فـلولا بنـو قيس بن سعد لاصبحت
عليٌّ شداداً قبـضُـهـنَّ الأصـابـع

٥ ـ الا تسألـون ابـن المشمِّ عنهمُ
جعامة والجيران واف وضالع

الأبيات في الأغاني ٢٢ ٣٣٨ ـ ٣٣٩

(١٦)

قال أبو عمر الشيباني : أصاب رجل من رهط العديل من بني العكابة أنف رجل من بني عجل يقال له جبار فقال العديل في ذلك ـ وكان عدواً له :

(من الطويل)

١ ـ ألم تـر جـبّـاراً ومارن أنه
لـهُ ثلـمٌ يهـويـنَ أن يتـنـجـعـا

٢ ـ ونحن جدّعنا أنفه فكأنما
يرى الناسَ أعداءً إذا هو اطلعا

٣ ـ كلوا أنف جبارٍ بكاراً فانه
تركناه عن فرطٍ من الشرِّ أجدعا

٤ ـ معاقِدُ من أيديهمُ وانوفهم
بكاراً ونيباً تركب الحزْنَ ظُلَّعا

الأبيات (١ ـ ٤) في الأغاني ٢٢/٢٣٧

(١٧)

وكان رجل من رهط العُديل أيضاً ضرب يد وكع أحد بني الطاغية ،وهما يشربان فقطعها وافترقا ،ثم هرب العُديل وابوه إلى بني قيس بن سعد لما قال الشعر الأول يفخر بقطع أنف جبار ويد وكيع ،لأنهم حلفوا أن يقطعوا أنفه ويده دون منفعل ذلك بهم ،فلجأ إلى عفير بن هلال بن مرة بن عبدالله بن معاوية بن عبد بن سعد بن جُشم بن قيس بن عجل فقال العُديل في ذلك :

(من الطويل)

١ ـ تركتُ وكيعاً بعدما شاب رأسُه
أشلَّ اليمين مستقيمَ الأخادع

٢ ـ فَشَرَّب بها وُرقَ الإفال وكل بها
طعامَ الذليل وانحجر في المخادع

البيتان في الأغاني ٢٢/٣٣٨

(١٨)

أخبرني جعفر بن قدامه قال : حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال : قال أبو النجم للعُديل ابن الفرخ: أرأيت قولك : (من الطويل)

١ ـ فإن تكُ من شيبان أمي فإنني
لأبيضُ عجليٌّ عريضُ المفارق

٢ ـ وكيف بذكرى أمِّ هارون بعدما
خبطن بايديهنَ رحلَ الشقائق

٣ ـ كأنَّ نقاً من عالج أُزِّرَت بـه
إذا الذلَّ الهاهُنَّ شُدَّ المناطق

٤ ـ وإنا لتغلي في الشتاء قدورنا
ونصيرُ تحت اللامعات الخوافق

الأبيات (١ ـ ٤) في الأغاني ٣٢٦/٢٢ والأول فيه ٣٣٩/٢٢

(١٩)

١ ـ فلو كنتُ في سلمى أجا وشعابها
لكانَ لِحجاج عليَّ دليل

٢ ـ بنى قبة الاسلامُ حتى كأنما
هدى الناسَ من بعد الضلال رسول

٣ ـ إذا جار حُكم الناس الجأ حكمه
إلى الله قاضٍ بالكتاب عقول

٤ ـ خليل امير المؤمنين وسيفه
لكلِّ إمام صاحبُ وخليلُ

٥ ـ به نصر الله الخليفةَ منهم
وثبّتَ مُلكاً كادَ عنهُ يزول

٦ ـ فأنت كسيف الله في الأرض خالد
تصولُ بعونِ الله حين تصول

٧ ـ وجازيتَ أصحاب البلاء بلاءهم
فما منهمُ عمّا تُحبُّ نُكولُ

---

١ ـ في البيان والتبيين ٣٦٨/١ ولو كنتُ بالعنقاء أو بأسوِمها .

٣ ـ في البيان والتبيين ٣٦٨/١ والشعر والشعراء/٣٢٦ والخزانة ٣٦٨/٢ لكل امام مُصطفى ..

٥ ـ قال أبو الفرج ٣٣٢/٢٢ .. ويروى : به نصرالله الامام عليهم ..

٨ — وصلْتَ بمرّان العراقِ فأصبحت
منـاكـبـهـا للوطء وهـي ذَلـول

٩ — أذقت الحمامَ ابني عُباد فأصبحوا
بمنـزل مـوهـونِ الجَـنـاح ثـكـول

١٠ — ومن قطريّ نلتَ ذاك وحولـه
كتائـبُ مـن رجّـالـةٍ وخـيـول

١١ — إذا ماأتت باب ابن يوسف ناقتي
أتتْ خـيـر مـنـزولٍ بـه ونـزيـل

١٢ — وما خفتُ شيئاً غيرَ ربيّ وحـده
إذا مـا انـتـحـيـتُ النفسَ كيف أقولُ

١٣ — ترى الثقلينِ الجنّ والأنس أصبحا
على طـاعـةِ الـحـجـاجِ حـيـنَ يقولُ

---

٨ — قال أبو الفرج ٣٣٢/٢٢ . أقام الواحد مقام الجمع في قوله : ذلول .
٩ — في البيت اقواء .
الأبيات (١ — ١٣) في الأغاني ٣٣٢/٢٢ — ٣٣٣
والأبيات (١ ، ٢ ، ٤) في البيان والتبيين ٣٦/٨١ والشعر والشعراء /٣٢٦
والأغاني ٣٣٠/٢٢ والخزانة ٣٦٨/٢ والبيتان، الأول والثاني في كامل المبرد ١٩/٢

(٢٠)

لما قدم الحجاج العراق قال العُديل بن الفرخ . (من الكامل)

١ — دعوا الجبنَ ياأهلَ العراق فإنمـا
يُـهـانُ ويُـسـبـى كلُّ من لايقـاتـلُ

٢ — لقد جرّدَ الحجاجُ للحقّ سيفَـهُ
ألا فـاستقيـمـوا لا يـمـيـلـنّ مائـل

٣ — وخافوه حتى القومُ بين ضلوعهم
كنَـزو القطـا ضُمّـتْ علـيـه الحبـائل

٤ — وأصبح كالبـازي يُقلّب طرفهُ
على مـرقـب والطـيـرُ مـنـه دواحـلُ

الأبيات (١ — ٤) في الأغاني ٣٤٠/٢٢ — ٣٤١

قال العديل بن فَرْخ بن مَعْن بن أسود بن عمرو بن عوف بن ربيعة بن شُنَيّ بن الحارث ، وهو السيّاب(١) بن ربيعة بن عجل بن لُجَيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط ابن هنب بن أفصى بن دُعمي بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وأمُّ العُديل دُرْنا من بني مُحلِّم ، شيبانية * . (من الكامل)

١ ـ ما بالُ عَيْنِكِ أَسْبَلَتْ إسْبالا
مِنْ أَنْ عَرَفْتَ لِمَنْزِلٍ أطلالا

٢ ـ قَبْلي وَقَبْلَكَ فاقْبَلَنَّ نَصيحتي
ضَرَبَ الحليمُ لذي الصِّبا أمثالا

٣ ـ إني لأكْرَمُ شاعِرٍ في وائلٍ
عَمّاً أغَرَّ إذا نُسِبْتُ وَخالا

٤ ـ وأباً بهِ أعْلُو وتُعْرَفُ غرتي
ضَخْمُ الدَّسيعَةِ سيداً مِفْضالا

٥ ـ فإذا افْتَخَرْتُ فَخَرْتُ غيرَ مُغَرَّبٍ
بالأكْرَمينَ الأكْثَرينَ رِجالا

٦ ـ بربيعَةَ الأثْرَينَ في أيّامِها
والأطْوَلينَ فَوارِعاً وجِبالا

٧ ـ تَلْقاهُمُ في الحربِ حينَ تَكَمَّشَتْ
بيضَ الوُجُوهِ على العَدوِّ ثِقالا

٨ ـ والخَيْلُ تَعْلَمُ أننا فُرْسانُها
عِنْدَ الصَّباحِ إذا رأيْنَ قِتالا

٩ ـ الضّارِبينَ إذا أرَدْتَ طِرادَهُمْ
والنّازِلينَ إذا أرَدْتَ نِزالا

(١) في الأغاني ٣٢٧/٢٢ وهو العُكابة بن ربيعة . وفي اللسان (عكب) وعُكابة ابوحي من بكر وهو عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

* الأبيات (١ ـ ١٩) في منتهى الطلب الورقة/٦

١٠ ـ والضاربينَ إذا الكتائبُ أحجمَتْ
غرْباً يُذبّحُ مل عدا الأبْطالا

١١ ـ فَصبَحْنَ منْ أسَدٍ حلُولا باللّوى
مَوْتاً أزلْنَ بهِ العَدُوَّ فَزالا

١٢ ـ وقتَلْتُ يربُوعاً بمنٌ وَدارِماً
وأخذْنَ منهُمْ حاجباً وعقالا

١٣ ـ ووَطئنَ يومَ الشيّطينَ بكلْكلٍ
عُمَراً ومن سَعْد أبرْنَ حلالا

١٤ ـ ومنَ الرّبابِ لقَينَهُ فقتَلْنَهُ
زَيْدَ الفَوارِسِ بالنّصالِ فمالا

١٥ ـ عَنْ ظَهْرِ أجْرَدَ سابحٍ ذي مَيْعَةٍ
نَقْلٍ إذا ما خالَطَ الأجرَالا (١)

١٦ ـ واخذن من افناء قيس كلها
ساداتها والسّبيَ والأمْوالا

١٧ ـ فَتبدّلتْ منّا سَبَايا منهُمُ
بَعْدَ النّعيمِ مَدَارِعاً وشمالا

١٨ ـ وإذا عَدَدْتُ فَعَالَ قَومي بيّنُوا
فَوقَ الخَلائق بَسْطَةً وفَعالا

١٩ ـ وإذا نَطقْتُ معَ المقاولِ لمْ أدَعْ
للقائلينَ إذا نَطقْتُ مَقالا

---

(١) الجرَل : المكان الصُّلب الغليظ الشديد ومكان جرل والجمع : اجرال

(٢٢)

وقال العديل يفتخر : (من الكامل)

١ـ صَرَمَ الغَواني فَاستَراحَ عَواذلي
وَصَحَوتُ بَعْدَ صَبابَة وتَمَايل

٢ ـ وَذَكَرتُ يَوم لوى عُنَيْق نِسْوَةً
يَأرَجْنَ بَينَ أكِلّةٍ ومراحِل

٣ ـ لَعِبَ النّعِيمُ بِهِنّ في أطْلالِهِ
حَتى لَبِسْنَ زَمانَ عيش غافِل

٤ ـ يأخُذْنَ زِينَتهُنّ احسن ما ترى
وإذا عطلْنَ فهُنّ غير عَواطِل

٥ ـ وإذا خبأنَ خُدودَهُنّ أرينَنا
حدقَ المها واخذن نُبل النابِل

٦ ـ (ورَمَيْنني لايستترنَ بِجُنّةٍ
إلاّ الصِّبا وَعلِمنَ اينَ مقاتِلي)

٧ ـ يلبسْنَ أرديةَ الشبابِ لاهلِها
ويَمُد بِالحبْلينِ حبل الباطل

---

١ ـ في الأغاني ٣٣٣/٢٢ ... واستراح
٢ ـ في الأغاني ٣٣٣/٢٢ ... لوى عتيق .. يخْطُرنَ
٣ ـ في الأغاني ٣٣٣/٢٢ في أظلاله ...
٤ ـ في الزهرة /٩ فإذا
٥ ـ في الأغاني ٣٣٣/٢٢ حدق المها وأحدْنَ سهم القاتل
٦ ـ البيت زيادة من الأغاني ٣٣٤/٢٢ وفي الزهرة /٩ وامالي الزجاجي فرميننا واخذن نبل القاتل
٧ ـ في الأغاني ٣٣٤/٢٢ والزهرة/ ٩ ويجرّ باطلهن
وفي أمالي الزجاجي /١٠١ ويجر باطلهن ذيل الباطل .

٨ ـ بيضُ الأنوقِ كِسِرّهِنَّ ومن يُرد
بيْضَ الأنوقِ فوكرُها بمُعاقلِ (١)

٩ ـ زعم الغواني ان جهلكَ قدْ صحا
وسوادَ رأسِكَ قصْدَ شيب شامِل

١٠ ـ ورآكَ أهلُكَ مِنهُمُ ورأيْتهُمْ
ولقدْ يكُونُ معَ الشباب الخاذل

١١ ـ فإذا تطاولتْ الجبالُ رأيْتنا
بِفُروع أرْعنَ فوْقها مُتطاول

١٢ ـ وإذا سألْتَ ابنيْ نِزار بيّننا
مجدى ومنْزلتي مِن ابني وائِل

١٣ ـ حدَبتْ بنو بكر عليَّ وَفيهُمُ
كُلُ المكارم والعديد الكامِل

١٤ ـ خطروا ورائي بِالقنا وتجمعت
مِنهُمْ قبائلُ أردَفتْ بِقبائل

١٥ ـ إن الفوارسَ من لجُيم لمْ يزَل
فيهم مهابةُ كُلِّ أبْيضَ فاعل

١٦ ـ مُتَعَمّمٌ بِالتَاج يَسْجِدُ حَولَهُ
من أهلِ هَوذةَ للمَكَارم حَامِل

---

(١) الأنوق : العقاب ،يقال : أعز من بيض الانوق لأنها تحرزه في أوكارها في القلل الصعبة فلا يكاد أحد يظفر به :

٨ ـ في الأغاني ٢٢/٣٣٤ .. بيض الانوق كأنهن وفي اللسان (انق) فانه بمعاقل
٩ ـ في الأغاني ٢٢/٣٣٤ .. وسواد رأسك فضلُ شيب
١١ ـ في الأغاني ٢٢/٣٣٤ . وإذا تطاولت الجبال
١٤ ـ في الأغاني ٢٢/٣٣٤ قبائل اردفوا بقبائل
١٥ ـ في الأغاني ٢٢/٣٣٤ لم تزل
١٦ ـ في الأغاني ٢٢/٣٣٤ .. من آل هوذة

١٧ ــ أورهَط حَنْظَلَـةَ الـذين رمَاحُهُم
سَمٌ الفَـوارسِ حَتفُ مَوت عَاجل
١٨ ــ قَـومٌ إذا شَهَروا السَيوف رأوا لها
حَتفَـاً ولم يَكُ سَلّها بِالبَـاطِـل
١٩ ــ ولَئِنْ فَخرتَ بِهم لمثل قَدِيمهم
بَسَطَ المَفَـاخرَ مِن لسَـان القَائِل
٢٠ ــ اولاد ثَعْلَبَةَ الذين بِمُثْلِهِـمْ
حلَمَ الحَليمُ وَرُدَّ جَهـلُ الجَاهِل
٢١ ــ أهْل العَرادةِ والنَبوح تَـرى لهَـم
حَلَقَ المَجالسِ بالصعيدِ القَابِـل
٢٢ ــ ولمَجدِ يَشْكُرَ سَوْرَةٌ عَادِيَـةُ
وأبُ إذا ذكَروهُ لَيْـسَ بِخَامِل
٢٣ ــ وَبَنو القُدار إذا عَدَدت صَنيعَهُمْ
وَضَحَ القُـدار لهَـم بِكُلِّ محَافِل
٢٤ ــ وإذا فَخَـرْتَ بتَغْلبَ إبْنَةَ وائل
فَاذْكرْ مَكَارِمَ منْ نَـدى وأوائل
٢٥ ــ وَلِتَغْلِـبَ الغَلْبَاءِ عِـزٌ بَـيِّـنٌ
عَادّيَـةٌ وَيَزِيْدَ فَـوقَ الكَـاهل
٢٦ ــ قَسَطوا على النُعْمَان وابنِ مُحَرِّق
وابني قَطَـامِ بعزّةٍ وَتَنَـاوِل

---

١٨ ــ في الأغاني ٣٣٥/٢٢ .. سلَّها للباطل
١٩ ــ في الأغاني ٣٣٥/٢٢ المفاخر للسان القائل
٢٠ ــ في الأغاني ٣٣٥/٢٢ الذين لمثلهم
٢١ ــ أخل كتاب الأغاني بهذا البيت
٢٣ ــ في الأغاني ٣٣٥/٢٢ وضح التميم
٢٦ ــ في الأغاني ٣٣٥/٢٢ ... تسطوا

٢٧ ـ بالمُقْرَبَاتِ يَبتْنَ دون رِحالهم
كالقِدِّ بَيْنَ أجلّةٍ وَصَواهل

٢٨ ـ اولادِ أعْوَجَ والنصَّريحِ كأنّها
عقبانُ يَوم دُجُنّةٍ ومخايل

٢٩ ـ يَلْفظْنَ بعْدَ ازومهنَّ على الشبّا
علق الشكيم بألسن وجحافل

٣٠ ـ قومٌ هُمُ قتلوا ابنَ هندٍ عَنْوَةً
وقَنا الرِّمَاح يَذُدْنَ ورد الناهل

٣١ ـ منهُمْ ابو حَنَشٍ وكان يكفه
ريُّ السِّنانِ وريُّ صدرِ العامل

٣٢ ـ ومهلهل الشعراء ان فخروا به
و ندى كليبٍ عند فضل النائل

٣٣ ـ حَجَبَ المَنية دُونَ واحد أمةٍ
من أن تبيتَ وصدُرها ببلابل

٣٤ ـ وكفى مُجالَسَةَ السّبابِ ولم يكُنْ
يسْتَبُّ مَجْلسُهُ وحقَّ النازل

٣٥ ـ حتى يَجيرَ على الملوك فلم يَرِمْ
حَدَباً ولاصَعَراً لرأسٍ مائل

٣٦ ـ في كل حَيٍّ للهُذيل وَرَهْطِهِ
نعمٌ وأخذٌ كريمةٍ وتناولِ

---

٢٧ ـ في الأغاني ٢٢/ ٣٣٥ حول رحالهم كالقدّ بعد أجلّةٍ ..
٢٩ ـ في الأغاني ٢٢/ ٣٣٥ يلقطن
٣٤ ـ في الأغاني ٢٢/ ٣٣٦ .. كفى مجالسة السباب فلم يكن
٣٥ ـ في الأغاني ٢٢/٣٣٦ .. حتى أجار على الملوك فلم يدع .. حربا
٣٦ ـ في الأغاني ٢٢/٣٣٦ .. بتناول

٣٧ ـ بيضٌ كرامٌ رَدَّهُنَّ لَعَنْوَةٍ
أسَلُ القَنَا وأخذْنَ غَير ارامل

٣٨ ـ ابناؤهُن من الهذُيل ورَهْطِهِ
مثل الملوك وعشن غير عوامل

الابيات (١ ـ ٣٨) عدا السادس في كتاب منتهى الطلب (مخطوطة الدكتور يحي الجبوري) وعدا البيت الحادي والعشرين في الاغاني ٣٣٣/٢٢ ـ ٣٣٦ والابيات (٤ ـ ٧) في الزهرة النصف الاول / ٩ واماني الزجاجي / ١٠٠ ـ ١٠١ والثامن في اللسان (انق)

(٢٣)

لما ضرب العديل دامغاً بالسيف ركب راحلته وانشأ يقول :

(من الطويل)

١ ـ ألمْ ترني جَللت بالسيفِ دامغاً
وإنْ كانَ ثأراً لم يَصبْه غليلي

٢ ـ بوادي حنين ليلَة البدرِ رعته
بأبيضَ من ماءِ الحديدِ صَقيل

٣ ـ وقُلتُ لهم : هذا الطريق أمامكم
ولم أكُ إذْ صاروا لهم بدليلِ

الأبيات في الأغاني ٢٢ / ٣٢٩

(٢٤)

وقال العديل :

(من المتقارب)

١ ـ ألاَ مَنْ لَهمٍ أبَى لَمْ يَسرِمْ
ضميرك بات رفيقاً لهم

٢ ـ ابيت اكابده موهنا
وَنَامَ الخلي ولمّا أنَمْ
٣ ـ رأيتُ الهُمُومَ تَشِينُ الفتى
ولو كانَ ذا أمْرةٍ أو عزَمْ
٤ ـ أرى الدهْرَ يُومِن رُذّالَهُ
فيوماً بئيساً ويوماً نِعمْ
٥ ـ رهينَ المنايا فإنْ عِفْتَهُ
وأخطأنه لم يدعه الهرم
٦ ـ كأنْ لمْ يَعِشْ قبْلَها ساعَة
إذا كانَتِ النفْسُ عِنْدَ الكَظم
٧ ـ وأيقنَ اصْحَابُهُ بالفرا
قِ وأضحى ثَوِيٌّ ضَريحِ الرَّجَم
٨ ـ فإنْ أكُ ودَّعْتُ جهْلَ الصِّبَا
ورَثَّ قُوى حَبْلِهِ فانجذَمْ
٩ ـ تناسيْتُهُ بعْدَ أجْدادِهِ
ليَخلقَ حتّى وَهى فانصرَمْ
١٠ ـ فقَدْ استَبي البيضَ مثلَ الدُّمَى
علَيهِنَّ خزٌّ فريد العجَمَ
١١ ـ سَجَدْنَ لنا بلذيذ الحديثِ
وَهُنَّ لنا غيرُ ذاكُمْ حُرُمْ
١٢ ـ أوانسُ مَنْ يلتمسْ سترَها
يجدْ ذاكَ حلٌّ محَل العُصُم
١٣ ـ بكُلٍّ قطُوفٍ اناةِ القِيَاْ
مِ رقُودِ الضّحَى عبْلَة كالصنمْ
١٤ ـ رداح التوالي اذا ادبرت
هَضِيم الحشا شختَة المُلْتزَمْ

١٥ ـ مُنَعَّمَةٌ لم تُلحْـهَا السَّمُو
مُ يُضيءُ سَنَا وَجهِهَا في الظُّلَم

١٦ ـ تَغَوَّلُ حتى تَرُوقَ الحَليمَ
وذا الجهْلِ تُورِثُ خَبْلَ السَّقَم

١٧ ـ تَكُونُ أَمَانيَّةً إنْ نَأَتْ
وإنْ تَدْنُ منه يَكُنْ كَالسَّدَم

١٨ ـ وَتَبْسِم عَنْ واضحٍ لَوْنُهُ
شَتِيتٍ كَلَوْنِ أقَاحِي الرَّهَمْ

١٩ ـ كَأنَّ الجُمَانَ عَلى مُغْزِل
خَذُولٍ لهَا رَشَأٌ قَدْ قَرَمْ

٢٠ ـ تَظَلُّ تُصَفِّق من حَولِه
وَتَحْنُوا اليهِ إذا مَا بَغَمْ

٢١ ـ وَقَدْ أُعمِلُ العَبسَ حَتى تَؤوب
حَسيراً تجُرُّ نعَالَ الخَدَم

٢٢ ـ بَدَأْتُ بهَا وَهيَ مَلْمومَةٌ
كَنَازُ البَضيعِ وَآةٌ زِيَم

٢٣ ـ فَمَا أبتُ حتى ارعَوى جَهْلُهَا
وآضَتْ لِسهْبَداً كَعُودِ السَّلَم

٢٤ ـ رَكِبْتُ بهَا كُلَّ مَجْهُولَةٍ
قِفَارٍ وَهَاجِرةٍ كَالضرم

٢٥ ـ يحَارُ الدَّليلُ نَهَاراً بِهَا
إذا مَا التَوى الهُا بِالعَلَمْ

٢٦ ـ إذامَا تَوَقَّلَ حِرْبَاؤهَا
عَلى الجِذْلِ ثُمَّ نمَا واصْطَخم

٢٧ ـ فَأبقَى عَلى ذاكَ منِّي الزمَانُ
كَريم الاخَاءِ رَكُوبَ البُهَم

٢٨ ـ سَبُوقاً لِغايَاتِ يَومَ المَـــدى
إذا مَـا الجِيـادُ علكْنَ اللُّجُم

٢٩ ـ فَـمَا المُتَجـرِّدُ في عَصْرِهِ
إذا مَـا ارتَـدى زَبَـداً واسْتجمْ

٣٠ ـ بِـاجْـوَدَ مِنِيّ لَـدى غايَـة
وَمَــدِّ اليَــدينِ وَنَعتَ الكرَم

٣١ ـ أجِـيءُ الـيهـَا امـَامَ الجيَا
دِ إذا مَـا البَطيءُ كَبَـا أو قحم

٣٢ ـ هَنِي العَنانِ ولم أجْتَهدْ
إذا رَفَعوا فوقَهُنَّ الجذَمْ

٣٣ ـ مَنَـازِلَ أنْزَلَنيهـا أبـي
ومـن يبتني مثْلَـها لا يُـذَمْ

٣٤ ـ عَليَّ تعطّف مـن وائـل
إذا قُمتُ كُلّ جـوادٍ خضَمْ

٣٥ ـ بهمْ يُكسَرُ العظم من غيرِهـمْ
ويرأبُ منهم إذا ما اتعصَمْ

٣٦ ـ نحَلُّ على الثغر عند الحروب
فَنَنكى العَدوَّ ونحـوي الغُنُمْ

٣٧ ـ لنا سُرَّةُ الارض قد تعلمون
ونارُ المـلـوك وارضُ النعَمْ

٣٨ ـ نفينَـا القبائـلَ عن حَـرها
بارعَـنَ ذي غـابةٍ كالأجَمْ

٣٩ ـ كثيرَ الدَواعي بعيد المسير
كمثْـلِ الظلام إذا مـا ادْلَهَـمْ

٤٠ ـ متى تتتابع اخاديده
تجدْهُ يَسعرُ أعلى الأكـمْ

٤١ ـ ومَلْكٍ أقمْـنا لـه رأسَهُ
وان كـان من قبلنـا لم يَقـمْ

٤٢ ـ عَدَلْنا صَرَاهُ بنَشاحَة
تَمُجُّ النَّجيعَ كَشدقِ الأصَمْ

٤٣ ـ وجيش غَزانَا كثير الصهيل
فلاقَى الذي كان منّا اجْتَرَمْ

٤٤ ـ قَرَينا النُسُورَ صَناديدَهُ
ووُكنَ البُغَاث وجُـونَ الرَّخَمْ

٤٥ ـ ونحنُ إذا سَنَةٌ امحلَتْ
وآضَتْ مُحولاً كَلَوْنِ الادَمْ

٤٦ ـ وزف القَريعُ أمام الأفالِ
وينسى النحيلَ عندَ القطم

٤٧ ـ ورُوحَت الشولُ في إثرهِ
وصف الأماءُ عليها الحُزُمْ

٤٨ ـ وأمْسَتْ تَرَوَّحُ حُطّابُها
بنكباءَ عارية في شبَم

٤٩ ـ نُقيمُ فَنُطعِمُ لحم السّنا
م إذا ما الشتاءُ علينا أذَمْ

الأبيات (١ ـ ٤٩) في منتهى الطلب الورق ٧ ـ ٨

(٢٥)

وقال العديل ايضا يمدح محمد بن الحجاج . (من البسيط)

١ ـ هل للظّعائن قبلَ البينِ تكلُيم
أمَ حَبْلهُنَّ غداة البين مصروم

٢ ـ وَلّينَ مِنّا بَرهنٍ لافكاكَ له
وعَبْرةٍ جشأتْ منها الحياذيمُ

٣ ـ من لوعةِ البين إذْ راح القطينُ بهم
ومُضْمَرٌ من دخيل الحُب مكتوم

٤ ــ أعرضْنَ لمّا رأينَ الشيبَ شامِلَهُ
والشيبُ عند كعاب الخدر مصرومُ

٥ ــ زُرْناك والعيسُ خُوصٌ في أزمتها
هوج الرياح لحاديها همـا هيمُ

٦ ــ من كُل صهباءَ نستجري الزمام بَها
تَبري لها سَهْوَةٌ الضبعين عُلكومُ

٧ ــ تنفي الحصى عن أظليها بمُشْتبهٍ
مـن المفاوز يستعوي بـه اليـوم

٨ ــ كأن حاديَها مما تُكلفـــهُ
اعضاؤها من سَواد الليل مأمُوم

٩ ــ كَلَّفْتُهُ السّيرَ حتى في مفاصِله
رَبْوٌ وحتى صميمٌ العظم موصوم

١٠ ــ والعيسُ جائـلةُ الأنساع يَسعفُها
حامي الأجيح من الايـام مسمـوم

١١ ــ بمُستوى من رَدَى الدَّويّ ليس به
للقوم إلا سُرى البيض المتَاهيمُ

١٢ ــ تَعْريجَ منزلةٍ إلا على عُرُضٍ
ثم الجُذابُ بَسيرٌ فيه تقحيـمُ

١٣ ــ يَنفُضْنَ تحتَ الحصى في كُل منزلة
ازرّارُ مُعلقَة فيها الخياشيـمُ

١٤ ــ بسابغاتٍ من الألحيْ كأن بها
سُبُوتَ حضرمَ تثينها الأباهيـمُ

١٥ ــ يَنْوينَ فَرْجَ ثقيف في أرومتها
اذا ثقيفُ سَمَتْ منـها الخراشيـمُ

١٦ ــ بَنْوين ابيضَ مثلَ السيف أورثهُ
ابو عَقيل ثناءٌ ليس مـهـدوم

١٧ ـ بَحرٌ أجادَتْ به غَرَاءُ مُنْجيةُ
من فرع سعد لها مجدٌ وتكـريـمُ
١٨ ـ كَمْ من أبٍ لكَ يُستسقى الغمام به
جزْلٍ مَواهبه بالخير موسوم
١٩ ـ ونائل منك جزْلٍ لاتتبْعُـه
مِنّا ولافيه إنْ اعطيت تأثيـمُ
٢٠ ـ الواهبُ المائةَ الاشباهَ ضاويةً
والجردُ تَتبُعُها البيض الرعاميمُ
٢١ ـ والمشتري الحمدَ إنّ الحمدَ ذو مهل
والتاركُ البُخلَ إن البخَلَ مذمـوم
٢٢ ـ يغدوا اذا ماغدا تَندى انامِلُهُ
في باذخ قصُرَتْ عنه السلاليـمَ
٢٣ ـ نِعْمَ المُناخُ انخْنا بعد شقتنـا
والوفدُ مُعْطىً مَحبُو ومحرومُ
٢٤ ـ لَقَد بَسَطتَ لساني بَعْدَ غُصتّه
وقَدْ جبَرْتَ جَناحي وهو مهضومُ
٢٥ ـ وقَداتيْتَ الذي كانتْ تُحدثُني
نَفْسي فأكتُمهُ والسرُّ مَكتُومُ
٢٦ ـ بحقٌ مَنْ عدَّ آباءً تعُدّهُـمُ
إنَّ اللّهاميمَ منهُنَّ اللّهاميـمُ
٢٧ ـ أعطاكَ ذو العَرْشِ ما أعطى كرامتهُ
رَبُّ الرّسُولِ لهُ سيما وتَسويـمُ
٢٨ ـ ما مُزْبدُ منَ خَليجِ البحرِ مُنجردٌ
جوْنُ الأواذيَّ تعلُوهُ العلاجيـمُ
٢٩ ـ يوماً باجودَ منهُ حينَ تَسألُـهُ
إذا الصَّبـا حاردَتْ واعتلّتْ الكومُ

٣٠ – مازِلتَ تركَبُ مكروهَ الأمورِ لَها
حتى زَحَتْ لكَ بالمُلكِ الخَواتِيمُ

٣١ – أنْتَ الربيعُ الذي جادَتْ مُواطِرُهُ
وكُلُّ مَنْ لمْ يُصِبْهِ الغيثُ محرومُ

٣٢ – قيسوا المئِينَ فإني قد بَقيتُ لَكُمْ
غَمْرَ الجِراءِ إذا التَفَّ الأضاميمُ

٣٣ – مُستَعْفِيَ السَّوطِ خَرّاجاً على مَهَلٍ
في مبرك ثبتت فيه الجراثيم

الأبيات (١ – ٣٣) في منتهى الطلب ٨ – ٩

(٢٦)

(من الطويل)

كان العُديل هجا جرثومة العنزي الجلاني فقال فيه :

١ – أهاجي بَني جلاّن إذْ لمْ يكُنْ لها
حديثٌ ولا في الأولينَ قَديمُ

---

١ – البيت في الأغاني ٢٢ / ٣٢٩

(٢٧)

وقال ايضاً :

(من الرجز)

أوعَدني بالسجنِ والأداهمِ
رجلي فَرجلي شثنة المناسمِ

قال البغدادي ٢ /٣٦٧ ،وهذا الشعر بيتان من الرجز المسدس ،قال ابن السيد لا أعلم قائله ،وقال ياقوت في حاشية الصحاح وتبعه العيني (٤ ١٩٠) قائله العديل بن الفرخ .والبيت من شواهد النحو المعروفة .في موضوع البدل ذكرته كثير من كتب النحو واللغة . اكتفينا بهذه الاشارة .

(٢٨)

وقال العُديل أيضاً

(من الطويل)

١ ـ لَعَمْرُكَ إني يومَ بَيْنَ ظَعائنٍ
غَدَوْنَ ولمْ يَنْظُرْنَني لَحزِينُ

٢ ـ ظَعائنَ يَنْوِينَ الكَثِيبَ وأهْلَـهُ
غَدَوْنَ وقَلْبي عندهُنَّ رهيـنُ

٣ ـ كما حاجَةٌ من أمِّ زيدٍ تَعُودني
وقَدْ غالَني لَوْ تَعْلَمينَ شُؤونُ

٤ ـ تقولُ بَدَلْتُ الودَّ منك لغيـرنا
وقَطَعْتَ حَبْلَ الوصلِ وهو متينُ

٥ ـ أراكَ تَخَطّانـا إذا جئتَ زائـراً
وقَدْ شَهَرَتْنا في هَواكَ عُيُونُ

٦ ـ لَججْتَ بهجرانِ البُيُوتِ كَأنّمـا
علَيكَ بهجرانِ البُيُوت أميـنُ

٧ ـ تراجَعْنَ بالأيْدي السلام وكُلّنا
بصاحبهِ يومَ الفراقِ ضَنينُ

٨ ـ كأن الحذور الجأت في ظـلالها
نعاجَ الملا ليست لهن قرونُ

٩ ـ قَطَعْتُ حِبالَ الوصل مِنْهُنَّ بعدما
تَطاوَحْنَ حتى مالهُنَّ قرينُ

١٠ ـ من الأنس إلا مستفيدٌ لقولنا
ولا الجنُّ إلا قد ألمَّ يـديـنُ

١١ ـ وقد قيل حتى ماأبالـي حَديثَه
أقاويـلُ مينت بـاطـل وظنـونُ

١٢ ـ أقاويلُ اقوامٍ وقالةُ نسوةٍ
يَقُلْنَ ولما يأتِهنّ يقينُ
١٣ ـ فإنّ الذي حُدثتِ رقي حديثه
عَدوٌ لحبلِ المسلمين لعينُ
١٤ ـ مع الشانئِ الغيرانِ شيء كأنه
من الوجدِ مبهوتُ الفؤاد طعينُ
١٥ ـ يُرائيكَ إلا إن سألتُك مالَه
ويُمسي من الشنآن وهو بطين
١٦ ـ ولَيْسَ بمُعْطيكَ المُواخاةَ كُلّها
اخٌ لك مَا لم يَرْعَ حينَ تبينُ
١٧ ـ بِعَيْنَيْكَ احداجٌ لِدومَةِ اذ غدَتْ
لهَا نيّةٌ تُنْئي الحَبيبَ شُطُون
١٨ ـ غدَت من رَجَا الوادي كأنّ حمولها
لِعَينِ البَصير المستبَيْنِ سَفينُ
١٩ ـ على كلّ نعّابٍ يُبَاري زِمَامَهُ
بِهِ من اغانيّ الحُداةِ جُنُونُ
٢٠ ـ إذا خَصَلَتْ اعْطَافُهُ غَضِبتْ له
قَوائمُ عوجٌ تَنْتَحِي وَتَلينُ
٢١ ـ ورأسٌ كَبرطيلِ الحَديد يَزينُهُ
مَشافِرُ مَضْبُوح الجران ذَقُونُ
٢٢ ـ وَمَا كَانَ ضرّ العامرِيّاتِ لوبَدَا
لنا يوم فَلجِ أسوْقٌ وعيونُ

الأبيات (١ ـ ٢٢) في منتهى الطلب الورقة ١١ ـ ١٢

(٢٩)

لما جدّ الحجاج في طلب العُديل ضاقت عليه الارض ، فأتى واسطاً ، وتنكر ، واخذ رقعة بيده ، ودخل إلى الحجاج في أصحاب المظالم ، فلما وقف بين يديه أنشأ يقول :

(من الطويل)

١ ـ هأنذا ضاقت بيَ الارضُ كُلُّها
اليكَ وقَد جوّلتُ كلّ مكـان

٢ ـ فلو كنتُ في ثهلان أوشعبتي أجاً
لخلتُكَ إلا أن تُصَدّ ترانـي

البيتان في الأغاني ٢٢ / ٣٤١

(٣٠)

قال العُديل :

(من الوافر)

أنا عَدْلُ الطعان لمن بغانـي
أنا العدلُ المبينُ فاعرفـونـي

البيت في اللسان (انن) «١»

ما نسب له ولغيره

(١)

هجا العديل بن الفرخ في تيم الله فقال :

(من الوافر)

١ ـ تزحزح يا ابن تيم الله عنـا
فما بَكرٌ ابوك ولا تميـمٌ

٢ ـ لكُلّ قبيلةٍ بدرٌ ونجـمٌ
وتيمُ الله ليس لها نجـومُ

٣ ـ أناسٌ ربّة النحيين منهُـمْ
فعُدُّوها إذا عُدّ الصميـمُ

الأبيات في اللسان (نحا)

قال ابن بري قال ابن حمزة الصحيح انها امرأة من هذيل ، وهي خولة ام بشربن عائذ ويحكى ان اسدياً وهُذلياً افتخروا ورضيا بانسان يحكم بينهما فقال : يا اخا هذيل كيف تفاخرون العرب وفيكم خلال ثلاثة ، منكم دليل الحبشة على الكعبة ومنكم خولة ذات النّحيين وسألتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُحلل لكم الزنا قال : ويقوي قولَ الجوهري انها من تيم الله ما انشده في هجائهم ..

فهرست اسماء الشعراء